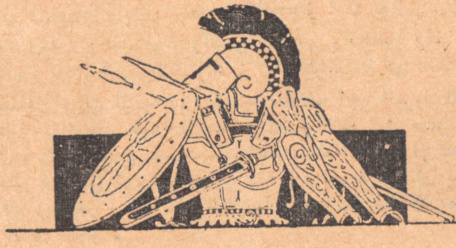

يصدرها حلمي مراد
مطبوعات كتابي
الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية
الإلياذة
الملحمة الخالدة لشاعر اليونان القديم
هوميروس
الجزء الثالث والأخير

الإلياذة

الملحمة الخالدة لشاعر اليونان القديم

هوميروس



ΙΛΙΑΔΑ

ΤΟΥ

ΟΜΗΡΟΥ

عدد ممتاز – الثمن ١٢ قرشا

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالميه)

صدر منهاحتى الآن خمسة وسبعون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد اول كل شهر .. وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص أجرة البريدالمسجل ، ماعدا العدد : العاشر وثمنه عشرون قرشاوالأعداد ١٣ ، ١٦ وابتداء من العدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا . اما الاعداد الستة الاولى والعددالعشرون فقد نفدت ، والادارة مستعدةلشرائها

• الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : فى مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفى العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازى ١٤٠ قرشا مصريا وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واستراليا وتركيا : قيمة الاشتراك : ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة اجر البريد المسجل ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا بخلاف أجر البريد الجوى

• ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة أو تحويلات عليه . واذا تعذر فترسل كوبونات دولية فئة ٤٠ مليما على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بان الكوبونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما .

مطبوعات كتابى

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الابيض ، الخالدون ، الخاطئة ، حياة امرأة (جزءان) الخطيئة الاولى ، أوديب ، مدام بوفارى ، (جزءان) ، عاشقات فى الخريف ، قلوب ضالة ، ديكاميرون ، الظمأللحب ، جين اير (ثلاثة اجزاء) ، فاتنات الرجال ، رجال ونساء ، الثار للوطن ، فرنسا الجريحة على ضفاف النيل ، الابن الضال ، أسرار الجاسوسية ، بيللا دونا (ثلاثة أجزاء) بوشكين ، اعترافات جان جاك روسو (٥ أجزاء) ، قصص من الصين ، ليالى بلزاك ، الالياذة . وثمن النسخة عشرة قروش فيما عدا الاعداد : ١ و ٤ و ٧ و ١٩ و ٢٢ فثمن النسخة عشرون قرشا ، والاعداد : ١٢ ، ٢٨ - ٣٢ اثنى عشر قرشا ، و ٣ و ٥ و ٦ ثمانية قروش ، ويضاف الى هذا السعر قرشان مقابل اجر البريد المسجل .

مطبوعات

كتابي

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السابع والثلاثون

الالياذة : هوميروس

(الجزء الثالث)

ترجمها عن الاصل اليونانى المقارن

أمين سلامة

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

يبدأ ترقيم صفحات هذا الجزء من صفحة ٤١١ ، حتى تسير الارقام متسلسلة — بعد نزع الورقة الاخيرة من الجزء الثانى ، والورقتين الاولبين من هذا الجزء — اذا أريد تجليد الاجزاء الثلاثة للالياذة ، فى مجلد واحد .

الجزء الثالث

• **وما** ان قال هذا ، حتى أثار قوة وروح كل رجل . وما لبث هكتور ان قتل « سخيديوس بن بيريميديس » – قائد الفوكيين – فى حين أن أياس قتل « ليوداماس » ، قائد المشاة المجيد ، ابن أنتينور . أما « بولوداماس » فقد قتل «أوتوس» الكيلينى ، رفيق ابن فوليوس ، قائد الايبيين العظيم النفس . ورآه « ميجيس » فانقض عليه ، ولكن بولوداماس أفلت من تحته ، فأخطأه ميجيس ، لان أبولو لم يكن ليرتضى لابن بانثوس أن يقتل وسط محاربى المقدمة . ولكنه أصاب كرويسموس برمحه فى وسط صدره ، فسقط فى دوى ، واستعد الآخر لينزع عدته الحربية عن كتفيه ، فانبرى له « دولوبس » ، وهو محارب بارع ، وابن للاوميدون (١) ، بل أشجع ابن له ، وكان ماهرا جدا فى القتال العنيف . وما لبث أن قذف رمحه نحو درع ابن فوليوس ، هاجما عليه من كثب . بيد أن درقة ابن فوليوس – المصنوعة بمهارة – أنقذته . تلك الدرقة التى كان يشدها حول جسده بقطع من الزرد ، والتى أحضرها « فوليوس » من افورى ، من نهر سيليس ، اذ أهداه اياها ضيف من أصدقائه – هو يوفيتيس ، ملك البشر – ليلبسها فى الحرب ، وقاية لنفسه من العدو . وها هى ذى قد صدت الموت عن جسد ابنه !

وقذف « ميجيس » – بدوره – رمحه الحاد ، فأصاب قمة خوذة « دولوبس » البرونزية ذات الخصلة المصنوعة من شعر الخيل ، فأطار الخصلة عنها ، وسقطت فى التراب ، بعد

جميع التعليقات والايضاحات يرجع اليها فى آخر هذا الكتاب ، مرقمة بأرقام مسلسلة حسب ترتيب ورودها فى النص

أن كانت تتألق بلونها القرمزى الزاهى. وبينما كان «ميجيس» يصمد ويقاتل « دولوبس » – وهو لايزال يأمل فى النصر – أقبل « مينيلاوس » الجرىء ليعاونه ، فوقف جانبا – غير ملحوظ – وهو شاهر رمحه . وما لبث ان سدده الى كتف « دولوبس » من الخلف ، فمرق الرمح الحاد خلال صدره موغلا .. وانكفأ دولوبس على وجهه . واتجه الاثنان صوبه لينزعا عن كتفيه حلته الحربية المصنوعة من البرونز . ولكن « هكتور » نادى جميع أقاربه .. وفى البداية راح يلوم ابن هيكيتاون – « ميلانيبوس » القوى (٢) – لانه كان ،حتى ذلك الحين ، معنيا بتربية أبقاره السمينة فى **بيركوتى** ، بعيدا عن الاعداء . ولكنه – حين أقبلت سفن الآخيين المعقوفة – عاد ثانية الى **طروادة** ، وصار مبرزا وسط الطرواديين ، وعاش فى بيت بريام ، الذى أنزله من نفسه منزلة أبنائه . ولقد عيره هكتور ولامه قائلا : **« أيجدر بنا يا ميلانيبوس أن نكون هكذا كسالى ؟ أليس فى قلبك أى اعتبار لقريبك المقتول ؟ ألا ترى كيف يهتم قاتلا « دولوبس » بحلته الحربية ؟ هيا ، فلم يعد لنا الا أن نقاتل الارجوسيين حتى نقتلهم ، أو يستولوا على (طروادة) الوعرة بأسرها ، ويقتلوا شعبها ! »**

واذ قال هذا ، تقدم فتبعه الآخرون ، وهو أشبه بالاله . أما الارجوسيون فقد حثهم أياس التيلامونى العظيم بقوله : « أيها الاصدقاء ، كونوا رجالا ، واستحيوا من أنفسكم ، وليخجل كل من ازدراء الآخر له فى العراك المرير . فان الذين يستحيون ، يناضلون فى بلاء حتى لا يسقطوا .. ولن يقوم مجد أو نفع لمن يفرون ! » .

هكذا قال ، وكان الرجال من تلقاء أنفسهم تواقين الى صد العدو ، فوعوا كلمته فى قلوبهم ، وتحصنوا فى السفن بسياج من البرونز ، وراح « زوس » يحث الطرواديين ضدهم . فما لبث مينيلاوس – الرائع فى صيحة الحرب – ان أهاب

بأنتيلوخوس ، قائلا : « أى أنتيلوخوس ، لا أحد من الآخيين يصغرك سنا ، أو يبزك فى سرعة القدمين ، أو الشجاعة فى القتال، فليتك تنقض فورا، وتصيب أى رجل من الطروادين !»
وانصرف عقب هذه العبارات ، ولكنه كان قد أثار الآخر ، فسرعان ما وثب أنتيلوخوس من بين محاربى المقدمة ، وبعد أن تلفت حوله بحذر، قذف رمحه البراق، فتراجع الطرواديون أمام هذا المحارب بمجرد أن رمى ! ولم ينطلق رمحه عبثا ، بل انه أصاب ميلانيبوس الجرىء القلب - ابن هيكيتاون - فى صدره بجوار ثديه ، وهو مقبل نحو المعركة . فسقط متخبطا وخيمت الظلمة على عينيه . وعندئذ وثب أنتيلوخوس فوقه ، كما يثب الكلب على ظبى جريح أصابه الصياد بعد أن أحكم التصويب اليه وهو يقفز من جحره ، فأرخى أطرافه .. هكذا أيضا هجم عليك أنتيلوخوس، الجرىء فى القتال ، ياميلانيبوس، لينزع عنك حلتك الحربية . ولكن هكتور العظيم لمحه . فأقبل يجرى ليلتقى به وسط المعركة ، فلم يصمد أنتيلوخوس فى مكانه - رغم أنه محارب ماهر - وانما هرب كوحش ارتكب شرا ، كأن قتل كلبا أو راعيا بجانب أبقاره ، فهو ينشد الهرب قبل أن يتجمع الناس ! .. بمثل هذه الصورة هرب ابن نسطور ، فأمطره الطرواديون وهكتور فى الحال وابلا من سهامهم المؤلمة ، وهم يصيحون صياحا عجيبا . ولكنه استدار ووقف ، عندما وصل الى جيش زملائه .

صراع بين «هكتور» و «أياس»

• **بيد** ان الطرواديين كانوا أشبه بالاسود النهمة .. فهجموا على السفن ، تنفيذا لاوامر « زوس » الذى ظل يبث فيهم القوة البالغة ، والذى الان قلوب الارجوسيين ، وسلبهم مجدهم ، بينما كان يحرض الآخرين . فان قلبه بيت النية

على منح هكتور بن بريام المجد ، حتى يتمكن من أن يرمى على السفن المدببة الاطراف نارا حامية لا يهن لها أوار . وبذلك يحقق صلاة « ثيتيس » المتهورة بأكملها . ومن ثم راح زوس المستشار ينتظر أن ترى عيناه وهج سفينة مشتعلة ، اذ كان عليه ــ منذ تلك الآونة ــ أن ينظم انسحاب الطرواديين عن السفن وفرارهم ، ليمنح الدانيين المجد . بهذه النية راح يثير هكتور بن بريام ضد السفن الجوفاء . **وكان هكتور نفسه متلهفا ، مفعما بالشوق الى ذلك . وكان مهتاجا ، مثل أريس الرماح ، أو كما يحدث عندما تستشرى النار المدمرة فى أحراش غابة كثيفة وسط الجبال .. فتصاعد الزبد حول فمه ، وقدحت عيناه بالشرر ــ تحت حاجبيه المخيفين ــ وتأرجحت خوذته بعنف حول صدغيه وهو يقاتل** .. لان زوس كان يحميه وهو فى السماء ، وقد آثره بالشرف والمجد وهو يقاتل وحده ضد محاربين عديدين ، اذ كان أجله قصيرا ، وكانت الربة « أثينا » تتعجل منيته على يد ابن بيليوس .

وراح هكتور يعجم أعواد الرجال ، ويحاول اقتحام صفوفهم حيثما رآها كثيفة زاخرة بأفضلهم تسلحا . بيد انه لم يفلح قط فى خرقها ، رغم تحمسه البالغ ، لانهم صمدوا راسخين كما لو كانوا جدارا ، أو كأنهم كانوا صخرة راسية ، ضخمة ، جد قريبة من البحر الرمادى ، رابضة فى مهب الرياح العاتية ، والامواج الصاخبة التى تندفع نحوها بقوة .. هكذا قاوم الدانيون الطرواديين بثبات ، دون أن يولوا الادبار . ولكن هكتور قفز وسط الجمع متوهجا من كل جانب ، وكأنه شعلة من النار ، وهبط عليهم كما تهبط ــ تحت سحب العاصفة ــ موجة عاتية تطاردها الرياح ، على سفينة خفيفة ، فتختفى هذه بأسرها وسط الزبد ، وتزمجر هبة الريح حول الشراع ، فترتعد قلوب الملاحين هلعا ، اذ لايكادون ينأون عن الموت الا بشق الانفس .. هكذا كانت قلوب الآخيين تضطرب داخل

صدورهم ، اذ هجم عليهم هكتور كأسد ضار ينقض على أبقار لاعداد لها ، ترعى فى أرض حمأة ، منخفضة ، وبينهما راع لم يتدرب بعد على مقاتلة حيوان مفترس عقد عزمه على أن يفتك ببقرة ملتوية القرن .. فترى الراعى يغذ السير بجانب أكثر الابقار تقدما ـ تارة ـ وبجانب أكثرها تأخرا ـ تارة أخرى ـ ولكن الليث يهجم فى الوسط ويفتك ببقرة منها . واذ ذاك تفر جميع الابقار مذعورة .. على هذا النحو استولى الخوف الرهيب على الآخيين جميعا ، بفضل هكتور والاب زوس . وبالرغم من أن هكتور لم يقتل سوى رجل واحد ، هو «بيريفيتيس» العزيز ـ القادم من **موكيناى** ـ ابن «كوبريوس» الذى اعتاد الملك «يورسثيوس» (٣) أن يوفده الى هرقل العتيد . فبالرغم من ان الاب كان خسيسا وضيعا، الا انه أنجب ابنا فاق سواه فى كل ضرب من ضروب سرعة القدم والقتال .. وفى رجاحة العقل كان هو الاول بين شعب **موكيناى** . هذا هو الذى حقق لهكتور مجد النصر ، اذ انه تعثر ـ وهو يستدير ـ فى حافة ترسه الذى كان يحمله بنفسه، وكان ترسا يصل الى قدميه ، وقاية ضد الرماح ، فسقط الى الخلف ، ومن حول صدغيه جلجلت خوذته بشدة . وسرعان مالمحه هكتور فعدا اليه ، ووقف بجانبه ، وثبت رمحه فى صدره ، وقتله بالقرب من رفاقه الاعزاء ، الذين لم يفلحوا فى مساعدته ـ رغم حزنهم على زميلهم ـ اذ أنهم كانوا فى هلع من هكتور العظيم !

ووصلوا الى وسط السفن ، فاحتموا بمقدماتها ، مقدمات السفن التى كانت قد سحبت الى الصف الاول . ولكن الطرواديين هجموا ، فتقهقر الارجوسيون رغم أنفهم عن السفن الخارجية ، ولكنهم صمدوا محتشدين الى جانب أكواخهم ، ولم ينتشروا فى أرجاء المعسكر ، اذ كبحهم العار والخوف ، فأخذوا يتنادون بغير انقطاع وبأعلى الاصوات ، ولكن صوت نسطور الجيرينى ـ حصن الآخيين ـ ارتفع على ما عداه ، وهو

يناشد كل رجل، مستحلفا اياه بمن أنجبوه قائلا : **«أصدقائى، كونوا رجالا ، واخجلوا من أولئك الاقوام . وليتذكر كل واحد منكم أطفاله وزوجته ، وأملاكه وأبويه ، أحياء كانوا أم أمواتا . من أجل من هم ليسوا معنا هنا ، أتوسل اليكم الآن ان تقفوا بثبات ، وألا تركنوا الى الفرار ! »**

وما ان قال هذا حتى أثار قوة وروح كل رجل ، وأزالت « أثينا » الضباب عن عيونهم ، فوصل اليهم الضوء من كلا الجانبين ساطعا : من جانب السفن ، ومن جانب الحرب التى لا تبقى على أحد . فشاهدوا جميعا هكتور ـ الرائع فى صيحة الحرب ـ ورفاقه ، أولئك الذين كانوا فى المؤخرة ولم يشتركوا فى القتال ، وكل من قاتل بجانب السفن السريعة .

اذ ذاك لم يعد قلب أياس ـ العظيم الجرأة ـ يقنع بالوقوف بعيدا عن مكان وقوف بقية أبناء الآخيين ، فأخذ يسير بخطى واسعة ، صاعدا وهابطا من ظهور السفن ، وفى يديه رمح طويل يلوح به .. رمح للقتال البحرى ، معقود بحلقات ، طوله اثنتان وعشرون ذراعا . وكما يسرج الرجل الخبير بشؤون الجياد أربعة خيول منتقاة من بين عدة خيول ، فيشد كلا منها الى الاخريات ويسوقها مسرعة من السهل الى المدينة العظيمة،عبر طريق عامة ، بين اعجاب الكثيرين ـ رجالا ونساء ـ وهو يمضى قدما ، بل انه ليقفز ، ويتنقل من جواد الى آخر ، وهى تعدو الى الامام .. هكذا ظل « أياس » يسير بخطى واسعة فوق ظهور السفن السريعة العديدة ، وقد ارتفع صوته الى السماء وهو دائب على مناداة الدانيين بصيحات هائلة ، كى يدافعوا عن سفنهم وأكواخهم . ولم يبق هكتور فى وسط حشد الطرواديين المدرعين بالدرقات،وانما انقض كصقر كاسر يهاجم قطيعا من الطيور المجنحة كان يأكل بجانب شاطى نهر .. قطيع من الاوز البرى ، أو الكراكى ، أو البجع الطويل الاعناق ..

هكذا انقض هكتور ـ هو الآخر ـ على سفينة دكناء الحيزوم هاجما عليها مباشرة ، وقد دفعه زوس من خلفه بيد خارقة القوة ، مثيرا الجيش كله معه .

وهكذا نشب القتال المرير ـ من جديد ـ بجانب السفن . ولست بحاجة الى أن أذكر لك أنهم أقبلوا على الحرب فى حمية، دون ما كلل ولا هوادة . وكانوا يفكرون فى نضالهم على هذا النحو : كان الآخيون يعتقدون أنهم ينبغى أن لا يهربوا من الخطر قط ، بل عليهم أن يفنوا هناك . بينما كان كل طروادى يأمل فى فؤاده أن يشعل النيران فى السفن ويقتل المحاربين الآخيين .. وبهذه الافكار ، وقف كل من الفريقين فى مواجهة الآخر . ولكن هكتور أمسك بمؤخر سفينة مبحرة ، سفينة بديعة،سريعة فوق البحر ، كانت قد حملت«بروتيسيلاوس» الى **طروادة** ، ولكنها لم تعد به ثانية الى وطنه (٤) . فحول سفينته راح الآخيون والطرواديون يقتلون بعضهم بعضا فى عراك متشابك ، ولم يعد أحد منهم ينأى لكى يرسل السهام والرماح فى الهواء ، بل وقف كل منهم جد قريب من الآخر ، وراحوا ـ بحمية واحدة ـ يقاتلون بالفؤوس الحربية الحادة وبالبلطات ، وبالسيوف الكبيرة والرماح ذات الحدين ! .. وكم من أسلحة هائلة ، محبوكة بسيور قاتمة عند المقبض ، سقطت فوق الارض ، بعضها من الايدى والبعض الآخر من أكتاف المحاربين وهم يقاتلون. .حتى تخضبت الارض السوداء بالدماء !

بيد أن هكتور لم يفلت السفينة ، حين أمسك بمؤخرها ، بل احتفظ بطرفها فى يديه ، وصاح فى الطرواديين بقوله : **« أحضروا النار ، وصيحوا صيحة الحرب جميعا فى صوت واحد ، فقد وهبنا زوس الآن يوما يفوق كل ما عداه..لسوف ندمر اليوم السفن التى جاءت الى هنا بالرغم من الآلهة ، جالبة الينا آلاما عديدة،بفضل جبن الشيوخ الذين منعونى ـ عندما**

كنت متلهفا الى القتال عند مؤخر السفن ـ كما منعوا الجيش. ولكن اذا كان زوس ـ الذى يجلجل صوته الى بعيـد ـ قد أثقل عقولنا ، فانه الآن من تلقاء نفسه يدفعنا ويرشدنا »

هكذا قال ، وشدد انقضاضه على الارجوسيين ولكن أياس لم يمكث فى مكانه طويلا ، اذ كانت الرماح تحاصره بشدة . ولما كان دائم الحذر من الموت، فانه تقهقر قليلا بجانب منصة طولها سبع أقدام (٥) ، تاركا ظهر السفينة البديعة . فوقف هناك حذرا ، يذود برمحه عن السفينة كل من سعى من الطرواديين الى أن يجلب اليها النار التى لا تكل ، وهو لا يكف عن اطلاق الصيحات المرعبة فى الدانيين ، قائلا : « أيها الاصدقاء ، أيهـا المحاربون الدانيون، يا خدام أريس .. كونو رجالا، يا أصدقائى، وشدوا عزائمكم على الجرأة الجامحة. أفنحسب أن ثمة حلفاء يحمون ظهورنا ، أو سيـاجا أقوى من هـذا يذود الموت عن الرجال ؟ .. الحق أن ليس ثمة مدينة محصنة بالابراج ، على مقربة منا لنحتمى بها ، ونجد فيها جيشا يستطيع أن يسيطر على كفة المعركة .. كلا ، ليس هناك شىء من هذا ، واننا لنقف فى سهل الطرواديين المتدثرين بالدرقات ، والبحر فى ظهورنا ، ونحن بمنأى عن وطننا . ومن ثم فالسلامة فى المعركة وليست فى التراخى عن القتال » .

هكذا قال ، وشرع يـكيل الطعنات للعـدو ، ثائرا برمحه الحاد .. فما من طروادى كان يهجم على السفن الجـوفاء ، بنيران مستعرة ـ ليدخل السرور على نفس هكتور ـ الا وكان « أياس » يكمن له برمحه الطويل . ولقد جرح اثنى عشر رجلا فى قتال متشابك أمام السفن !



الأنشودة السادسة عشرة

« .. ولم يلحظه باتروكلوس وهو يمر خلال الشغب ، لانه كان ملتفا بضباب كثيف . فوقف ابولو خلفه ، وضرب ظهره وكتفيه العريضتين براحة يده ، واذا بعينيه تدوران . وأطاح ابولو بالخوذة عن رأسه .. »

كيف حارب باتروكلوس ـ مرتديا حلة أخيل الحربية ـ فأقصى الطرواديين عن السفن ، ولكنه قتل ـ فى النهاية ـ على يد هكتور

بين «أخيل» و «باتروكلوس»

• **هكذا** كانوا يحاربون حول السفينة المكينة المقاعد (٦) ، ولكن «باتروكلوس» اقترب من «أخيل» ـ راعى الجيش ـ وهو يذرف دموعا سخينة، أشبه بنافورة من الماء القاتم تسكب تيارها المظلم على صخرة ناتئة . فلما أبصر به «أخيل» العظيم السريع القدمين ، أشفق عليه ، وخاطبه بكلمات مجنحة قائلا : « لماذا ، تسبح فى الدموع يا باتروكلوس ، كما لو كنت صبية غضة الاهاب ، تجرى الى جانب أمها ، وتطلب منها أن تحملها ، وتتعلق بثوبها فتعوقها عن السير ، وتتطلع اليها بعينين دامعتين ، الى أن تحملها الام ؟ انك لتذرف الدمع مثلها يا باتروكلوس .. ألديك ماتريد أن تبوح به للمورميدون أو لى أنا شخصيا ، أم هناك نبأ من **فثيا** لم يسمعه أحد غيرك ؟ .. انهم ليقولون ان مينويتيوس بن اكتور (٧) لايزال حيا ، وان بيليوس بن أياكوس يعيش وسط المورميدون ، فلو مات هذان لحزنا عليهما أشد الحزن وأمضه . أم تراك حزينا على الارجوسيين ، وكيف يقتلون بجانب السفن الجوفاء بسبب تصرفهم الجائر ؟ .. أفصح ، ولا تكتم الامر فى نفسك ، حتى نستطيع أن نعرفه نحن الاثنان »

عندئذ أجبت أيها الفارس «باتروكلوس» ـ وأنت ترسل زفرة حرى ـ فقلت : « أى أخيل ، يا ابن بيليوس ، يا من تبز جميع الآخيين عتوا .. لاتغضب ، فان نكبة بالغة قد حلت بالآخيين حقا ، وان جميع من كانوا فيما مضى أشجع الشجعان ، يرقدون الآن وسط السفن مصابين بالرماح أو

مجروحين بطعناتها . فقد أصيب ديوميديس العتيد ، ابن توديوس ، وجرح أوديسيوس - المشهور برمحه - بطعنة من رمح ، وكذلك أجاممنون .. كما أصيب يوروبولوس بسهم فى فخذه . وان الاطباء الماهرين فى شتي الاعشاب الطبية ، لمنهمكون حول هؤلاء ، يحاولون معالجة جراحهم ، بيد أنه لايمكن لاى رجل أن يعجم عودك ، يا أخيل .. فلا تدع مثل هذا الغضب يستبد بك ضدى أبدا ، ذلك الذى تحتفظ به ، أنت يامن أوتى جسارة على ايذاء الغير ! .. بم يمكن للاجيال القادمة أن تفيد منك ، اذا كنت لا تمنع الدمار المشين عن الارجوسيين ؟ **يا عديم الرحمة ، ان أباك - كما يبدو لى - لم يكن الفارس بيليوس ، لا ولا كانت « ثيتيس » أمك ، ولكن البحر الرمادى هو الذى حملك ، والصخور الناتئة ، اذ أن قلبك لا يلين** . أما اذا كنت تتحاشى نبوءة مافى نفسك ، أو أخبرتك أمك الجليلة بشىء ما من لدن زوس ، فيمكنك على الاقل أن ترسلنى بسرعة ، ودع بقية جيش « المورميدون » يتبعونى ، لعلى أستطيع ان أبرهن على أننى ضوء الخلاص للدانيين . وامنحنى الحق فى ان أشد الى كتفى حلتك الحربية ، أملا فى أن يحسبنى الطرواديون اياك ، وبذلك يكفون عن الحرب ، فيمكن لابناء الآخيين الجسورين أن يتنفسوا الصعداء ، وهم متعبون ، لان أمد التنفس فى الحرب ضئيل .. واذ ذاك نستطيع نحن غير المتعبين أن نطرد - بسهولة - الرجال المتعبين ، فنردهم بالقتال الى المدينة ، بعيدا عن السفن والاكواخ »

هكذا تكلم متوسلا ، فياله من أحمق ! لانه فى الحقيقة انما كان يتوسل لموته ومصيره المشئوم . عندئذ تحدث اليه « أخيل » - السريع القدمين - وقد تأثر فى نفسه تأثرا عميقا ، فقال : « الويل لى ، يا باتروكلوس ، سليل زوس .. ما هذا الذى قلت ؟ اننى لا أكترث لاية نبوءة أنبئت بها ، كما أن أمى الجليلة لم تخبرنى بشىء من عند زوس . ولكن حزنا بغيضا

يهبط على قلبي ونفسي ، عندما يعتزم انسان أن يسلب آخر من أنداده ، ويغتصب منه جائزته ، لانه يفوقه قوة . ان هذا ليسبب لى غما مابعده غم ، اذ أننى قد عانيت الآلام فى قلبى . ان الفتاة التى انتقاها لى أبنـاء الآخيين جائزة .. تلك التى ربحتها برمحي - عندما خربت مدينة مكينة الاسوار - أخذها من بين ذراعى الملك أجاممنـون بن أتريوس الجبـار ، وكأننى غريب متطفل .. **ومع كل فلندع الماضى لانه فات وانقضى . وليس لانسان أن يضمر الغضب الى الابد. وان كنت قد قلت أننى لن أطرح عني الغضب ، حتى تحين الساعة التى تاتى فيها الى سفنى صيحة الحرب والقتال .** فتعال اذن ، وضع حلتى الحربية الرائعة فوق كتفيك، وتول قيادة المورميدون المشغوفين بالقتال ، اذا كانت غمامة الطرواديين السوداء قد طوقت السفن حقا ، ودفعت الارجوسيين الى سـاحل البحر ، ولم تبق لهم سوى رقعة ضيقة من الارض ، وقد خرجت مدينة **طـروادة** على بكرة أبيها ضدهم غير هيابة .. لانها لا ترى مقدم خوذتى الشديدة التألق قريبا ! ولو ان الملك أجاممنون كان قد أحسن معاملتى ، لجعلت الطرواديين يفرون خفافا ، ولامتلأت مجارى المياه بموتاهم . ولكنهم الآن يحاربون حول المعسكر ، لان الرمح لايثور فى يدى « ديوميديس بن توديوس » ، ليـدفع الخراب عن الدانيين ، كما أننى حتى الآن لم أسمع صوت ابن أتريوس، صارخا من فمه البغيض ! .. كلا ، فما يجلجل حولى سـوى صوت هكتور قاتل البشر ، مناديا الطرواديين ، وهم يمـلأون السهل كله بصيحاتهم ، ويفنون الآخيين فى القتال . ومع كل، فاهجم فى جبـروت يا باتروكلوس ، كى تدفع الخـراب عـن السفن ، خشية أن يحرقوها فعـلا بالنار المستعرة ويحرموا الاغريق من عودتهم المشتهاة . اصغ الى حتى اقر فى ذهنـك آخر نصائحى ، وبذلك يتسنى لك - على ماأرى - أن تكسب لي مجدا عظيما وشهرة على جميع الدانيين ، عسى أن يردوا

لى تلك الفتاة الفاتنة ، ويضيفوا اليها جوائز نفيسة . وبعد أن تطردهم من السفن، عد ثانية .. واذا أنعم عليك بعل هيرا (٨) ـ المرعد عاليا ـ بكسب المجد ، فلا تتلهف الى محاربة الطرواديين ـ المحبين للقتال ـ بعيدا عنى ، فانك بذلك تقلل من مجدى . **واياك أن تسير الى (طروادة) ـ فى نشوة الحرب والقتال وتذبيح الطرواديين ـ لئلا يهبط أحد الآلهة الخالدين من أوليمبوس وينضم الى القتال. فان أبولو ـ الذى يعمل من بعيد ـ يحبهم حبا جما** . كلا ، بل عد أدراجك بمجرد أن تحصل على بارقة خلاص وسط السفن ، ودع للباقين مشقة القتال فى السهل . لاننى أتمنى ـ يا أبتاه زوس ، ويا أثينا ، ويا أبولو ـ ألا يتمكن طروادى واحد، من الموجودين هناك، من أن ينجو من الموت .. ولا أى فرد من الارجوسيين ، بل لننجو نحن الاثنان من الهلاك كى نحظى وحدنا بتاج طروادة المقدس » .

هكتور يشعل النار فى السفن

• هكذا تكلم كل منهما الى الآخر، ولكن أياس (٩) لم يصمد أكثر من ذلك ، لان الرماح كانت تحاصره بشدة .. كانت مشيئة زوس متفوقة عليه ، وكذلك الطرواديون الظافرون بحرابهم ، فأخذت الخوذة البراقة تجلجل حول صدغيه بعنف ـ بغير انقطاع ـ والرماح تصيبها ، اذ كانت تضرب باستمرار فوق قطع الخدين المتينة الصنع . ودب التعب بكتفه اليسرى ، اذ كان ممسكا بترسه البراق باحكام ، يلوح به دون هوادة . ولم يكن فى مقدورهم أن يدفعوه اليه محطما ، رغم ضغطهم الشديد عليه بالرماح .. وزاده تعبا ان ضاقت أنفاسه ، وأخذ العرق يتصبب من أطرافه غزيرا من كل جانب ، دون أن تتاح له لحظة يسترد فيها أنفاسه ، فكان الاذى يتراكم على الاذى ، من كل جانب !

والآن ، خبرننى يا ربات الشعر ، يا من لكن مســاكن فوق **أوليمبوس** : كيف اندلعت النار لاول مرة فى سفن الآخيين ؟

انه هكتور الذى اقترب من «أياس» وضرب رمحه الدردارى بسيفه الكبير بالقرب من طرفه ـ عند قاعدة السن ـ فحطمه شر تحطيم ، وبذا كان أياس يلوح عبثا برمح عديم السن ، اذ سقطت رأس الرمح البرونزية بعيدا عنه ، تجلجل على الارض. وعندئذ ارتجف أياس اذ هالته أعمال الآلهة ، فقد أدرك ـ فى قرارة قلبه ـ كيف أن زوس ، الذى يرعد فى عليائه ، قد أفسد عليه خططه الحربية كلية ، ليمنح الظفر للطرواديين . فتقهقر بعيدا عن مرمى الرماح. **واذ ذاك قذف الطرواديون على السفينة السريعة ناراً ضارية، فاندلعت فيها نيران لاسبيل الى اخمادها.**



وهكذا طوقت النيران مؤخر السفينة ، ولكن « أخيل » ضرب كلتا فخذيه ، وتحدث الى باتروكلوس قائلا : « انهض الآن يا باتروكلوس، يا سليل زوس، وسيد الفرسان. فوا عجبا انى لارى هجمة النار المدمرة بجانب السفن . ليتهم لايستولون على السفن ، ولا يكون هناك فرار بعد ذلك ! .. ألبس حلتى الحربية بمنتهى السرعة ، ريثما أجمع أنا الجيش »

المورميدون يستعدون

• **وما أن** قال هذا ، حتى أعد باتروكلوس نفسه فى البرونز البراق ، فلبس أولا درعى السيقان حول ساقيه ، وكانتا بديعتين ، ومثبتتين بقطع من الفضة فى عقبيه. ثم ارتدى حول صدره درقة ابن أياكوس السريع القدمين، المصنوعة صنعا فاخرا، والمزركشة بالنجوم . ورفع السيف البرونزى المرصع بالفضة على كتفيه ، واتبع ذلك بالدرع الكبيرة المكينة ، ثم وضع الخوذة المتينة الصنع ـ ذات الخصلة من شعر الخيل ـ فوق رأسه العتيد ، فأخذت الخصلة تهتز بشدة . وتناول رمحين قويين يليقان بقبضتيه . ولكنه لم يأخذ رمح ابن أياكوس المنعدم النظير . . ذلك الرمح الثقيل ، الضخم ، المتين ، الذى لم يكن فى مقدور غيره من الآخيين أن يستخدمه ، اللهم الا أخيل وحده الذى برع فى استخدامه . انه ذلك الرمح البيلى ، المصنوع من الدردار ، الذى أعطاه خايرون لابيه العزيز ، وصاغه ذؤابة بيليون ليكون أداة لقتل المحاربين . وأمر « أوتوميدون » (١٠) أن يضع النير بسرعة على أعناق الجياد ، وكان يبجله أعظم تبجيل ـ بعد «أخيل» ، محطم صفوف البشر ـ ويعتبره أعظم الجميع اخلاصا لندائه فى المعركة. وعند أمره ، قاد «أوتوميدون» الجوادين السريعين تحت النير ، وهما : كسانثوس وباليوس اللذان كانا يطيران فى سرعة الريح ، واللذان أنجبتهما الهاربيو بودارجى للريح الغربية ، بينما كانت ترعى فى المرج بجوار مجرى أوقيانوس . وفى جرارات العربة الجانبية ، أسرج بيداسوس العظيم الذى أحضره أخيل ، ذات مرة ، عندما استولى على مدينة **أيثيون**. ومع أنه كان من جياد الدنيا الفانية ، الا أنه جارى الجوادين الخالدين !

أما « أخيل » ، فقد راح يسير خلال الاكواخ ، ويحمل جميع المورميدون على ارتداء حللهم الحربية ، ثم تدفقوا الى الامام

كالذئاب النهمة ، وفى قلوبها قوة تفوق الوصف .. ذئاب قتلت فى التلال غزالا عظيم القرون ، ومزقته فتخضبت أفواهها جميعا بالدم . ثم أقبلت بجمعها تلعق بألسنتها الرفيعة سطح الماء الاسود فى نبع قاتم ، متجشئة الدم فى نفس الوقت ، وقلوبها رابضة فى صدورها ، وبطونها منتفخة .. **هكذا هرع القادة وحكام المورميدون فورا ، فالتفوا حول الخادم الشجاع لابن أياكوس السريع القدمين . وفى وسطهم جميعا وقف « أخيل » الباسل ، يحمس كلا من الجياد والرجال الذين يحملون التروس .**

خمسون كانت السفن السريعة التى قادها «أخيل» — حبيب زوس — الى **طروادة**. وفى كل سفينة خمسون رجلا من رفاقه يجلسون بجانب فتحات المجاذيف . وكان قد عين خمسة من القواد الموثوق بهم لاصدار أوامره ، بينما تزعم بنفسه الجميع، بفضل قوته العظيمة. وكانت الفرقة الاولى بقيادة مينيسثيوس ذى الدرقة اللامعة ، ابن سبيرخايوس ، النهر المنحدر من السماء .. وقد أنجبته ابنة بيليوس — بولودورا الفاتنة (١١) — لسبيرخايوس الذى لا يكل .. امرأة اضطجعت مع اله ، ولكنه كان — بالاسم — ابنا لبوروس بن بيريريس،الذى تزوجها علنا ، عندما قدم لها هدايا عرس لا تعد ولا تحصى ! .. أما قائد الفرقة الثانية فكان يودوروس الصنديد ، ابن فتاة لم تتزوج ! فقد أنجبته بولوميلى ابنة فولاس المبدعة فى الرقص. اذ افتتن بها صياد أرجوس القوى (١٢) عندما وقع بصره عليها وسط العذارى المغنيات ، فى قاعة رقص ارتيميس ، الصيادة السريعة الجرى ، ذات السهام الذهبية . فصعد هيرميس البار الى غرفتها العليا فى الحال ، واضطجع معها سرا ، فأنجبت له ابنا عظيما ، هو « يودوروس » ، وكان مبرزا فى سرعة القدم والقتال . وما أن رأى النور ، بمعونة « ايليثويا » — ربة المخاض — ورأى أشعة الشمس، قاد اخيكليس بن اكتورالمغوار

« بولوميلى » الى بيته ، بعد أن قدم لها هدايا زواج تفوق الحصر . وراح فولاس العجوز يربى « يودوروس » ويرعاه بحنان ، ويحبه ويعزه كما لو كان ابنه الحق .. أما الفرقة الثالثة فكان قائدها « بايسناندر » الباسل ، ابن مايمالوس المبرز وسط جميع المورميدون فى القتال بالرمح ، من بعد رفيق ابن بيليوس .. وقاد الفرقة الرابعة الفارس المسن فوينكس (١٣)، والخامسة الكيميدون (١٤) المنقطع النظير ، ابن لايركيس . واذ أعدهم « أخيل » أخيرا فى صفوف مع قادتهم – وقد فصل كل فرقة عن الاخرى – أصدر اليهم أمره صارما ، اذ قال :

« أيها المورميدون، اننى آمركم بأن لاينسى أحدكم التهديدات التى هددتم بها الطرواديين بجوار السفن السريعة طوال مدة غضبى ، وقد عنفنى كل واحد منكم ، قائلا : « أيها الابن القاسى لبيليوس ، لا بد أن أمك قد نشأتك على غل ، يا عديم الرحمة ، لانك تحتجز رفاقك بجانب السفن ضد ارادتهم . فلنعد ثانية الى الوطن بسفننا البحرية، طالما أن غضبا شريرا كهذا قد تملك قلبك ! » . . بمثل هذه العبارات كثيرا مااجتمعتم ورميتمونى . وها هو ذا الآن عمل حربى عظيم أمامكم ، طالما استهواكم فيما مضى . فليقاتل كل واحد منكم الطرواديين بقلب جسور »

وما ان قال هذا حتى أثار قوة جميع الرجال وشجاعتهم ، فازدادت الصفوف تقاربا عندما سمعوا مليكهم .

وكما يحدث عندما يبنى الرجل حائط منزل عال بأحجار متراصة ، ليتحاشى قوة الرياح ، هكذا أيضا كانت خوذاتهم وتروسهم – ذات الحدبات – متراصة فى تقارب شديد ، فكان الترس يحتك بالترس ، والخوذة بالخوذة ، والرجل بالرجل . وكانت الخصلات المتخذة من شعر الخيل تتلامس فوق حافات الخوذات البراقة ، كلما حرك الرجال رؤوسهم . فى مثل هذا الترتيب المتراص ، وقفوا واحدا بجانب الآخر . وفى مقدمتهم جميعا ، تأهب اثنان للقتال : باتروكلوس وأوتوميدون . وقد

وطد كلاهما العزم على أن يقاتل فى مقدمة المورميـدون . أما أخيل فذهب الى كوخه ، وفتح غطاء صنـدوق بديع فاخـر الترصيع ، كانت « ثيتيس » ـ الفضية القدمين ـ قد وضعته فى سفينته كى يحمله معه ، بعـد أن ملاته تمـاما بالعباءات والمعاطف الواقية من الريح ، وبأبسطة من الصوف . وكانت بداخله كأس بديعة الصنع ، ما كان لانسان أن يطمـع فى أن يشرب منها الخمر النارية التألق ، وما كان هو ليتوق الى أن يسكب بها تقدمات الشراب لاى اله سوى أبيه زوس . فتناول هذه الكأس من الصندوق ، ونظفها أولا بالكبريت ، ثم غسلها فى مجارى الماء الهادئة ـ كما غسل يديه ـ وملأها خمراصهباء. ثم صلى ، وهو واقف وسط الساحة ، وسكب الخمر متطلعا الى السماء ! ولم يـكن ليخفى ـ اذ ذاك ـ على عينى زوس ، الذى يقذف بالصاعقة. ثم قال : « أى زوس ، أيها الملك الدودونى (١٥) البيلاسجى (١٦) ، يا من تسكن نائيا ، حاكما على دودونا الشتوية ، ويقطن حولك « السيلى » مفسرو علاماتك ـ ذوو الاقدام غير المغسولة ـ الذين ينامون فوق الارض . لقد كنت فى سابق الازمان تستمع الى كلامى حين كنت أدعوك : ولقـد أكرمتنى ، فضربت جيش الآخيين بقوة . فحقق لى ـ الآن كذلك ـ رغبتى هذه ، ولسوف أبقى أنا نفسى فى حشد السفن ، بينما أرسل زميلى مع جيش « المورميـدون » ليحـارب : **فلترسلن المجد معه ، يا زوس ـ يا من يحمـل صوته نائياً ـ واجعل القلب القائم فى صدره جسورا ، كى يعلم هكتور ما اذا كان خادمى ماهرا وحده فى القتال ، أم أن يديه لا تهيجان دون تردد الا كلما خضت أنا فى ساحة قتال أريس .** وبعد أن يقصى الحرب وطنينها بعيدا عن السفن ، ويغدو كل شىء سالما من العطب ، فأعده الى السفن السريعة بكل أسلحته ، ورفاقه الذين يقاتلون فى عراك متشابك »

هكذا تكلم متوسلا ، وسمعه زوس ، المستشار ، فمنحـه

جزءا مما طلب ، وأبى عليه الجزء الاخر .. وافق على أن يدفع باتروكلوس الحرب والقتال بعيدا عن السفن .. أما عودته سالما من المعركة فقد أباها

وبعد أن سكب « أخيل » السكيبة وصلى للاب زوس، ذهب ثانية الى خيمته ، وأعاد الكأس ثانية الى الصندوق، وأقبل فورا يقف أمام الكوخ ، لان قلبه كان لايزال تواقا الى مشاهدة الصراع الفتاك بين الطرواديين والآخيين .



أما أولئك الذين اصطفوا مع باتروكلوس العظيم النفس ، فظلوا يسيرون حتى انقضوا على الطرواديين بأرواح عالية . وفى الحال تدفقوا كأنهم زنابير الطريق التى يتوق الصبيان الى اثارة غضبها ، وتعذيبها فى عشاشها بجانب الطريق .. فيا لهم من حمقى ، وكم من شر عام يسببونه للكثيرين ! .. ذلك أن الزنابير — اذا تصادف ان مر عليها راحل ما ، فأثارها عن غير قصد — تنطلق كلها طائرة بكل ما فى قلبها من جرأة ، وتقاتل كل منها دفاعا عن صغارها .. هكذا تدفق « المورميدون » من السفن بجرأة وشجاعة ، فارتفعت صيحة لا تخمد . ولكن باتروكلوس نادى على رفاقه بصرخة عالية ، قائلا : « **أيها المورميدون ، زملاء أخيل بن بيليوس ، كونوا رجالا يا أصدقائى وتذكروا جراتكم الثائرة ، كى نستطيع أن نكسب المجد لابن بيليوس — خير الارجوسيين — الذى يقوم بجانب السفن ، ومعه**

أعوانه الخبيرون بالنزال .. وكي يدرك أجا ممنون الواسع الملك – ابن أتريوس – عمى قلبه ، اذ أنه لم يحترم قط خير الآخيين »

وما ان قال هذا حتى أثار قوة الرجال جميعا وحميتهم فانقضوا على الطرواديين فى حشد واحد ، فرددت السفن حولهم صيحة الآخيين بدرجة عجيبة . على أن الطرواديين لم يكادوا يبصرون ابن مينويتيوس الجسور نفسه ، وخادمه ، يتألقان فى حلتيهما الحربيتين ، حتى اضطرب قلب كل رجل ، وارتجفت كتائبهم اذ حسبت أن ابن بيليوس السريع القدمين قد نزل عن غضبه – وهو بجانب السفن – وعاد الى الوئام . وراح كل رجل يتلفت حوله ينشد سبيلا يمكنه من أن يهرب من الهلاك المحقق .

مغامرات باتروكلوس

• **واذ ذاك** كان باتروكلوس هو أول من رمى برمحه البراق فى الوسط مباشرة ، حيث كان الرجال متكتلين بشدة بالقرب من مؤخر سفينة بروتيسيلاوس العظيم الهمة ، فأصاب بورايخميس ، الذى كان يقود البايونيين – سادة العربات – خارج **امودون** ، قادما بهم من **أكسيوس** الواسع الجريان . ولقد أصابه فوق كتفه اليمنى ، فسقط الى الوراء فى التراب وهو يئن ، ومن حوله دبت الفوضى بين رفاقه البايونيين ، فقد بث باتروكلوس الفزع فيهم ، بقتله قائدهم المبرز فى القتال . وطردهم من داخل السفن ، وأطفأ النار المشتعلة . وبقيت السفينة هناك نصف محترقة ، وقد جلا عنها الطرواديون فى فوضى ، محدثين طنينا عجيبا . وتدفق الدانيون وسط السفن الجوفاء ، فتصاعد صخب لا يكف . وكما يحدث عندما يسوق زوس – الذى يجمع البروق من الذؤابة العالية لجبل شامخ – سحابة كثيفة ، بعيدا ، فتتجلى للعيان – فى الحال – جميع قمم الجبال والربى العالية والوهاد ، ومن السماء ينطلق الهواء اللانهائى .. هكذا أيضا تمتع

الدانيون ، عندما أبعدوا النار النهمةعن السفن ، وحظوا براحة وجيزة . **ومع ذلك ، فلم يكن هناك أى توقف عن القتال ، اذ لم يكن الطرواديون قد أجلوا نهائيا ، عن السفن السوداء ـ على أيدى الآخيين أحباء اريس . بل انهم ظلوا يحاولون مقاومتهم ، ويتقهقرون عن السفن بالقوة .**

وأخذ الرؤساء ـ بعد ذلك ـ يقتلون بعضهم بعضا ، بمجرد أن انتشر المحاربون فى ساحة الوغى . فأولا : أصاب ابن مينويتيوس الجسور فخذ أرايلوكوس برمية من رمحه الحاد ، فى الوقت الذى استدار فيه ليهرب . وانغرس البرونز عميقا ، فحطم الرمح العظم ، وانكفأ على وجهه فوق الأرض .. وطعن مينيلاوس الباسل فأصاب ثواس (١٧) فى صدره ـ الذى كان عاريا عند حافة الدرع ـ وأرخى أطرافه . وبينما كان ابن فوليوس يراقب أمفيكلوس ـ وهو ينقض عليه ـ أثبت انه اسرع من غريمه ، فضربه فوق قاعدة ساقه ، حيث تبلغ العضلة أقصى سمكها .. وتمزقت الاوتار العضلية حول طرف الرمح ، وخيمت الظلمة على عينيه . ثم جاء أنتيلوخوس ـ أحد أولاد نسطور ـ وطعن أتومنيوس برمحه الحاد ، دافعا الرمح البرونزى خلال جنبه ، فسقط الى الامام . ولكن ماريس ـ الذى كان قريبا ـ هجم برمحه على انتيلوخوس ، غضبا لمقتل شقيقه . واتخذ وقفته أمام الميت ، بيد أن ثراسوميديس ـ شبيه الاله ـ كان أسرع منه كثيرا . وفى الحال ضربه فوق كتفه ـ قبل أن يتمكن من الطعن ـ فلم يخطئه ، ومزق طرف الرمح قاعدة الذراع ، بعيدا عن العضلات ، وفصل العظم وحطمه ، فسقط مرتطما بالارض ، وخيمت الظلمة على عينيه . ولما هزم هذان الاثنان ـ بأيدى شقيقين ـ انطلقا فى طريقهما الى ايريبوس (١٨) ، وهما الرفيقان العظيمان لساربيدون (١٩) ، والرماحان ابنا اميسوداروس الذى ربى الخيمايرا الجبارة ، جالبة الهلاك لكثير من البشر . وقفز اياس بن أويليوس ، على كليوبولوس ، وأمسك به حيا ،

مرتبكا وسط الحشد . وهناك أيضا جرده من قوته ، اذ ضرب عنقه بسيفه البتار ، فسرت السخونة الى جميع النصل من دمه ، وأغمض الموت المظلم عينيه ، فلقى مصيره الرهيب . عند ذلك انقض كل من بينيليوس ولوكون على الآخر — فى وقت واحد — برمحيهما ، فأخطأ كل منهما الثانى ، ورمى كلاهما رمحه عبثا ، ولكنهما عادا من جديد ، فهجما بسيفيهما — فى آن واحد — وضرب لوكون غريمه فوق قرن الخوذة — ذات الخصلة المتخذة من شعر الخيل — فتحطم السيف عند مقبضه . ولكن بينيليوس ضرب عنقه أسفل أذنه ، فانغرس النصل كله ، ولم يبق غير الجلد . وتدلى الرأس جانبا ، وارتخت الاطراف . أما ميريونيس فقد باغت أكاماس بخطى واسعـــة سريعة — بينما كان يعتلى عربته — وأصابه فوق كتفه اليمنى ، فهوى من عربته ، وخيمت غمـــامة فوق عينيه . ثم ضرب ايدومينيـــوس « أروماس » فوق فمه بطعنة من البرونز الذى لا يرحم ، فمرق الرمح البرونزى الى الداخل — أسفل المخ — وشق العظام البيضاء ، وتساقطت أسنان أروماس ، وامتلأت عيناه بالدم . وكذلك أخذ الدم يتدفق من فمه ومنخريه كلما فغر فاه ، وغشيت عينيه سحابة سوداء من الموت .

وهكذا قتل كل قائد من قادة الدانيين غريما . وكمـــا تهجم الذئاب الفاتكة على الحملان أو الجداء ، منتقية اياها من بين القطعان اذ تتناثر وسط الجبال فى غفلة من الراعى ، فتبصر بها الذئاب ، وفى الحال تخطف صغارها الضعيفة القلوب .. هكذا أيضا هجم الدانيون على الطرواديين ، فاذا بهؤلاء يوطدون العزم على الفرار المزرى ، وينسون شجاعتهم الثائرة .

وكان أياس العظيم دائم التلهف على قذف رمحه صوب خوذة هكتور البرونزية ، ولكن هذا غطى كتفيه العريضتين بدرع من جلد الثور ، وراح — بدهائه فى الحرب — يراقب دوران السهام السريعة ، وقذف الرماح . فعرف أن تيار النصر كان ينحرف

حقا ، ولكنه رغم ذلك صمد ، وحاول جهده أن ينقذ زملاءه المخلصين .
وكما يحدث عندما تتجه سحابة من **أوليمبوس** مغادرة الهواء المقدس ، نحو السماء ، حين ينشر زوس العاصفة .. هكذا أيضا انبعث صراخ الطرواديين وشغبهم وهم ينأون عن السفن ، ولم يخطوا بنظام وهم يعبرون الخندق من جديد . أما هكتور فقد حملته جياده السريعة الاقدام بعيدا بعدته الحربية ، وترك جيوش **طروادة** ، التي حجزها الخندق العميق ، على غير رغبتها. وفي الخندق قام كثير من الجياد التي كانت تجر العربات ، بتحطيم مقدمات أذرع العربات ، لتنطلق متحررة منها . ولكن باتروكلوس تعقبها ، وهو ينادي بشدة على الدانيين ، وقد أضمر الشر للطرواديين ، بينما ملأ هؤلاء جميع الطرقات صياحا ، اذ تحطمت صفوفهم ، وارتفع مثار النقع عاليا حتى بلغ السحب . وجاهدت الخيول القوية الحوافر عائدة الى المدينة من السفن والاكواخ . ولكن باتروكلوس أخذ يقود عربته الى أكثر البقاع ازدحاما بالهاربين ، وهو يصيح . وطفق الرجال يتساقطون بسرعة من عرباتهم تحت عجلاته ، وقد انقلبت عرباتهم . ولكن الجياد السريعة ـ الجياد الخالدة التي أعطتها الآلهة لبيليوس هدية مجيدة ـ قفزت قدما عبر الخندق . **وراح قلب باتروكلوس يحثه ضد هكتور ، لانه كان تواقا الى اصابته . ولكن جياد هكتور السريعة ظلت تحمله بعيدا .** وكما يحدث أن يشتد الضغط على الارض السوداء كلها تحت وطأة العاصفة ـ في أحد أيام الحصاد ـ عندما يسقط زوس الامطار بمنتهى العنف ، كلما اشتد غيظه من البشر الذين يصدرون بالقوة أحكاما عوجاء في مكان الحشد ، ويطردون العدالة خارجا ، غير مكترثين لانتقام الآلهة ، فتفيض جميع أنهارهم ، وتشق السيول طريقها عميقا خلال تلال كثيرة ، وتتدفق من الجبال بسرعة الى البحر القاتم بهدير عنيف ، فتخرب الحقول التي فلحها البشر .. بمثل هذا العنف كان صهيل أفراس الطرواديين وهي تسرع الى الامام !

وبعد أن فرق باتروكلوس الكتائب الاولى ، دفعها ثانية صوب السفن ، دون أن يمكنهم من وضع أقدامهم فى المدينـــة ، رغم شوقهم ، اذ هجم وسطهم بين السفن والنهر والجدار المرتفع ، وقتلهم ، فثأر للقتلى الكثيرين من زملائه . وضرب هنـاك أولا « برونوس » برمية من رمحه البراق ، فوق صــدره ، فى مكان كان عاريا بجانب حافة الدرع ، وأرخى أطرافه ، فسقط مرتطما بالارض . ثم هجم عـلى ثيستور بن اينـوبس ، وكان يجلس القرفصاء فى عربته المصقولة . فقد كان باله مشتتا من الذعر ، فأفلتت الاعنة من يديه، وعندئذ اقترب منه باتروكلوس، وضربه فوق صدغه الايمن برمحه ، ودفعه خلال أسنانه ، ثم جـذب باتروكلوس الرمح فوق حافة العربة ، كما يحـدث تماما عندما يجذب رجل جالس على صخرة ناتئة سمكة مقدسة (٢٠) من البحر الى البر ، بخيط وشص لامع من البرونز . هكذا أيضـا جذب الرمح البراق ومعه ثيستور الذى كان فاغر الفم فى العربة، وألقى به فوق الارض منكفئا على وجهه ، ففارقته روحه بمجرد أن سقط .

وما أن هجم عليه « ارولاوس » ــ بعد ذلك ــ حتى ضربه بصخرة على راسه ، بكل ما اوتى من قوة ، فانشق راسه نصفين داخل الخوذة الثقيلة ، وسرعان ما وقع على الارض ، وقد هبط عليه الموت، قاتل الروح . ثم جندل «اروماس» ، وامفوتيروس، وايبالتيس ، وتليبوليموس ــ وهما ابنا داماستور ، واخيوس، وبوريس ، وايفيوس ، وايبوس ، وبولوميلوس بن ارجياس .. كل هؤلاء أسقطهم واحدا بعد آخر على الارض الفسيحة .

مصرع ساربيدون

• **غير أن** ساربيدون لم يكد يرى رفاقه ــ الذين يرتدون العباءة بغير زنار ــ يتهاوون بين يدى باتروكلوس بن مينويتيوس،

حتى صاح عاليا ، يعير اللوكيين ، أشباه الآلهة ، قائلا : « **بالعار ، أيها اللوكيون ، الى أين أنتم هاربون ؟ أسرعوا الآن الى القتال ، ودعونى أنازل هذا الرجل ، كى أستطيع معرفة من يكون هذا البطل الذى له الغلبة هنا ، والذى أنزل بالطرواديين كثيرا من الأسى ، حيث أرخى ركب كثير من الرجال الاخيار ! »**

وما ان تكلم ، حتى وثب فى حلته الحربية من عربته الى الارض . فلما أبصر به باتروكلوس — فى الجهة المقابلة — انقض من عربته . وكما تتقاتل النسور ذات البراثن المعقوفة والمناقير المقوسة ، وهى تصرخ عاليا فوق صخرة شاهقة .. هكذا أيضا بالصرخات هجم كل منهما على الآخر . وأشفق ابن كرونوس ، ذو المشورة الملتوية ، عندما شاهدهما . فتحدث الى « هيرا » — شقيقته وزوجته — قائلا : « ويحى ، الويل لى ، لانه مكتوب أن ساربيدون — أعز الناس على — سيلقى حتفه على يدى باتروكلوس بن مينويتيوس ! وان قلبى لمنقسم فى صدرى الى قسمين ، اذ يتنازعنى رأيان : هل أخطفه وهو لا يزال حيا وأبعده عن الحرب المبكية فى ارض **لوكيا** الغنية ، أم أتركه الآن يقتل على يدى ابن مينويتيوس ؟ » .. فأجابته هيرا الجليلة ، بقولها : « يا أفظع ابن لكرونوس ، ما هذا الذى تفوهت به ! ما هو الا رجل من البشر ، ذو أجل محدد ، أفى نيتك أن تخلصه ثانية من الموت المؤلم ؟ .. افعل ما يحلو لك ، ولكنا جميعا نحن الآلهة الآخرين — لا نقر ذلك . **وسأقول لك شيئا آخر ، فضعه نصب عينيك : اذا أرسلت ساربيدون حيا الى داره ، فتذكر انه ربما كان ثمة اله آخر يرغب كذلك فى أن يقصى ابنه العزيز عن الصراع العنيف . فان كثيرا من أبناء الخالدين يحاربون حول مدينة بريام العظيمة ، ولسوف تثير الغضب الرهيب لدى كثير من الآلهة .** أما اذا كان هذا عزيزا عليك ، وقلبك يأسى من أجله ، فدعه يقتل فعلا — فى الصراع الطاحن — على يدى باتروكلوس بن مينويتيوس ، حتى اذا غادرته روحه وحياته ، فأرسل الموت

والنوم اللذيذ ليحملاه الى أرض **لوكيا** الفسيحة ، وهناك سوف يتولى أشقاؤه وأقاربه دفنه فى أكمة ، ويقيمون له نصبا . فهذا حق للموتى ! »

هكذا تكلمت ، فلم يتردد ابو البشر والآلهة فى الاصغاء اليها . ومع ذلك فانه أراق على الارض وابلا من الدماء ، تكريما لابنه العزيز ، الذى كان باتروكلوس على وشك أن يقتله فى أرض **طروادة** العميقة التربة ، بعيدا عن وطنه .

فلما اقتربا ، وهما يسعيان ـ كل نحو الآخر ـ اذا بباتروكلوس يضرب تراسوميلوس المجيد ، الخادم الجسور للامير ساربيدون ، فأصابه فى أسفل أحشائه ، وأرخى اطرافه . وعندما انقض عليه ساربيدون بدوره ، أخطأه برمحه البراق ، وأصاب الرمح الجواد بيراسوس فى كتفه اليمنى ، فحمحم الحصان عاليا وهو يلفظ روحه ، وهوى فوق الثرى وهو يئن . وطارت روحه من جسمه . ولكن الاثنين الآخرين تقهقرا هنا وهناك ، واز النير ، وتخبطت من فوقهما الاعنة عندما وقعت فوق التراب جرارة الخيول . ومع كل فقد وجد أوتوميدون ـ المشهور برمحه ـ علاجا لهذا ، بأن استل سيفه الطويل من جانب فخذه المكينة ، وقفز فورا ليقطع جرارة الجياد ، غير مضطرب . وعندئذ نهض الجوادان الآخران ، وشدا الى الاعنة من جديد . وعاد المحاربان يلتقيان فى قتال مهلك للارواح .

ومن جديد أخطأ ساربيدون تسديد رمحه البراق نحو كتف باتروكلوس اليسرى ، فمرق طرف الرمح ولم يصبه . **ولكن باتروكلوس انقض عليه ـ بدوره ـ بالبرونز ، ولم يطر الرمح من يده بغير طائل ، بل أصاب عدوه فى موضع التصاق عضلة الحجاب الحاجز حول القلب النابض . فسقط كما تسقط شجرة البلوط أو الصفصاف أو شجرة الصنوبر الباسقة ، التى يقتطعها صناع السفن وسط الجبال بالفؤوس المشحوذة ، لتكون أخشابا للسفن** . هكذا أيضا رقد ممددا امام جياده وعربته ، يئن انينا

عاليا ، ويتشبث بالتراب الدامى . وكما يتسلل اسد وسط قطيع فيقتل ثورا عاتيا شجاع القلب ، بين الابقار ذات المشية المتثاقلة .. هكذا ايضا راح قائد رجال الدروع اللوكيين يصارع الموت تحت باتروكلوس ، ونادى زميله العزيز قائلا : « ياجلاوكوس العزيز ، أيها المقاتل بين رجال الحرب ، عليك الآن حقا أن تبرهن على أنك رماح ومقاتل صنديد ، ولتكن الحرب البغيضة الآن مشتهى قلبك ، اذا كنت رجلا قويا . سر أولا هنا وهناك فى كل مكان ، وحض قادة اللوكيين على القتال من أجل ساربيدون ، ثم قاتل أنت نفسك بالبرونز ، دفاعا عنى . لاننى سأكون فى المستقبل مبعث توبيخ وعار يجللان هامتك ، طوال عمرك ، اذا جردنى الآخيون من عدتى الحربية ، وأنا راقد الآن بين حشد السفن . هيا ، أصمد بشجاعة ، وأثر حماس الجيش كله ! »

وما ان أتم كلامه هذا ، حتى خيم الموت عليه .. على عينيه ومنخريه . وبعد أن داس باتروكلوس على صدره بقدمه ، جذب الرمح من جسده ، فخرجت معه عضلة الحجاب الحاجز ، وأخرج طرف الرمح وروح ساربيدون فى آن واحد . وهناك أوقف المورميدون الجياد ذات الصهيل ، التى كانت تتوق الى الفرار وقد تركت عربات أصحابها .

فلما سمع جلاوكوس صوت ساربيدون ، اكتأب واعتراه هم بالغ ، وخفق قلبه لانه لم يفلح فى مساعدته . فأمسك ذراعه بيده وضغط عليها ، لان الجرح كان يؤلمه .. ذلك الجرح الذى أنزله به تيوكر – وهو يدفع الهلاك عن رفاقه – بسهمه وهو يهجم على الحائط المرتفع . ثم توسل الى أبولو – الذى يضرب من بعيد – قائلا : « استمع الى ، أيها الملك الذى قد يكون فى أرض **لوكيا** الخصيبة – أو ربما فى **طروادة** – ولكن له فى كل مكان قوة على الاصغاء الى المكروب .. واننى لمكروب الآن ، اذ اننى مصاب بهذا الجرح الخطير ، فالالم يضنى ساعدى من هذا الجانب وذاك ، ولا سبيل الى ايقاف النزف .. لقد تثاقلت ساعدى من

جراء الجرح ، ولست أملك أن أقبض على رمحى بشدة ، ولا أن اسعى الى مقاتلة الاعداء . وفضلا عن ذلك ، فقد هلك رجل من أنبل الرجال ، هو ساربيدون بن زوس ، الذى لم ينقذ ولده . لذلك أدعوك - أيها الملك - أن تشفينى من هذا الجرح الخطير ، فتسكن آلامى ، وتهبنى القوة ، حتى أستطيع دعوة زملائى اللوكيين ، وأحضهم على القتال ، بل وأقاتل - أنا نفسى - حول جثته »

هكذا تكلم متوسلا ، فسمعه أبولو . وفى الحال أوقف آلامه ، كما أوقف نزف الدم القاتم من جرحه الخطير ، وبث القوة فى قلبه . فأدرك جلاوكوس ذلك فى قرارة نفسه ، وسره أن الرب العظيم قد استجاب دعاءه بسرعة . فسار أولا هنا وهناك فى كل مكان ، وحث قادة اللوكيين على أن يقاتلوا من أجل ساربيدون ، ثم شرع يمشى بخطى واسعة - بين الطرواديين - الى بولوداماس بن بانتوس ، والى أجينور العظيم . كما سار خلف اينياس ، وراء هكتور ذى الخوذة البرونزية . حتى اذا لحق به ، خاطبه بكلمات مجنحة قائلا : « أى هكتور ، لقد نسيت الآن تماما الحلفاء ، الذين يضحون بحياتهم بعيدا عن أصدقائهم ووطنهم من أجلك ، فاذا أنت لا تعبأ بمد يد العون لهم . ان ساربيدون - قائد رجال الدروع اللوكيين - يرقد ميتا .. ذلك الذى كان يذود عن **لوكيا** بأحكامه وقوته . لقد صرعه أريس النحاسى برمح باتروكلوس . هيا ، أيها الاصدقاء ، قفوا الى جانبه ، واملأوا قلوبكم سخطا ، حتى لا يجرده المورميدون من حلته الحربية ، ويمثلوا بجثته ، انتقاما لجميع الدانيين الذين ماتوا ، أولئك الذين قتلناهم برماحنا بجوار السفن السريعة »

هكذا تكلم ، فاستولى على جميع الطرواديين غم ساحق ، لا سبيل الى احتماله . اذ كان ساربيدون دائما دعامة مدينتهم ، بالرغم من أنه كان غريبا قدم اليهم من بعيد ، وتبعه أقوام

كثيرون .. **كان مبرزا فى القتال بينهم ، فاتجهوا مباشرة صوب الدانيين وكلهم حماس . وقادهم هكتور - غاضبا من أجل ساربيدون - ولكن باتروكلوس الاشعث القلب ، ابن مينويتيوس كان قد حض الآخيين .** فتحدث أولا الى الايانتيس - كليهما - وكانا متلهفين الى القتال ، فقال : « أيها الايانتيس ، ليكن صد العدو بغيتكما ، بمثل تلك الشجاعة التى كانت لكما قديما بين المحاربين ، ان لم يكن بأكثر منها . فان أول رجل وثب الى ما وراء سور الآخيين ، يرقد الآن صريعا ، وهو ساربيدون . هلموا نحاول أخذه ، ونلحق العار بجثته ، فننزع عن كتفيه حلته الحربية ، ونقتل بالبرونز العديم الرحمة رفاقه الكثيرين الذين يسعون للدفاع عن جسده »

هكذا تكلم . وكان كلاهما تواقا من تلقاء نفسه الى دفع العدو . وبعد أن عزز الطرواديون واللوكيون والمورميدون والآخيون كتائبهم على الجانبين ، اشتبكوا فى عراك دفاعا عن جثة الرجل الذى خر صريعا ، فارتفع صليل أسلحة الرجال بدرجة مخيفة . ونشر « زوس » الليل الزاخر بالويلات فوق الصراع الطاحن ، حتى يدور حول جسد ابنه الحبيب ، عناء الحرب الجالب للكوارث .

واستطاع الطرواديون - فى البداية - أن يدفعوا الآخيين ، ذوى العيون المتألقة ، الى الخلف . فأصيب من بينهم رجل من خيرة المورميدون ، هو ابن أجاكليس الكبير النفس ، « أبايجيوس » العظيم الذى كان ملكا على بودايون القديمة الآهلة بالسكان . ولما كان قد قتل رجلا عظيما من أقاربه ، فانه جاء متضرعا الى بيليوس ، والى ثيتيس الفضية القدمين ، فأرسلاه ليتبع أخيل - محطم صفوف البشر - الى **طروادة** الشهيرة بجيادها ، حتى يقاتل الطرواديين . وفيما كان ممسكا بالجسد ، ضربه هكتور المجيد بصخرة على رأسه ، فشطره نصفين داخل خوذته الثقيلة ، وارتمى لتوه فوق الجثة (٢١) واذا بالموت -

قاتل الروح - يفيض حواليه . فبخع الحزن باتروكلوس ، اسفا على زميله المقتول . **وانقض على مقاتلى المقدمة أشبه بنسر سريع ، يضطر العقاعق والزرازير الى الفرار أمامه .. هكذا انقضضت يا باتروكلوس - يا سيد الفرسان - على اللوكيين والطرواديين ، وقد امتلأ قلبك بالغضب من أجل زميلك .** فضرب سثينيلاوس الحبيب ، ابن ايثايمينيس ، على عنقه بحجر ، فمزق أوتار عنقه . وتراجع محاربو المقدمة وهكتور المجيد ، متقهقرين بعيدا عن مدى مرمى الحراب ، التى يقذف بها المرء مختبرا قوته فى مباراة ، أو فى الحرب تحت ضغط عدو قاتل .. هكذا تقهقر الطرواديون بعيدا ، وظل الآخيون يدفعونهم . وكان جلاوكوس - قائد حاملى التروس اللوكيين - أول من استدار فقتل باثوكليس العظيم النفس ، الابن العزيز لخالكون ، الذى كان يقيم فى **هيلاس** .. وكان يفوق المورميدون ثروة ومادة . فلقد ضربه جلاوكوس فى صدره بطعنة من رمحه ، اذ استدار اليه فجأة ، عندما كان الآخر على وشك أن يلحق به فى المطاردة . فسقط بشدة ، واستبد بالآخيين حزن بالغ ، لان رجلا من خيرة المحاربين قد سقط ، بينما ارتفع هتاف الطرواديين . وأقبلوا زرافات والتفوا حوله ، وعندئذ لم ينس الآخيون شجاعتهم ، بل حملوا على العدو بكل قواهم . بعد ذلك قتل ميريونيس محاربا طرواديا فى كامل عدته الحربية ، هو لاوجونوس القوى ، ابن أونيتور . وكان كاهن زوس الابدى ، كما كان قومه يبجلونه وكأنه اله . ولقد ضربه أسفل فكه تحت أذنه ، وفى الحال غادرت روحه أطرافه ، وسيطرت عليه ظلمة بغيضة . وقذف أينياس رمحه البرونزى نحو ميريونيس ، أملا فى اصابته وهو يتقدم تحت ستار ترسه . بيد أن ميريونيس ، كان يركز بصره عليه ، فتحاشى الرمح البرونزى ، اذ مال الى الامام .. وانغرس الرمح الطويل فى الارض خلفه ، وقد أخذ طرفه يهتز . ومع ذلك فقد أوقف

أريس العتيد ثورته هناك أخيرا . وانغرس رمح اينياس مهتزا داخل الارض ، اذ انطلق عبثا من يده القوية . **واذ ذاك استشاط أينياس غضبا في قلبه ، وخاطبه بقوله : « أى ميريونيس : بالرغم من كونك راقصا خفيف الحركة ، فان رمحى كان يوشك أن يوقفك سريعا عن الرقص الى الابد ، لو أن ضربتى قد أصابتك ! »**

فأجاب ميريونيس ـ الشهير برمحه ـ قائلا : « هيا يا اينياس .. من العسير عليك ـ رغم شجاعتك ـ أن تطفىء قوة كل رجل يأتى ضدك مدافعا . واننى لاعتقد ، انك من البشر . فلو حدث أننى رميت وأصبتك سريعا برمحى الحاد ، لسلمت المجد لى ـ رغم قوتك واعتمادك على يديك ـ كما تسلم روحك لهاديس ذى الجياد العظيمة » .

هكذا قال ، فعيره ابن مينويتيوس الجرىء ، قائلا : « يا ميريونيس ، لم تتحدث بهذه الطريقة ، وأنت رجل الجرأة ؟ أيها الصديق الحميم ، لن يتراجع الطرواديون عن الجسد لمجرد كلمات السباب ، بل لا بد من أن تضم الارض الكثيرين قبل أن يتم ذلك . لان نتيجة الحرب فى أيدينا ، أما الكلام فمكانه المجلس . لذا لا يليق بنا الاسترسال فى الكلام ، بل يجب علينا أن نركن الى القتال »

وما ان قال هذا ، حتى تقدم ، فتبعه الآخرون ، وكان شبيها باله .. وكما يتصاعد صخب الحطابين فى ممرات جبل ، فتسمع أصواتهم على بعد ، ارتفع صخب المحاربين فى الارض الفسيحة الطرقات ، وصليل البرونز ودوى الجلد والتروس المتينة الصنع ، وهم يطعنون بعضهم البعض بالسيوف والرماح الحادة الطرفين . ولم يستطع أحد قط أن يتبين ساربيدون العظيم ـ رغم علمهم بمكانه ـ اذ كان محوطا تماما بالرماح والدم والغبار ، من قمة رأسه حتى اخمص قدميه . وكانوا دائمى الاحتشاد حول جثته . وكما يحدث عندما يطن الذباب فى فصل

الربيع حول الدلاء المملوءة باللبن – فى احدى المزارع – وقد بلل الحليب حواف الاوعية، هكذا أيضا تجمع هؤلاء حول الجثة. أما زوس، فلم يحول عينيه البراقتين – بأية حال – عن القتال المرير، بل ظل يراقبهم باستمرار، متحيرا فى قلبه، كثير التفكير فى مقتل باتروكلوس : **ايقتله هكتور المجيد بالسيف، فى الصراع الطاحن الذى كان هناك حول ساربيدون – الشبيه بالاله – ويجرد كتفيه من حلته الحربية ؟ .. أم يدعه يكبد عددا أكبر من الرجال مزيدا من الكفاح الحربى الشامل ؟ ..** وبينما هو فى تدبيره، هداه فكره الى الرأى الاصوب، وهو أن يدفع ذلك الخادم الجرىء لاخيل بن بيليوس، الى مدينة الطرواديين، مطاردا هكتور – ذا الخوذة البرونزية – مزهقا أرواح الكثيرين . فبدأ بأن أيقظ الجبن فى هكتور، فوثب هذا من عربته واستدار ليفر، مناديا بقية الطرواديين كى يحذوا حذوه فى الفرار، اذ أدرك تحول ميول زوس المقدسة . كذلك لم يصمد اللوكيون الشجعان، بل دبت الفوضى بين سائرهم، عندما شاهدوا مليكهم مصابا فى قلبه، وراقدا بين جموع القتلى، اذ مات كثيرون فوقه، عندما شد ابن كرونوس حبال الصراع الطاحن . وسلب المورميدون ساربيدون عدته البرونزية المتألقة من فوق كتفيه، فأعطاها ابن مينويتيوس الجسور لرفاقه ليحملوها الى السفن الجوفاء . واذ ذاك تحدث زوس، جامع السحب، الى أبولو قائلا : « انهض الآن، يا فويبوس العزيز، اذهب فامسح عن ساربيدون الدم القاتم، بمجرد أن تبتعد به عن منطقة الرماح . ثم احمله بعيدا، وأغسله فى مجارى النهر المائية، وادهنه بالامبروسيا، ودثره بلباس خالد، وأعطه لحمالين سريعين، ليأخذوه الى الشقيقين التوأمين – النوم والموت – ليضعاه بسرعة فى بلاد **لوكيا** الفسيحة الخصيبة، حيث يقوم أشقاؤه وأقاربه بدفنه فوق رابية، ويقيمون له نصبا، لان هذا هو حق الموتى ! »

هكذا تكلم ، فلم يعص أبولو أمر أبيه ، بل هبط من تلال **إيدا** الى وطيس المعركة المفزع . وفى الحال رفع ساربيدون العظيم بعيدا عن منطقة الرماح . ولما انتهى من حمله بعيدا ، غسله فى مجارى النهر المائية ، ودهنه بالامبروسيا ، ولفه بعباءة خالدة ، وسلمه لحمالين ذوى سرعة بالغة ، ليحملوه الى الشقيقين التوأمين ـ النوم والموت ـ اللذين وضعاه بسرعة فى أرض **لوكيا** الفسيحة الخصيبة .

بين باتروكلوس وهكتور

• **راح** باتروكلوس ينادى على جياده ، وأوتوميدون يطارد الطرواديين واللوكيين ، وقد استولت عليه غفلة عمياء ، فما أحمقه ! فلو وعى كلمة ابن بيليوس ، لنجا حقا من مصير الموت الاسود الشرير . غير أن نية زوس أقوى دائما من نية البشر ، فهو يدفع الرجل الشجاع ، لكى يسلبه النصر بسهولة ، ثم يعود من تلقاء نفسه فيثير البشر الى القتال . وهكذا أثار روح باتروكلوس فى صدره !

فمن تراه كان أول ، ومن كان آخر من قتلتهم يا باتروكلوس ، عندما استدعتك الآلهة الى الموت ؟.. كان أولهم ادراستوس ، واوتونوس ، وايخيلوس ، وبيريموس بن ميجاس ، وابيستور وميلانيبوس ، وبعد ذلك الاسوس ، وموليوس ، وبولاريتس ..

هؤلاء قتلتهم ، أما الآخرون فقد ركن كل منهم الى الفرار !

وعندئذ كاد أبناء الآخيين يستولون على **طروادة** ـ العالية الابواب ـ على يدى باتروكلوس ، لانه كان ثائرا برمحه ، حوله وأمامه ، لولا أن « أبولو » اتخذ وقفته فوق السور المتين البناء ، وهو يفكر فى هلاكه ، ويحمل المعونة للطرواديين . ثلاث مرات وضع باتروكلوس قدمه فوق ركن من السور الشامخ .. وثلاث مرات دفعه أبولو الى الوراء ، مبعدا الدرع البراق بيديه

الخالدتين . بيد انه لما هجم للمرة الرابعة وكأنه اله ، صاح فيه أبولو صيحة مفزعة، وتحدث اليه بكلمات مجنحة قائلا : «ارجع يا باتروكلوس ، يا سليل زوس . انني أخبرك أنه ليس مكتوبا أن تسلب مدينة الطرواديين الامجاد برمحك ، ولا برمح أخيل ، الذي يفضلك بمراحل ! »

هكذا تكلم ، فتقهقر باتروكلوس الى الخلف مسافة كبيرة ، متحاشيا غضب أبولو ، الذي يضرب من بعيد .

وكان هكتور يقف بجياده القوية الحوافر ، عند الابواب السكايية ، اذ كان مشتت الفكر : أيذهب من جديد الى الشغب ويقاتل ، أم ينادي الجيش ويحشده وراء السور ؟ .. وبينما هو في تفكيره هذا ، اقترب منه « أبولو » في صورة شاب قوي ، هو أسيوس خال هكتور مستأنس الجياد ـ وشقيق هيكابي ، وابن دوماس ـ الذي كان يسكن **فروجيا** بالقرب من مجاري **سانجاريوس** المائية . فتكلم أبولو ابن زوس ، في صورته هذه الى هكتور قائلا : « أي هكتور ، لماذا تكف عن القتال ؟ هذا لا يليق بك . ليتني كنت أقوى منك بقدر ضعفي عنك ، اذن لآلمك في الحال أن تنسحب من الحرب . ولكن ، تعال ، وقد جيادك القوية الحوافر صوب باتروكلوس ، فربما استطعت أن تقتله ، فيهبك أبولو المجد ! »

هكذا تكلم وعاد ثانية ـ كاله ـ وسط صراع الرجال . فأصدر هكتور المجيد أمره الى كيبريونيس العاقل ، بأن يسوق الجياد الى المعركة . أما أبولو فذهب في طريقه ، ودخل الى وسط الحشد ، وأرسل رعبا شريرا على الارجوسيين ، ومنح المجد للطرواديين ولهكتور . فغض هكتور النظر عن بقية الدانيين ولم يحاول قتلهم ، وانما ساق جياده القوية الحوافر ضد باتروكلوس . واذ ذاك قفز باتروكلوس من عربته الى الارض ، في الجانب الآخر ، وقد حمل في يده اليسرى رمحا ،

وأمسك بالاخرى حجرا براقا حاد السنان ، وقد شد عليه قبضته . **ثم ثبت نفسه فى الارض وقذف بالحجر ، وبدون خوف من غريمه ، لم يجعل رمحه يطير بغير طائل ، وانما أصاب جبهة سائق هكتور ــ كيبريونيس، الذى كان ابن سفاح لبريام المجيد ــ بالحجر الحاد ، وهو ممسك بأعنة الخيل . فحطم الحاجبين معا ، ولم يتحمل العظم ، فسقطت مقلتاه الى الارض فى الثرى ، أمام قدميه .** فهوى من العربة المكينة الصنع كما لو كان غواصا ، وفارقت روحه عظامه .. ولقد سخرت منه أيها الفارس باتروكلوس ، اذ قلت : « ياللعجب ، أنظروا هذا الرجل الخفيف الحركة حقا ، ما أنشطه عندما يغوص ! ولو كان فى اليم العميق ، لارضى نهم الكثيرين بحثا عن الاصداف ، فانى أراه يغطس فى السهل بخفة من فوق عربته. حقا لابد أن بين الطرواديين رجالا يغطسون ! »

مصرع باتروكلوس

• **وما ان** قال باتروكلوس هذا حتى اتجه صوب المحارب كيبريونيس بهجمة الليث الذى يصاب فى صدره ــ وهو يعيث فى مزرعة ــ فاذا بشجاعته تجلب الهلاك عليه .. هكذا وثبت يا باتروكلوس متحمسا على كيبريونيس ، بينما وثب هكتور فى الجهة المقابلة من عربته الى الارض . وهكذا اشتبك الاثنان فى صراع حول كيبريونيس وكأنهما أسدان فوق ذؤابة جبل ، يتقاتلان على ظبى مقتول ، وقد عض الجوع كلا منهما ، بينما امتلأ فؤاده جرأة .. هكذا أيضا ، ومن أجل كيبريونيس ،كان سيدا صيحة الحرب ــ باتروكلوس بن مينويتيوس ، وهكتور المجيد ــ يتلهفان الى أن يمزق كل منهما جسد الآخر بالبرونز العديم الرحمة . وأمسك هكتور الجسد من رأسه ، لا يخلى

قبضته عنه .. وفى مواجهته أمسك باتروكلوس بالقدم بشدة، واشتبك الآخرون حولهما – طرواديون ودانيون – فى صراع طاحن . وكما تتنافس الريح الشرقية والريح الغربية على هز غابة كثيفة فى ممرات جبل – غابة من الزان والدردار والاثل الاملس اللحاء – فتتلاطم فروع هذه الاشجار ، وتهتز أغصانها الطويلة فى صخب عجيب ، متكسرة ومتحطمة .. هكذا أيضا انقض الطرواديون والآخيون ، موقعين الهلاك بعضهم ببعض ، دون أن يفكر أى الطرفين فى الفرار المدمر . فتركزت عدة رماح حادة حول كيبريونيس ، وانطلقت السهام المجنحة الغزيرة من أوتار القسى ، وارتطم كثير من الاحجار الضخمة بالدروع ، بينما كان الرجال يتقاتلون من حوله . ولكنه كان مفترشا دوامة الثرى ، عتيدا فى قوته ، وقد نسى فروسيته .

وظلت الرماح – من كلا الطرفين – تصل الى أهدافها مادامت الشمس عالية فى كبد السماء، واستمر القوم يتردون . فلما حان موعد رفع النير من فوق أعناق الثيران (٢٢) أثبت الآخيون تفوقهم بما يزيد على نصيبهم ، ونجحوا فى سحب المحارب كيبريونيس بعيدا عن وطيس معركة الطرواديين ، وبعيدا عن مدى الرماح . ونزعوا الحلة الحربية عن كتفيه ، وهجم باتروكلوس على الطرواديين بعزيمة قاسية . **ثلاث مرات انقض عليهم ، كأنه أريس السريع ، وهو يصيح صيحة مخيفة .. وثلاث مرات قتل تسعة رجال . بيد أنه عندما انقض للمرة الرابعة – كاله – عندئذ ظهرت لك يا باتروكلوس، خاتمة الحياة ، اذ تصدى لك أبولو فى الصراع العنيف ، وانه لاله بغيض** . ولم يلحظه باتروكلوس وهو يمر خلال الشغب ، لانه كان ملتفا بضباب كثيف . فوقف أبولو خلفه ، وضرب ظهره وكتفيه العريضتين براحة يده ، واذا بعينيه تدوران . وأطاح أبولو بالخوذة عن رأسه ، فسقطت تصلصل وهى

تتدحرج تحت أقدام الجياد .. تلك الخوذة ذات الخصلة المتخذة من شعر الخيل ، فتلطخ الشعر بالدماء والتراب . ولكن الآلهة أبت - اذ ذاك - ان تتلوث الخوذة ذاتها ، فقد كانت دائمة الحرص على صيانة رأس الرجل الشبيه بالاله - « أخيل » - وجبينه الجميل . على ان زوس منحها لهكتور كى يلبسها على رأسه . ومع ذلك فقد كان الهلاك قريبا منه . وتحطم الرمح تماما فى يدى باتروكلوس .. ذلك الرمح الطويل الظل ، الثقيل ، الضخم ، القوى ، ذو الطرف البرونزى المدبب . وسقط الترس - ذو الاهداب - بحمائله الى الارض من على كتفيه . أما درقته فقد فكها أبولو ، الامير ابن زوس . وما لبث العمى أن سيطر على قلب باتروكلوس ، وارتخت أطرافه المجيدة تحته ، وغامت الدنيا أمام عينيه . ووقف خلفه دردانى من كثب ، وضربه فى ظهره مابين كتفيه برمحه الحاد .. ذلك هو يوفوربوس بن بانثوس ، الذى كان يفوق جميع اترابه فى قذف الرمح والفروسية ، وفى سرعة القدمين . وللعجب ، أنه عندما ركب عربته لاول مرة ، ألقى بعشرين محاربا من فوق عرباتهم ، وهو يتعلم أول درس له فى القتال ! **لقد كان أول من رماك برمحه ، أيها الفارس باتروكلوس ، ومع ذلك فانه لم يخضعك ، وانما تقهقر مسرعا واختلط بالحشد ، بعد أن سحب الرمح الدردارى من جسدك ، ولم يصمد أمام باتروكلوس ، رغم أن هذا لم يكن مسلحا ، فى العراك . ولكن باتروكلوس ، اذ قهرته ضربة الرب والرمح ، تقهقر الى حشد زملائه ، متحاشيا الموت .**

فلما رأى هكتور ان باتروكلوس العظيم الهمة كان يتقهقر ، مصابا بالبرونز الحاد ، اقترب منه خلال الصفوف ، ورماه بطعنة من رمحه أسفل بطنه ، وغرس البرونز عميقا ، فسقط باتروكلوس بشدة ، وحزن جيش الآخيين حزنا بالغا . وكما يتغلب الليث على خنزير برى لا يتعب ، عندما يتقاتل الاثنان

بقلبين جسورين فوق ذؤابة أحد الجبال ، من أجل ينبوع صغير – كل يريد أن يشرب منه – فيلهث الخنزير البرى بصعوبة ، ولكن الليث يقهره بقوته .. هكذا أيضا ، كانت حال الابن الجسور لمينويتيوس ! فبعد أن قتل الكثيرين ، سلبه هكتور بن بريام الحياة ، ضاربا اياه برمحه من كثب . ووقف فوقه يزهو بكلمات مجنحة ، فقال : « أى باتروكلوس .. لقد كنت تحسب – كما أعتقد – أنك ستتمكن من تخريب مدينتنا ، وانك ستسلب نساء **طروادة** حريتهن ، وتحملهن فى السفن الى وطنك العزيز ، فيالك من غر ! ان جياد هكتور السريعة تمشى أمامهن مسرعة الى القتال ، وبالرمح أنا مبرز بين الطرواديين المحبين للقتال ، أنا الذى أدفع عنهن يوم القضاء ، أما انت فسوف تنهشك النسور هنا . ويحك ، أيها الشقى !.. حتى أخيل لم يجدك نفعا – بكل جسارته – ذلك الذى اعتقد انه – رغم تخلفه – قد أصدر اليك أمره مشددا ، عندما انصرفت من عنده ، فقال لك : **« انى آمرك يا باتروكلوس ، يا سيد الفرسان ، ألا تعود ثانية الى السفن الجوفاء ، الا بعد أن تكون قد مزقت من حول صدر هكتور ، قاتل البشر ، عباءته مخضبة بالدماء ! »** .. هذا ما أعتقد انه قاله لك ، وحمس به تهورك الطائش » .

وأجبته ، أيها الفارس باتروكلوس ، وقد تسربت منك كل قوتك : « لك أن تتباهى بحق – فى هذه المرة – ياهكتور ، لان زوس بن كرونوس ، وأبولو ، قد وهباك النصر . وهما اللذان أخضعانى بمنتهى السهولة ، فهما أنفسهما اللذان نزعا العدة الحربية عن كتفى . ولو أن عشرين من أمثالك نازلونى لهلكوا كلهم ، مقتولين برمحى . فقد كان القدر المميت ، وابن ليتو (٢٣) ، هما اللذان قتلانى من الآلهة ، وكان يوفوربوس هو الذى ضربنى من البشر . أما أنت فكنت قاتلى الثالث . وانى لاقول لك شيئا آخر ، يجب أن تحتفظ به فى قلبك : **« انك لن تعيش طويلا ،**

فان الموت يقف قريبا منك، وكذلك القضاء العتيد.. وسيقتلك أخيل ، المنقطع النظير ، ابن أياكوس ! »

وما ان قال هذا ، حتى خيم الموت عليه ، وأسرعت روحه بمغادرة أطرافه ، ذاهبة الى هاديس ، منتحبة مصيرها ، تاركة الرجولة والشباب . وكذلك فى موته ، خاطبه هكتور المجيد بقوله : « **لم يا باتروكلوس ، تتنبأ لى بالهلاك الاكيد ؟ من يدرى، لعله مصير أخيل بن ثيتيس الجميلة الجدائل ، فقد أكون الضارب أولا برمحى ، فيفقد حياته ؟ »**

قال هذا وسحب الرمح البرونزى من الجرح ، واضعا قدمه فوق الميت ليدفعه الى الوراء مخلصا الرمح . وفى الحال طارد برمحه أوتوميدون ، شبيه الاله ، خادم ابن أياكوس السريع القدمين ، لانه كان تواقا الى ضربه ، ولكن جياده السريعة حملته بعيدا .. تلك الجياد الخالدة التى أعطتها الآلهة لبيليوس كهدايا مجيدة .





خريطة للمنطقة في عصر حصار طروادة

خريطة توضح مكان مدينة (طروادة) القديمة فى آسيا الصغرى ـ التى يفصلها ((بحر ايجة)) عن شواطىء عدوتها اللدودة بلاد اليونان . وترى فى الخريطة مواقع : جبل الاوليمب ـ أو ((أوليمبوس)) ـ مقر الآلهة عند الاغريق .. ثم مدينة ((اسبرطة)) المشهورة ببسالة نسائها ورجالها على السواء ، ومدينة أثينا (عاصمة اليونان الآن) ، ثم مدينة ((طيبة)) ـ الاغريقية لا المصرية ـ وأخيرا جزيرة رودس ، حيث كان يوجد تمثال ضخم للاله ((أبولو)) هدمه زلزال مروع ، وقد كان التمثال يعتبر من ((عجائب الدنيا السبع)) القديمة

الإلياذة — هوميروس



الأنشودة السابعة عشرة

فوقف هكتور بعيدا عن المعركة ، وخلع حلته الحربية فأسلمها الى الطرواديين ، وارتدى حلة أخيل بن بيليوس .. فلما أبصره زوس ، هز رأسه ، وقال فى نفسه : « واها لك أيها المسكين ! »

كيف دارت رحى الحرب حول جثة باتروكلوس

مغامرات مينيلاوس

• **لم** يفت مينيلاوس بن أتريوس – حبيب أريس – مصرع باتروكلوس فى المعركة بأيدى الطرواديين ، فاندفع وسط محاربى المقدمة – متدثرا بالبرونز الوهاج – وفتح ساقيه حول الميت ، كما تقف أم العجلة البكرية فوق وليدتها تجأر بحزنها وهى التى لا دراية سابقة لها بالامومة .. هكذا وقف « مينيلاوس » – ذو الشعر الجميل – فاتحا ساقيه ، وقد أمسك أمامه رمحه وترسه المتزن جيدا من كل جانب ، تواقا الى قتل من تحدثه نفسه بأن يقدم على أخذ الجثة . كذلك لم يكن ابن بانثوس – ذو الرمح الدردارى المتين – غافلا عن سقوط باتروكلوس العديم النظير ، فوقف بالقرب منه ، وتحدث الى مينيلاوس – حبيب أريس – قائلا : « أى مينيلاوس بن أتريوس ، يا سليل زوس ، ويا قائد الجيوش .. تراجع ، واترك الجثة ، وخل عنك الغنائم الدموية ، فلم يسبق لاحد قبلى من الطرواديين أو حلفائهم المشهورين ، أن ضرب باتروكلوس برمحه فى الصراع العنيف . لهذا دعنى أحصل على الصيت الحسن بين الطرواديين ، والا رميت وأصبتك ، فسلبتك حياتك الحلوة حلاوة العسل » .

عندئذ قال مينيلاوس ، ذو الشعر الجميل ، وقد ثارت العاطفة فى قلبه : « أبتاه زوس ، ان الافراط فى التفاخر بصلف ليس بلائق . فما شجاعة النمر أو الاسد أو الخنزير البرى ، ولا العقل الثائر الجياش فى الصدور ، بأعظم من شجاعة وروح أبناء بانثوس ، ذوى الرماح الدردارية القوية . وحتى هوبرينور العتيد نفسه ، لم يفد حقا من شبابه ، عندما

استخف بى ، وانتظر قدومى اليه ، ظانا أننى أتفه محارب بين الدانيين ، فلم يرجع - فى اعتقادى - ماشيا على قدميه الى وطنه ليدخل السرور على قلب زوجته العزيزة وأبويه العظيمين .. هكذا أيضا ، يبدو لى ، أننى سوف أحرمك قوتك (٢٤) ، اذا ما وقفت لتواجهنى ، ولكنى آمرك بالتراجع الى الحشد ، وبألا تقف فى مواجهتى ، حتى لايصيبك شر ما ، انه لمنتهى الحمق أن تكون عاقلا بعد فوات الاوان ! »

هكذا تكلم ، فلم يغر كلامه غريمه ، بل أجابه هذا قائلا : « حقا يا مينيلاوس ، ياسليل زوس ، انك ستدفع الآن ثمن أخى الذى قتلته ، والذى تتكلم فوقه بخيلاء ، وقد جعلت زوجته أرملة فى غرفة زواجهما الحديثة البناء ، وجلبت على والديه غما لايوصف وحزنا بالغا . لسوف أعمل - من أجل هؤلاء المنكوبين - على أن أخفف آلامهم ، اذا قدر لى أن أحمل راسك وحلتك الحربية فأضعهما بين ايدى بانثوس وفرونتيس الجليلة . ومع كل فلن يبقى العراك طويلا دون أن أحاوله أو أخوضه ، سواء الى نصر أو الى فرار ! »

ما ان قال هذا حتى ضرب ترس مينيلاوس المتزن جيدامن كل جانب ، بيد أن البرونز لم يخترقه ، بل التوى طرفه فوق الترس القوى . وعندئذ هجم مينيلاوس بن أتريوس عليه برمحه ، وتوسل الى أبيه زوس . **وما ان تراجع حتى طعنه فى قاعدة حلقه ، وضغط بثقله فى الطعنة ، معتمدا على يده الثقيلة، فمرق سن الرمح خلال عنقه الرقيق فى الحال، وسقط بشدة ، فصلصلت حلته الحربية فوقه ، وبالدم تبلل شعره الذى كان أشبه بشعر ربات الحسن ، وكذا جدائله المزدانة بالذهب والفضة.** وكما يزرع المرء شجيرة زيتون قوية فى مكان منعزل تتدفق المياه غزيرة فيه .. شجيرة طيبة جميلة النمو، تهزها هبوب جميع الرياح ، ومع ذلك فانها تزخر بالازهار البيضاء . بيد أن الرياح تأتى فجأة بعاصفة هوجاء ، فتقتلعها

من أخدودها وتلقى بها على الارض .. هكذا كانت الحال أيضا مع مينيلاوس بن أتريوس، اذ قتل ابن بانثوس، «يوفوربوس» ذا الرمح الدرداري المكين ، وجرده من حلته الحربية . وكما يحدث عندما يقبض الليث الجبلي – المعتمد على قوته – على خير عجلة بين قطيع يرعى : فيمسك عنقها أولا بين فكيه القويتين ويكسره ، ثم يزدرد الدم وجميع الاجزاء الداخليةوهو هائج ، فيصيح من حوله الرعاة والكلاب بأصوات عالية من بعيد ، ولكنهم لايجرءون على الهجوم عليه ، اذ يتملكهم الذعر الشاحب ، هكذا أيضا لم يجرؤ قلب أى طروادى فى صدره ، على أن يذهب لمواجهة مينيلاوس المجيد .. وهكذا صار فى مقدور ابن أتريوس – بمنتهى السهولة – أن يحمل بعيدا حلة ابن بانثوس الحربية المجيدة ، فحسده « أبولو » على ذلك . وفى صورة مينتيس ، قائد الكيكونيس (٢٥) ، أثار عليه هكتور – نظير أريس السريع – فخاطبه ابن أتريوس بكلمات مجنحة، قائلا : « أى هكتور ، انك تسرع الآن عبثا وراء شيء قد لا تحققه .. وراء جياد ابن أياكوس الحكيم . انها عسيرة، فليس لبشر أن يسوسها أو يسوقها اللهم الا أخيل الذى أنجبته أم خالدة . وفى الوقت نفسه يدافع مينيلاوس الباسل – ابن أتريوس – عند باتروكلوس، وقد قتل يوفوربوس بن بانثوس، خير الطرواديين ، وجعله يكف عن الشجاعة المتهورة »

هكذا تكلم ، وعاد ثانية كاله وسط كدح الرجال . ولكن روح هكتور كانت تخيم عليها سحب قاتمة من الحزن المؤلم ، فراح يفتش بين الصفوف . وفى الحال أبصر الرجل الذى كان يسلب الاسلحة المجيدة ، والآخر الراقد فوق الارض والدم يتدفق من الجرح المفتوح . عندئذ خطا مسرعا وسط محاربى المقدمة ، متدثرا بالبرونز الوهاج ، مرسلا صرخة حادة ، فى صورة أشبه بنار **هيفايستوس** التى لايستطيع أحد اخمادها . وسمع ابن أتريوس صيحته الحادة ، فاضطرب اضطرابا

شديدا ، وقال لنفسه العالية الهمة : « ويحى ! لو اننى تركت ورائى هذه الاسلحة العظيمة ، وباتروكلوس الذى يرقد هنا ميتا من جراء الدفاع عن كرامتى ، لخشيت أن ينقم على الكثير من الدانيين ذلك . أما اذا رأيت — فى سبيل الكرامة — أن أقاتل — وحدى — هكتور والطرواديين ، فانى أخاف أن يحاصرونى من كل صوب ، وهم كثيرون ضد واحد . لان هكتور — ذا الخوذة البراقة — يقود جميع الطرواديين الى هنا . ومع كل ، فلماذا يعارضنى قلبى ؟ ان المحارب اذا انتوى أن يتحدى ارادة السماء ، بأن يقاتل محاربا آخر ممن يكرمه أحد الآلهة ، فان كربا عظيما يحيق به . **ومن ثم فلن يغضب منى أحد الطرواديين ، اذا ما أبصرنى أتقهقر أمام هكتور ، اذ انه يقاتل بمساعدة السماء . أما اذا استطعت أن أجد أياس — الرائع فى صيحة الحرب — فى أى مكان ، فسيكون بوسعنا أن نعود ثانية ، وننصرف الى القتال — ولو كان هذا ضد ارادة السماء — أملا فى انقاذ الميت من أجل أخيل بن بيليوس . فهذا أهون الشرور ! »**

وبينما هو يفكر هكذا — فى باله وقلبه — أقبلت صفوف الطرواديين ، يقودها هكتور . فتراجع مينيلاوس الى الوراء ، وترك الجثة ، وهو يتلفت حوله كأسد ذى لبدة تطارده الكلاب والرجال — من حظيرة — بالصراخ والرماح ، فيتراخى قلبه الجسور فى صدره ، ويترك المزرعة مرغما .. هكذا أيضا ، ابتعد مينيلاوس الجميل الشعر عن باتروكلوس . فاستدار ووصل الى حشد زملائه ، وهو يتلفت هنا وهناك بحثا عن أياس العظيم ، ابن تيلامون . وسرعان ماأبصر به فى الناحية اليسرى من المعركة ، يشجع رفاقه ، ويحثهم على القتال ، اذ حط عليهم « أبولو » ، خوفا عجيبا . وفى الحال جرى نحوه ، وخاطبه بقوله : « تعال يا أياس ، أيها الصديق الحميم

.. لنسرع للدفاع عن باتروكلوس الميت ، عسى أن نتمكن من حمل جثته الى أخيل ــ ولو جسده العارى ، على الاقل ــ أما حلته الحربية فقد أخذها هكتور ، ذو الخوذة البراقة » .

هكذا تكلم ، مثيرا روح أياس الحكيم القلب ، فخطا هذا وسط محاربى المقدمة ، بصحبة مينيلاوس الجميل الشعر . وكان هكتور ــ وقد سلب الجثة حلتها الحربية المجيدة ــ يحاول أن يسحب الجثة بعيدا ، كى يستطيع أن يفصل الرأس عن الكتفين بالبرونز الحاد ، ويجر بقية الجسد بعيدا فيلقيه لكلاب طروادة . غير أن أياس اقترب ، حاملا ترسه ــ الذى كان أشبه بسور المدينة ــ فتراجع هكتور عائدا الى حشد رفاقه ، وقفز فوق عربته ، وأعطى الحلة الحربية العظيمة للطرواديين كى يحملوها الى المدينة عنوان مجد عظيم له. ولكن أياس غطى ابن مينويتيوس من كل جهة بترسه العريض ، ووقف وقفة الليث أمام أشباله ، وقد التقى به الصيادون فى الغابة يقود صغاره ، فيزهو بقوته ، ويقطب حاجبيه حتى يغطيا عينيه . **هكذا أيضا دافع أياس عن المحارب باتروكلوس، ووقف مينيلاوس بن أتريوس بالقرب منه ، وقد تضاعف حزنه العظيم فى صدره .**

وما لبث جلاوكوس بن هيبولوخوس ــ قائد اللوكيين ــ ان رمق هكتور عابسا ، وعير هكتور بكلمات قاسية ، قائلا : «أى هكتور ، ما أروع مظهرك ، وان كانت الروعة تعوزك فى المعركة .. عبثا تنال ذلك الصيت الحسن ، وأنت جبان رعديد ! .. الا فكر فى طريقة تنقذ بها مدينتك ــ وكذلك وطنك ــ بنفسك ، دون أن يساعدك فى ذلك غير من ولدوا فى **طروادة** ، فلن يذهب من اللوكيين ــ على الاقل ــ شخص ما يقاتل الدانيين من أجل المدينة ، فليس ثمة جدوى ــ فيما يبدو ــ من النضال المستمر ضد أهل الحرب. كيف تعتزم انقاذ من هو أقل من ساربيدون مكانة ــ من معمعان القتال ــ ياعديم الرحمة ، وأنت الذى

تركت ساربيدون ، ضيفك ورفيقك ، فريسة وغنيمة للأرجوسيين ! .. تركت ذلك الذى كثيرا مابرهن فى حياته على انه نعمة عليك وعلى مدينتك ، ولم تجد شجاعة لتقصى عنه الكلاب ! . ومن ثم ، فلو ان أحدا من رجال **لوكيا** أصغى الى ، لذهبنا الآن الى الوطن ، ولن يحيق بطروادة سوى الهلاك الشامل الجلى لطروادة أمرا واضحا . ذلك لانه لو كانت لدى الطرواديين روح باسلة حقا .. روح لاتعرف الخوف ـ كتلك التى تتملك الذين يجاهدون من أجل وطنهم ويصارعون الاعداء ، لوجب علينا فى الحال أن نجر باتروكلوس الى **طروادة** . ولو قدر لهذا الرجل ـ الذى أصبح مجرد جثة ـ أن يأتى الى مدينة الملك بريام العظيمة ، واستطعنا أن نبعده عن المعركة ، فان الارجوسيين سيعيدون فى الحال عدة ساربيدون الحربية العظيمة . وخليق بنا أن نحضر جسده الى **طروادة** . فان الرجل الذى اغتيل خادمه عظيم حقا ، بل هو خير الارجوسيين القائمين بجانب السفن .. هو وأتباعه الذين يجيدون فى عراك متشابك . **فى حين انك لم تؤت الشجاعة الكافية لتقف أمام أياس العظيم الهمة ، وتواجهه عينا بعين ، وسط صراخ المحاربين ، ولا أن تقاتله ، لانه يفوقك بمراحل ! »**

فقطب هكتور حاجبيه غاضبا ، وقال : « أى جلاوكوس : لماذا ـ وأنت ذلك الشخص العظيم ـ تتكلم بهذا الصلف ؟ .. دع الغرور ، فلقد كنت أظن بحق انك تفوق ـ فى الحكمة ـ غيرك من ساكنى **لوكيا** العميقة التربة ، أما الآن فكم ازدرى حصافتك ، اذ تتكلم هكذا ، وتقول اننى لم أجسر على نزال أياس العتيد .. ما من خوف يساورنى من المعركة ، ولا من طنين العربات . بل ان نية زوس ـ حامل الترس ـ هى الاقوى دائما ، فهو يدفع الرجل الجسور الى الغرور ليسلبه النصر بمنتهى السهولة .. ومن جديد يثير هو نفسه الرجال الى القتال . فتعال أيها الصديق ، وقف الى جانبى ، وشاهد عمل

يدى ، لترى ما اذا كنت طوال هذا اليوم قد جبنت ـ كما تقول ـ أم أننى سأوقف الكثير من الدانيين ـ مهما يكن بأسهم وضراوة جرأتهم ـ عن الكفاح دفاعا عن باتروكلوس المقتول »

وما ان قال هذا حتى صاح عاليا ، مستدعيا الطرواديين ، قائلا : « أيها الطرواديون واللوكيون والدردانيون ، يامن تقاتلون فى عراك متشابك .. كونوا رجالا يا أصدقائى ، وفكروا مليا فى الشجاعة الثائرة ، حتى أرتدى عدة أخيل المنقطع النظير .. هذه الحلة الحربية العظيمة التى نزعتها عن باتروكلوس العتيد، عندما قتلته » .

وما ان قال هكتور ـ ذو الخوذة البراقة ـ هذا، حتى انطلق بعيدا عن معمعة القتال ، وجرى حتى وصل الى رفاقه ـ ولم يكونوا على بعد منه ـ وأسرع بخطوات واسعة ، وراء من كانوا يحملون حلة ابن بيليوس المجيد الحربية الى المدينة . **فوقف بعيداً عن المعركة الزاخرة بالدموع ، فخلع حلته الحربية وأسلمها الى الطرواديين ـ محبى القتال ـ ليحملوها الى (طروادة) المقدسة ، وارتدى حلة أخيل بن بيليوس .. الحلة الحربية التى كانت الآلهة السماوية قد وهبتها لابيه ، ثم منحها هذا ـ بدوره ـ لابنه ، عندما بلغ الشيخوخة . بيد أن الابن ، رغم ارتدائه تلك الحلة الحربية نفسها، لم يصل الى سن الشيخوخة!**

فعندما أبصره زوس ـ جامع السحب ـ من بعيد ، وهو يرتدى عدة ابن بيليوس ، الشبيه بالاله ، هز رأسه ، وقال فى نفسه : « واها لك أيها الرجل المسكين ! .. انك لاتفكر حقا فى الموت الذى مابرح يقترب منك ، فترتدى هذه الحلة الحربية الخالدة ، التى كانت لامير كان يرهبه الاخرون . لقد قتلت زميله الشهم ، الشجاع، وبطريقة غير لائقة نزعت الحلة المدرعة عن رأسه وكتفيه . ومع كل فسأمنحك قوة عظيمة لفترة من الوقت، فى مقابل ان لن تعود أبدا من المعركة الى «أندروماخى» لتتلقى منك عدة ابن بيليوس الحربية المجيدة » .

هكذا قال ابن كرونوس ، وقطب حاجبيه القاتمين . واستوت العدة الحربية على جسم هكتور ، ثم تقمصه أريس - اله الصراع الفظيع (٢٦) - فامتلأت أطرافه من الداخل قوة وجرأة . ومن ثم انطلق فى طريقه الى جماعة الحلفاء المشهورين، صائحا صيحة عظيمة ، وتجلى لعيون الجميع ، متلألئا فى الحلة الحربية التى كانت لابن بيليوس البالغ الشجاعة . وسار الى كل رجل ، وراح يكلمه مشجعا : ميسثليس ، وجلاوكوس ، وميدون ، وثيرسيلوخوس ، ولسيروبايوس ، ودايسينور ، وهيبوثوس ، وفوركوس ، وخروميوس ، وانوموس العراف . فشجع هؤلاء بكلمات مجنحة ، قائلا : « اصغوا الى ، أيها القبائل العديدة من الحلفاء القاطنين فيما حولنا من بلدان . لم أجمع كل رجل منكم لافتقارى الى اعداد غفيرة ، او لان بى حاجة الى ذلك ، وانما لتنقذوا - بقلوب متحفزة - زوجات الطرواديين وأطفالهم الصغار ، من الآخيين محبى القتال . بهذه النية أضيع أنا أموال قومى، حتى يمكنكم الحصول على الهدايا والطعام ، وبذلك أزيد كلا منكم شجاعة . **وعلى ذلك فليعد كل منكم فورا ويواجه العدو ، سواء مات أو عاش ، فهذه هى لذة الحرب . ومن يسحب باتروكلوس - فى موته - الى وسط الطرواديين مستأنسى الخيول ، ويحمل أياس على الاستسلام، أعطه نصف الغنائم وأحتفظ لنفسى بالنصف الآخر .. كما أن مجده سيتساوى مع مجدى ! »**

هكذا تكلم ، فانقضوا فورا على الدانيين بكل قوتهم، حاملين رماحهم عاليا ، آملين - فى قلوبهم - أن يسحبوا الجثة من تحت أياس بن تيلامون ، فما أحمقهم ! وما أكثر من حرموا الحياة فوق تلك الجثة ! واذ ذاك تكلم أياس الى مينيلاوس - الرائع فى صيحة الحرب - قائلا : « أى مينيلاوس الحميم ، ياربيب زوس .. اننى لم أعد اتوقع أن نعود - نحن الاثنين -

الى وطننا سالمين من الحرب . واذا كان يساورنى خوف ، فليس ذلك من أجل جثة باتروكلوس - التى لن تلبث أن تشبع نهم كلاب وطيور **طروادة** - وانما عليك أنت وعلى نفسى ، لان سحابة من الحرب تطوق كل شيء حولنا ، وحول هكتور كذلك ، وان الدمار ليحملق فينا . ومع كل ، فهيا .. استدع رؤساء الدانيين ، اذا كان فى مقدور أحد أن يسمع ! »

هكذا تكلم ، فلم يتردد مينيلاوس - الرائع فى صيحة الحرب - عن اطاعة قوله ، وأطلق صرخة حادة ، ونادى على الدانيين قائلا : « أيها الاصدقاء ، قادة وحكام الارجوسيين ، يا من على مائدة أجاممنون ومينيلاوس - ابنى أتريوس - تشربون ماشئتم أن تشربوا ، ويعطى كل منكم الامان الى قومه .. أنتم يا من يسير فى ركابكم الشرف والمجد من لدن زوس .. من العسير على أن آمر كل رجل من الرؤساء ، وصراع الحرب مستعر بهذه الدرجة .. هيا ، ليذهب كل رجل دون أن يؤمر ، وليربأ بنفسه عن أن يدع باتروكلوس العوبة لكلاب طروادة » .

واذ قال ذلك ، سمعه أياس السريع ، ابن أوليوس ، فكان اول من اسرع يعدو لمقابلته وسط المعركة ، ومن ورائه ايدومينيوس ، ورفيقه ميريونيس ، نظير انوالسيوس ، قاتل البشر . ومن الذى يستطيع أن يعد - من ذاكرته - أسماء الآخرين الذين جاءوا وراء هؤلاء وأثاروا معركة الآخيين ؟ !

صراع صاخب عنيف

• **اندفع** الطرواديون - بعد ذلك - الى الامام فى حشد متراص ، بقيادة هكتور . وكما يحدث عندما تزأر الموجة العتيدة عند مصب أى نهر مقدس - ضد التيار - فتردد كثبان الشاطىء دويها على كل من الجانبين ، عندما يجأر البحر الملح من الخارج ..

بمثل هذا الطنين من الصياح أقبل الطرواديون . ولكن الآخيين وقفوا ثابتين حول ابن مينو يتيوس ، متحدة قلوبهم ، يحيطونه بدروع من البرونز . وأنزل ابن كرونوس ظلمة كثيفة على خوذاتهم اللامعة ، لانه لم يكن يمقت ابن مينو يتيوس من قبل، عندما كان حيا ، وتابعا لابن اياكوس ، فكان زوس الآن يأنف من أن يدعه العوبة كلاب أعدائه — أهل **طروادة** — ومن ثم فقد فقد اثار زوس رفقاءه لكى يذودوا عنه !

ودفع الطرواديون الآخيين ذوى العيون البراقة الى الوراء — أولا — فتركوا الجثة وتقهقروا أمامهم ، دون أن يقتل الطرواديون الشجعان القلوب أحدا برماحهم ، رغم تلهفهم ، ولكنهم تأهبوا لسحب الجثة . على ان الآخيين ما كانوا ليظلوا متراجعين الا لفترة وجيزة ، فسرعان ما انقض عليهم أياس الذى كان يفوق جميع غيره من الدانيين فى رقته وأعماله الحربية ، ما عدا ابن بيليوس قريع دهره . وفى الحال خطا مسرعا بين محاربى المقدمة ، فى قوة أشبه بقوة الخنزير البرى ، الذى يعيث بين الجبال ، يشتت الكلاب والشباب القوى بسرعة ، عندما يكر عليهم فى الممرات . **على هذا النحو ، لم يكد أياس المجيد ، ابن الملك تيلامون يصل الى كتائب الطرواديين ، حتى شتتهم بسرعة، بعد أن كانوا يقفون حول باتروكلوس ، متلهفين الى سحبه الى مدينتهم كى يحرزوا المجد لانفسهم .**

كان هيبوثوس المجيد ، ابن ليثوس البيلاسجى يجر الجثة من قدميها — ابان الصراع الطاحن — وقد ربط حمالته حول أوتار كل من العقبين ، كى يسر بذلك هكتور والطرواديين . غير أنه — بمنتهى السرعة — وافاه شر لم يستطع أى واحد منهم أن يدفعه ، رغم ما كانوا عليه من لهفة . لان ابن تيلامون انقض عليه وسط الحشد ، وضربه من قرب فوق خوذته ذات القطع البرونزية الجانبية ، فانشطرت الخوذة ذات الخصلة المتخذة من شعر الخيل عند طرف الرمح ، تحت قوة الرمح العظيم واليد

القوية . وتناثر مخه خارج الجرح بطول وصلة الرمح ، وقد اختلط كله بالدم . وعندئذ خارت قواه ، فخلى قبضته عن اقدام باتروكلوس الشجاع القلب ، وتركه فوق الارض ، وسقط هو نفسه بالقرب منه ، بل فوق الجثة مباشرة ، بعيدا عن لاريسا العميقة التربة . ولم يعوض والديه العزيزين عن تربيته ، اذ كان أجله قصيرا ، فقتله أياس البالغ الشجاعة برمحه . وانبرى هكتور بدوره ، فسدد نحو أياس رمحه اللامع ، ولكن أياس ركز بصره نحوه بثبات ، وتحاشى الرمح البرونزى بمسافة بسيطة ، فأصاب هكتور برمحه سخيديوس بن أفيتوس العظيم الجرأة ، أفضل الفوكيين ، الذى كان يقيم فى بانوبيوس الشهيرة ، ملكا على شعب كثير العدد . لقد ضربه هكتور أسفل منتصف عظمة الترقوة ، فنفذ طرف البرونز الى الداخل ، وخرج من أسفل قاعدة الكتف . وسقط فى عنف ، وصلصلت حلته الحربية من فرقه . وضرب أياس بدوره فأصاب فوركوس الحكيم القلب ، ابن باينوبس ، فى بطنه تماما – بينما كان يتخطى هيبوثوس – وحطم لوح درقته ، فأخرج البرونز الاحشاء ، وسقط يتردى فى الثرى ، وأمسك الارض براحته. **عندئذ تقهقر محاربو المقدمة وهكتور المجيد ، وصاح الارجوسيون عاليا ، وسحبوا القتيلين – فوربوس وهيبوثوس – وتأهبوا لينزعوا الحلة الحربية عن أكتافهما .**

وكان مقدورا على الطرواديين أن ينسحبوا ثانية – أمام الآخيين ، احباء اريس – الى طروادة ، مقهورين بسبب جبنهم ، وكاد الارجوسيون يفوزون بالمجد – ولو بالرغم من زوس – جزاء قوتهم وبأسهم لولا أن ابولو نفسه أثار اينياس متنكرا فى صورة المنادى بيريفاس بن ابوتوس ، الذى شاخ فى مهنة المناداة مع أبيه العجوز ، وكان فضلا عن ذلك طيب القلب نحوه .. وفى هذه الصورة ، خاطبه أبولو بن زوس بقوله : « يا اينياس ، كيف استطعت قبل ذلك أن تصون طروادة

العميقة ، متحديا أحد الآلهة ؟ الحق اننى رأيت رجالا آخرين ، كانت لهم ثقة فى قوتهم وشدتهم ، وفى شجاعتهم وجيشهم . واحتفظوا بمملكتهم رغم تحديهم زوس . بيد أن زوس يرغب فى أن يكون النصر لنا أكثر من أن يكون للدانيين . ومع ذلك فثمة ذعر لا حد له يتملككم ، فلستم تقاتلون ! »

هكذا تكلم ، غير أن اينياس عرف ابولو — الذى يضرب من بعيد — عندما تطلع الى وجهه ، وصرخ بصوت مرتفع ينادى هكتور قائلا له : « أى هكتور ، ويأيها القادة الآخرون ، قادة الطرواديين والحلفاء .. من العار حقا ، أن نتقهقر أمام الآخيين — احباء اريس — الى **طروادة** ، مغلوبين على امرنا بسبب جبننا . لقد أعلن لى أحد الآلهة — وهو واقف الى جانبى — ان زوس ، المستشار الاعلى ، لا يزال معيننا فى القتال . وعلى ذلك ، هيا نتجه فورا نحو الدانيين ، ولا تمكنوهم من نقل باتروكلوس المقتول ، الى السفن بسهولة ! » .

هكذا تكلم ، ثم قفز بعيدا الى مقدمة محاربى الصفوف الاولى ، حيث وقف . وانتظم الرجال واتخذوا مواقفهم فى مواجهة الآخيين . بعد ذلك طعن اينياس برمحه ليوكريثوس بن أريسباس ورفيق لوكوميديس الجسور ، فجرحه . وما ان سقط حتى اشفق عليه لوكوميديس ، حبيب أريس . فأقبل الى جانبه ، وبرمية من رمحه البراق أصاب أبيساون ، ابن هيباسوس — راعى الجيش — فى كبده اسفل سرته . وفى الحال أرخى ركبتيه — أبيساون الذى قدم من **باونيا** العميقة التربة ، وكان مبرزا على الجميع فى القتال ، ماعدا أستيروبايوس . وما ان تردى حتى أشفق عليه أستيروبايوس الصنديد ، وانطلق الى الامام ، وكله عزيمة على مقاتلة الدانيين . **بيد انه لم ينجح فى ذلك ، وكان قد سبق السيف العذل ، فلم يستطع عمل شىء ، اذا كانوا محاطين بالتروس من كل جانب ، وهم يقفون حول**

باتروكلوس ، يحملون الرماح امامهم ، لان أياس كان يسير وسطهم جيئة ورواحا ، يهاجم كل رجل فى شـدة وبطش . وأصدر اليهم أمره بألا يتقهقر أى رجل منهم عن الجثة ، والا يقاتل أمام بقية الآخيين كما لو كان مبرزا عليهم اجمعين ، بل يجب ان يثبتوا فى امكنتهم متراصين حول الجثة ، ويقاتلوا يدا ليد . هكذا امر اياس القوى ، وارتوت الارض بالدماء القاتمة ، وطفق القتلى يتساقطون بكثرة وبسرعة ــ سـواء اكانوا من الطراوديين وحلفائهم الاشداء ، او من الدانيين ــ لان هؤلاء أيضا خاضوا معركة لم تخل من دماء ، وان كان عدد من قتلوا منهم أقل بكثير ممن قتلوا من اعدائهم . فقد كانوا يوطدون العـزم باستمرار على دفع الهلاك الاكيد عن بعضهم البعض وسط الحشد .

هكذا قاتلوا كالنار المستعرة ، تخيم الظلمة فوقهم جميعا ، فما كنت تستطيع تبين الشمس أو القمر . وكان جميع الرؤساء واقفين حول ابن مينويتيوس المقتول ، بينما قاتل بقية الطرواديين والآخيين ــ المدرعين جيدا ــ براحة فى الهواء الطلق ، تسطع الشمس فوقهم بنورها الحاد . وكانت السماء خالية من السحب فوق الارض كلها والجبال ، فكانوا يقاتلون مع فترات من الراحة بين آن وآخر ، متحاشين رماح بعضهم ألبعض الآخر .. تلك الرماح المليئة بالانين ، وقد وقفوا متباعدين . أما أولئك الذين كانوا فى الوسط فقد قاسوا الويلات من الظلام والحرب ، على حد سواء . وكان البرونز العديم الرحمة يشدد خناقه عليهم ، وكلهم مـن الرؤساء . ومع كل ذلك فان اثنين من مشاهير المقاتلين ــ هما ثراسوميديس وانتيلوخوس ــ لم يكونا يعلمان حتى تلك الآونة أن باتروكلوس المنقطع المثيل قد مات ، بل ظنا أنه ما زال حيا ، يقاتل الطرواديين فى مقدمة الجمع . وكانا يقاتلان فى مكان بعيد ، وهما يصدان الموت عن زملائهما ، اذ كان نسطور قد امرهما بذلك ، عندما حثهما بالذهاب الى المعركة من السفن السوداء .

اذن فطوال اليوم كله ، كان الصراع الشديد لقتالهم الطاحن يسير على قدم وساق ، وكانت ركب الرجال وسيقانهم وأقدامهم قد ابتلت بعرق الكد .. وكذا سواعدهم وعيونهم . بينما قاتل الجيشان حول الرجل العظيم ، خادم أخيل السريع القدمين . كما يحدث عندما يعطى المرء قومه جلد ثور ضخم رطب كي ينشروه ، وقد ابتل جميعه بالدهن ، فبعد أن يأخذوه ، يقفون في دائرة ويشدونه . وفي الحال تتلاشي منه الرطوبة ، ويتسرب منه الدهن من جراء شد الايدى الكثيرة ، ويتمدد الجلد كله الى أقصى درجة (٢٧) .. هكذا كانت حالهم وهم يشدون الجثة – من هنا وهناك ، والى هنا وهناك – في مسافة قصيرة ، وقلوبهم داخل صدورهم تحدوها الآمال . فيرجو الطرواديون أن يتمكنوا من سحبها الى **طروادة** ، بينما يرجو الآخيون أن يسحبوها الى السفن الجوفاء . **وازدادت المعركة حول الجثة وحشية ، ولم يستطع أريس مثير الجيوش ، ولا أثينا – عند رؤيتهما ذلك الصراع – ان يخففا من حدته ، رغم أن غضبهما كان بالغ الشدة !**

فرض زوس مثل هذا النضال الشرير – في ذلك اليوم – على الرجال والجياد حول باتروكلوس . وحتى تلك الساعة لم يكن أخيل العظيم يعلم شيئا عن مقتل باتروكلوس ، لانهم كانوا يقاتلون بعيدا عن السفن السريعة ، تحت حائط الطرواديين . ومن ثم لم يدر بخلد أخيل أبدا أنه مات ، بل كان يعتقد أنه سيعود حيا بعد ان يصل الى الابواب . ولم يكن يتصور قط ، أن باتروكلوس سيجتاح المدينة بدونه – بل ولا في صحبته – لانه كثيرا ما سمع هذا من امه ، وهو يصغى اليها سرا ، كلما جاءته بخبر عن نوايا زوس العظيم . ومع ذلك فانها لم تنبئه بالشر العظيم الذى حدث .. بأن رفيقه – الذى يعزه فوق كل شيء – قد قتل !

احزان جوادى اخيل

• **ولكن** الآخرين ظلوا يناضلون حول الجثة ـ بسهام حادة فى أيديهم ـ نضال المستميت . وطفقوا يقتلون بعضهم بعضا . وهكذا كان الآخيون المتدثرون بالبرونز يقولون لبعضهم : « أيها الاصدقاء ، لا يشرفنا قط أن نعود ثانية الى السفن الجوفاء ، بل فلتنشق الارض السوداء هنا وتبتلعنا كلنا ، فهذا أفضل لنا اذا اضطررنا الى تسليم هذا الرجل للطرواديين ـ مستأنسى الخيول ـ ليسحبوه الى مدينتهم ويفوزوا لانفسهم بالمجد ! »

وكذلك قال أحد الطرواديين العظيمى الشجاعة ، فى الجانب الآخر : « أيها الاصحاب ، ليس لاحدكم أن يتراجع عن القتال ، ولو قدر علينا أن نموت بجوار هذا الرجل ! »



هكذا كان الكلام يدور فى الجانبين ، فيثير قوة الجميع . ومن ثم فانهم مضوا يقاتلون ، وقد تصاعد صليل الحديد ـ خلال الفضاء المضطرب ـ حتى بلغ السماء البرونزية . **ولكن جوادى ابن أياكوس كانا يبكيان عزلتهما عن القتال ، اذ علما ـ منذ البداية ـ أن سائقهما قد تردى فى الثرى بيد هكتور قاتل البشر .**

وكثيرا ما كان « أتوميدون » الجرىء ـ ابن ديوريس ـ يقسو عليهما بضربات من السوط السريع . وكثيرا جدا ما كان يكلمهما

بعبارات رقيقة — وغالبا بالتهديدات — ومع ذلك فلم يكن فى نية الجوادين كليهما أن يعودا الى السفن .. الى **الهيليسبونت** العريض ، ولا حتى الى المعركة وسط الآخيين .. وكما يظل العمود ثابتا فوق قبر الرجل أو السيدة بعد موتها ، هكذا وقفا دون حراك بجانب العربة الفاخرة ، يطأطئان رأسيهما . **وظلت الدموع تنهمر سخينة من مآقيهما ، فتتساقط على الارض ، وهما يبكيان شوقا الى سائقهما . وكانت أعرافهما الرائعة قد تلوثت وهما يتململان — تحت وسادة النير — على هذا الجانب وذاك** . وبينما هما فى حزنهما ، اذ وقع بصر ابن كرونوس عليهما ، فأحس بالعطف عليهما ، وحرك رأسه ، قائلا فى نفسه : « ويحكما أيها الزوج التعيس من الجياد ، لماذا أعطيناكما للملك بيليوس ، وهو من البشر ، فى حين انكما معمران وخالدان ؟ اكان عليكما وسط البشر التعساء ، أن تشاركاهم الاحزان ؟ .. ذلك لانني أعتقد أن ليس أتعس من الانسان بين كل الكائنات التى تتنفس وتتحرك فوق الارض . ومع كل هذا ، فلن يصعد هكتور بن بريام ، فوق عربتكما الفاخرة الزينة ، اذ لن أحمل نفسى مشقة حدوث هذا . ألا يكفيه أنه استولى على الحلة الحربية ، التى يزهو بها عبثا ؟ كلا ، لن يكون له هذا ، وسأضع القوة فى قوائمكما وقلبيكما ، حتى تستطيعا حمل اوتوميدون سالما — خارج ميدان الوغى — الى السفن الجوفاء ، اذ أننى ما زالت مصرا على منح المجد للطرواديين ، وأن يقتلوا ويقتلوا ، الى أن يبلغوا السفن المتينة المقاعد ، وتغرب الشمس ويقبل الظلام المقدس » .

وما ان قال هذا حتى نفث فى الجوادين قوة بالغة . فنفض الجوادان الغبار عن عرفيهما الى الارض ، وبسرعة انطلقا بالعربة السريعة وسط الطرواديين والآخيين . وناضل اوتوميدون خلفهما — بالرغم من حزنه على رفيقه — منقضا بعربته كالنسر على قطيع من الاوز ، لانه طار بخفة من وسط طنين معركة الطرواديين ، وانطلق بخفة مندفعا خلال الحشد الغفير . ومع

كل هذا ، فما استطاع أن يقتل أحدا وهو يجد فى مطاردتهم ، لانه لم يكن فى مقدوره هذا بأية حال من الاحوال ، اذ كان بمفرده فى العربة المقدسة (٢٨) فلم يكن بوسعه أن يهاجمهم بالرمح وهو ممسك بأعنة الجوادين السريعين . وأخيرا أبصر به رفيقـه ، الكيميدون بن لايركيس بن هايمون ، فوقف خلف العـربة ، وتحدث اليه بقوله : « أيا أوتوميدون ، أى رب بث فى صـدرك نصيحة باطلة ، وسلب فؤادك الفهم والادراك ، حتى أنك تقاتل الطرواديين هكذا وحدك ، فى حشد المقدمة ؟ فقد قتل زميلك ، وارتدى هكتور حلته الحربية على كتفيه ـ حلة ابن أياكوس ـ ويزهو بها »

فأجابه أوتوميدون بن ديوريس ، قائلا : « الكيميدون ، أى رجل آخر من الآخيين له جدارتك فى قيادة وترويض الجوادين الخالدين ، عدا باتروكلوس وحده ، نظير الآلهة فى المشورة ، اذ كان حيا ؟ .. أما الآن فقد حط عليه الموت والقضاء . والآن ، هيا ، خذ السوط والاعنة البراقة ، حتى يمكننى أن أصـعد لاقاتل »

هكذا تكلم ، وقفز « الكيميدون » فوق العربة السريعـة فى القتال ، وبسرعة قبض على الاعنة والسـوط فى يديه ، وهبط أوتوميدون من العربة ، فلمحه هكتور المجيد . وفى الحال تحدث الى اينياس ـ الذى كان قريبا منه ـ فقـال : « يا اينياس ، يا مستشار الطرواديين المتدثرين بالبرونز ، اننى لابصر جوادى ابن اياكوس السريع القدمين ، مقبلين صوب ميدان القتال ، بسائقين ضعيفين وانى آمل فى الاستيلاء على هذين الجـوادين ، اذا اعتزمت ذلك فى قرارة نفسك ، فان الرجلين لن يصمدا ضد هجومنا نحن الاثنين ، ولن يتوقفا للاشتباك معنا فى قتال » .

هكذا قال : فلم يتردد ابن أنخيسيس فى اطاعة قوله . وانطلق الاثنان من توهما الى الامام ، وقد دثرا أكتافهما بدروع من جلد الثيران ، جافة صلبة ، قد ثبت فوقها البـرونز الجم . وذهب

معهما خروميوس ،وأريتوس ، وكلاهما شبيه بالآلهة ، وقلباهما يفيضان لهفة الى قتل الرجلين ودفعهما بعيدا عن الجوادين اللذين تقوس عنقاهما الى أعلى . فيالهما من أحمقين ! .. اذ لن يكون من المستطاع الحصول عليهما بدون اراقة دماء . وأخذهما من أوتوميدون ، فصلى أوتوميدون للاب زوس ، وقد امتلأ قلبه الاسود قوة وشجاعة . وخاطب فى الحال ألكيميدون ـ رفيقه الموثوق به ـ فقال : **« اى الكيميدون ، لا تمسك الجوادين بعيدا عنى ، بل دع انفاسهما تضرب فوق ظهرى تماما ، لاننى لا أظن أن هكتور بن بريام ، سوف يكف عن حميته الا بعد أن يركب خلف جوادى أخيل الجميلى العرف ، ويقتلنا ـ نحن الاثنين ـ ويبث الفوضى بين صفوف المحاربين الارجوسيين ، أو يقتل هو نفسه وسط محاربى المقدمة ! »**

هكذا تكلم ، ونادى الايانتيس كليهما ، ومينيلاوس ، قائلا : « أيها الايانتيس ـ قائدا الارجوسيين ـ ويا مينيلاوس .. الآن أرى عجبا ! أتركا الجثة فى عهدة خيرة الشجعان ، ليقفوا راسخين حولها ويذودوا عنها صفوف الرجال . أما نحن ـ الذين ما زلنا على قيد الحياة ـ فلندفع يوم الموت العديم الرحمة ، لان هكتور واينياس ـ خير الطرواديين ـ ينقضان فى القتال بعنف . وان اردتم الحق ، فان هذه الامور فوق ركب الآلهة . ومن ثم فسأقذف أنا أيضا برمحى ، ولادع النتيجة لزوس »

قال هذا ، ووزن رمحه الطويل الظل ، ثم قذف به ، فأصاب ترس أريتوس الجيد الاتزان من كل جانب . ولم يقو الترس على صد الرمح ، بل نفذ البرونز خلاله ، وانغرس داخل البطن الاسفل خلال الحزام . وكما يحدث عندما يمسك رجل قوى فأسا حادة فى يده ويضرب بها قرون ثور من الخلف ، فيقطع أوتارها فى الحال ، ويندفع الثور الى الامام ويسقط . هكذا ايضا اندفع أريتوس الى الامام ، ثم سقط على ظهره ، وأرخى أطرافه الرمح البالغ الحدة ، الذى انغرس فى أحشائه . بيد أن هكتور ، صوب

رمحه اللامع نحو أونوميدون ، الذى كان يثبت بصره عليه . فاستطاع أن يتحاشى الرمح البرونزى - بانحناءة الى الامام - فانغرس الرمح الطويل فى الارض خلفه ، واهتزت قناته ، وأخيرا اوقف اريس القوى ثورانه . وكادا يلتحمان - بعد ذلك - بالسيوف فى قتال متشابك ، لولا أن الايانتيس فصلا بينهما - وهما هائجان - اذ أقبلا الى الجمع تلبية لنداء زميليهما . فتقهقر ثانية هكتور واينياس وخروميوس ، الشبيه بالاله ، تاركين أريتوس ملقى على الارض يلفظ أنفاسه . وعندئذ هرع أوتوميدون - نظير أريس السريع - ونزع عنه حلته الحربية وتهلل قائلا : **« حقا ، لقد سريت قليلا عن قلبى حزنه لموت ابن مينويتيوس ، اذ قتلت هذا الرجل ، رغم ضآلة شأنه ! »**

وما ان قال هذا ، حتى وضع الغنائم الدموية فى العربة ، ثم اعتلاها ، ويداه مضرجتان بالدماء ، أشبه بأسد افترس ثورا !

نجاح الطرواديين

• **اشتد** القتال الطاحن من جديد فوق باتروكلوس .. قتال مفزع يفيض بالعبرات . وأثارت أثينا الصراع ، بعد أن هبطت من السماء ، لان زوس - الذى يحمل صوته بعيدا - أرسلها لتحمس الدانيين ، فان عقله - للعجب - كان قد تحول ! وبينما كان يبسط زوس للبشر قوس قزح قاتم (٢٩) ، من وسط السماء - علامة على الحرب أو على عاصفة شديدة البرودة تضطر البشر الى الكف عن أعمالهم فوق سطح الارض ، ويزعج القطعان - هكذا أيضا كانت أثينا ، وقد التفت بسحابة دكناء ، ودخلت الى حشد الدانيين ، وأخذت تحمس كل رجل . فبدأت تشجع مينيلاوس الجرىء ، ابن أتريوس - لانه كان قريبا منها - وقد تقمصت هيئة فوينكس ، واتخذت شكله وصوته الذى لا يكل ، فقالت : « أى مينيلاوس ، لسوف يحل بك اللوم والعار ،

اذا مزقت الكلاب جسد الرفيق الموثوق به ، رفيق أخيل المرهوب ، تحت سور الطرواديين . فلتصمدن بجرأة ، ولتحثن الجيش كله ! »

فأجابها مينيلاوس ، الرائع فى صيحة الحرب قائلا : « أى فوينكس ، أيها السيد العجوز ، وصديقى منذ الايام الخوالى ، ليت أثينا تهبنى القـوة وتنحى عنى الرماح . اذن لتلهفت الى الوقوف الى جوار باتروكلوس ومساعدته ، اذ بخع قلبى موته . ومع كل ، فان هكتور ليتقد حماسا كالنار ، ولا ينى عن احداث الشغب بالبرونز ، فقد منحه زوس المجد » .

هكذا تكلم ، فاغتبطت الربة أثينا ــ النجلاء العينين ــ اذ صلى لها قبل جميع الآلهة . فوضعت القوة فى كتفيه وركبتيه ، وبثت فى صدره وقاحة الذبابة ، التى تطرد بعيدا دائما ، ولكنها تعاود الحط على بشرة المرء وتمعن فى اللدغ ، ويحلو لها دائمـا دم الانسان . . بمثل تلك الجرأة الملحاحة ملأت أثينا قلبه الاسود داخل صدره ، فوقف عند باتروكلوس وقذف رمحه البراق . وكان بين الطرواديين رجل ثرى جسور اسمه بوديس بن ايتيون وكان هكتور يبجله أكثر من الجميع ، اذ كان زميله الذى يرحب به دائما على مائدته . ولقد ضربه مينيلاوس ــ الجميل الشعر ــ فوق حزامه ، برمح قذف به عندما هم بالفرار ، ودفع البرونز الى الداخل ، فسقط بعنف . وسحب مينيلاوس بن اتريوس ، جثة القتيل من وسط الطرواديين الى حشد رفاقه .

عندئذ اقترب أبولو من هـكتور ، فى صـورة أسيوس بن فاينوبس ، الذى كان أعز أصدقائه الاضياف ، وكان يقيم فى أبودوس . فشجعه فى تلك الصـورة ــ أبولو ، الذى يصيب من بعيـد ــ وخاطبه بقوله : « أى هـكتور ، من من الآخيين يمكن أن يهابك بعد الآن ، وقد ضعفت أمام مينيلاوس ، الذى كان من قبل محاربا ضعيفا ؟ . . لقد سحب القتيل من بين صفوف الطرواديين ، وانطلق دون مساعدة أحد . . لقد

صرع رفيقك المخلص، بوديس بن أيتيون، خير محاربى المقدمة»

قال هذا ، فغشيت هكتور سحابة سوداء من الحزن ، فخطا وسط محاربى المقدمة ، متدثرا بالبرونز الوهاج . وبعدئذ تناول ابن كرونوس ترسه ذا الاهداب ، المتلألىء كله سناء ، ولف ايدا بالسحب ، وأرعد بعنف وأبرق ، وهز الترس مانحا النصر للطرواديين ، أما الآخيون فقد دفعهم الى الفوضى .

وكان أول من بدأ الشغب هو بينيلوس البيوتى . فبينما كان ينتظر دائما فى مواجهة العدو ، اذا به يصاب فى سطح كتفه برمح ، بضربة ساحجة . وغاص طرف رمح بولوداماس حتى العظم (٣٠) ، اذ كان هو الذى سدد اليه الضربة من كثب . كما ان هكتور أصاب لايتوس اليكترون — البالغ الشجاعة — بجرح فى ساعده ورسغه ، فى التحام ، فاضطره الى الكف عن القتال: وبعد أن تلفت حوله بقلق ، تقهقر الى الخلف ، وقد فارقه الامل فى أن يستطيع حمل الرمح فى يده — بعد ذلك — ليقاتل الطرواديين . **وبينما كان هكتور يطارد لايتوس ، ضربه ايدومينيوس فوق درقته ، على صدره بجانب ثديه ، غير أن سن الرمح الطويل تحطم فى مركز الدرقة ، فصاح الطرواديون بصوت عال** . وصوب هكتور نحو ايدومينيوس بن ديوكاليون — وهو يقف فوق عربته — فأخطأه بمسافة ضئيلة . ولكنه — مع ذلك — أصاب كويرانوس رفيق وسائق ميريونيس ، الذى كان يتبعه من داخل **لوكتوس** المتينة البناء . فقد أقبل ايدومينيوس من السفن المقبية ، سائرا على قدميه ، وكاد يسلم للطرواديين نصرا مبينا ، لولا أن كويرانوس قاد الجياد بسرعة — تلك الجياد السريعة الاقدام — فكان مقدمها بارقة الخلاص لايدومينيوس، اذ أبعدت عنه يوم الموت العديم الرحمة.

زوس يشفق على مينيلاوس

• **ولكن** كويرانوس فقد حياته على يد هكتور قاتل البشر ، اذ

ضربه أسفل فكه - تحت أذنه - فحطم الرمح أسنانه من جذورها ، وشطر لسانه من وسطه ، وسقط من العربة ، تاركا الاعنة تقع فوق الارض . فانحنى ميريونيس والتقطها بيديه من الارض ، وخاطب ايدومينيوس قائلا : « استخدم السوط الآن حتى تبلغ السفن السريعة . وعندئذ ستعلم من تلقاء نفسك ان النصر بعد ذلك ليس فى جانب الآخيين ! »

هكذا تكلم ، فأمسك ايدومينيوس السوط وألهب به الجياد ذات الاعراف الجميلة ، عائدا الى السفن الجوفاء ، وقد استولى الذعر على روحه .

ولم يكن أياس الجرىء القلب ، ولا مينيلاوس ، بغافلين عن أن زوس كان يعطى النصر للطرواديين ، لكى يحول تيار المعركة . فتكلم أياس التيلامونى أولا ، وقال : « سحقا للقوم ! الآن يستطيع أى فرد ، مهما كان أحمق ، أن يعرف ان زوس نفسه يساعد الطرواديين . اذ ان جميع سهامهم تصيب أهدافها - سواء أكان قاذفها بارعا أم رعديدا - اذ أن زوس يرسلها الى أهدافها . أما رماحنا فانها تسقط جميعا على الارض متخاذلة . فتعالوا هيا ندبر لانفسنا خير خطة يمكننا بها أن نسحب الجسد بعيدا ، ثم نعود الى الوطن لندخل السرور على نفوس زملائنا الاعزاء ، الذين أحسبهم مكتئبين وهم يتطلعون الى هناك ، ويظنون أن حمية هكتور قاتل البشر ، ويديه المنيعتين ، لن تتوقف عند حد ، بل انه سيهجم على السفن السوداء . أما من رفيق يحمل كلمة بمنتهى السرعة الى ابن بيليوس ، فما أعتقد الا أنه لم يعلم قط بالقصة المؤلمة ، قصة مقتل رفيقه العزيز . ومع كل فاننى لا أرى أحدا وسط الآخيين فى أى مكان ، لان الظلمة تغشاهم جميعا ، هم وخيولهم ايضا . أبتاه زوس ، خلص أبناء الآخيين من الظلمة ، واجعل السماء صافية ، ومكننا من أن نرى بعيوننا . وفى النور فلتقتلنا ان كان فى هذا غبطتك المفضلة ! »

هكذا تكلم ، فأشفق الاب عليه وهو يبكى ، وفى الحال بدد الظلمة وأبعد الغمام ، وسرعان ماسطعت الشمس فوقهم .
وتجلت المعركة كلها للعيان. عندئذ تحدث أياس الى مينيلاوس، الرائع فى صيحة الحرب ، قائلا : « تطلع الآن ، يا مينيلاوس ، يا سليل زوس ، لعلك ترى أنتيلوخوس بن نسطور ــ البالغ الشجاعة ــ على قيد الحياة ، وعندئذ حثه على أن يذهب بسرعة الى أخيل الحكيم القلب ، ليخبره بمقتل صديقه الاعز »

واذ قال هذا ، لم يتردد مينيلاوس ــ الرائع فى صيحة الحرب ــ عن اطاعته ، فانطلق فى طريقه كليث عائد من فناء مزرعة، بعد أن برح به التعب من الكلاب والرجال الذين لم يمكنوه من القبض على أسمن مافى القطيع ــ وقد باتوا الليل كله ساهرين فى الحراسة ــ غير أنه لاشتهائه اللحم، انقض الى الامام ، ولكنه لم يصب شيئا ، اذ انهالت عليه السهام بغزارة وقد قذفتها أيد قوية ، مصحوبة بجذوات نار مشتعلة ، فيخور أمامها مهما كانت لهفته ، وينصرف عند الفجر بقلب حزين .. هكذا أيضا رحل مينيلاوس ــ الرائع فى صيحة الحرب ــ من جانب باتروكلوس ، على غير رغبته ، لانه كان يخشى كثيرا أن يتركه الآخيون فريسة للعدو، وقد أحاط بهم شغب مؤلم . فأصدر كثيرا من الاوامر لميريونيس والايانتيس، قائلا : «أيها الايانتيس، قائد الارجوسيين ، وأنت يا ميريونيس .. ليتذكر كل رقة باتروكلوس التعيس ، فقد كان رقيقا مع الجميع ابان حياته . أما الآن فقد حل به الموت والقدر ! »

رسول ينعى باتروكلوس الى اخيل

• **وما** ان قال مينيلاوس هذا ــ وهو يتلفت بحذر فى كل جانب، كالنسر الذى يعتقد الناس انه أقوى المخلوقات التى تحت السماء ــ لاسيما المجنحات ــ بصرا ، فلا تخفى عنه الارنب

البرية ، السريعة الاقدام ، مهما يكن عاليا ، بل ينقض النسر عليها لفوره ، ويمسك بها فيسلبها الحياة . **هكذا أيضا ، يا مينيلاوس - يا سليل زوس - أخذت عيناك البراقتان تجولان هنا وهناك خلال حشد رفاقك العديدين ، عسى أن يقع بصرك على ابن نسطور حيا .**

وسرعان مالمحه فى الجانب الايسر للمعركة ، يشجع رفقاءه ويحثهم على القتال. فاقترب منه مينيلاوس الجميل الشعور، وخاطبه بقوله : « أى أنتيلوخوس .. تعال يا ربيب زوس ، كى تعلم النبأ الممض ، الذى أتمنى ألا يكون ابدا .. اعتقد انك تعرف - لان عينيك تريان الامر - كيف أن ربا يدفع الخراب نحو الدانيين ، والنصر نحو الطرواديين . والمقتول هو خير الآخيين . .انه باتروكلوس، فما أشد الحزن الذى ألم بالدانيين. فهل لك أن تنطلق بسرعة الى سفن الآخيين ، فتحمل النبأ الى أخيل ، أملا فى أنه قد ينقل - الى السفينة فورا - الجثة العارية .. فقد استولى هكتور ، - ذو الخوذة البراقة - على حلته الحربية ! »

هكذا تكلم ، فلما سمع أنتيلوخوس هذا الكلام ، استولى عليه الذعر ، وظل صامتا مدة طويلة ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وانحبس صوته . ومع ذلك فانه لم يهمل أمر مينيلاوس ، بل انطلق يجرى ، وأعطى حلته الحربية لزميله لاودوكوس المنقطع النظير ، وكان يقود جياده القوية الحوافر بالقرب منه .

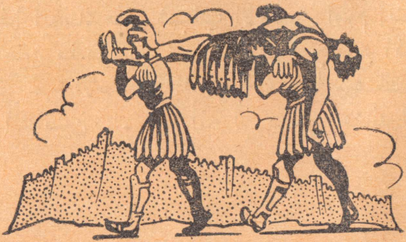
وأخذ يجرى وهو يبكى ، فحملته قدماه بعيدا عن المعركة ، لينقل الى أخيل نبأ سيئا . ولم يكن قلبك ، يا مينيلاوس ، يا سليل زوس ، معتزما مساعدة الرفاق الذين ضيق عليهم الخناق بشدة ، وقد انصرف عنهم أنتيلوخوس، فداخل رجال بيليوس هم عظيم . على انه لم يلبث أن أرسل ثراسوميديس العظيم لمعونتهم ، وذهب هو شخصيا الى المحارب باتروكلوس،

وجرى يقف الى جانب الايانتيس ، وتحدث اليهما قائلا : «لقد بعثت ذلك الرجل الى السفن السريعة ، ليذهب الى أخيـل ، السريع القدمين . ومع ذلك ، فلست أظن أن أخيل سـيأتى فورا ، مهما تكن نقمته على هـكتور العظيم ، لانه لا يستطيع بحال ما أن يقاتل الطرواديين وهو غير مسلح . هيا نتدبر خير خطة نسحب بها الجثة ، وننجو نحن أنفسنا من الموت والقدر، وسط طنين معركة الطرواديين »

فأجابه أياس التيلامونى العظيم بقوله : « كل ماقلت صواب يا مينيلاوس الامجد ، فارفع أنت وميريونيس الجثة بسرعة ، وانقلاها بعيدا عن المعمعة ، بينما نقاتل من خلفكما الطرواديين وهكتور العظيم ، نحن معـا بقلب واحد ، كما نحمـل اسمـا واحدا .. فمنذ زمن بعيد ونحن نتوق الى الصمود فى المعركة الطاحنة جنبا الى جنب .

الآخيون يظفرون بجثة باتروكلوس

• **واذ** قال هذا، رفع الآخران القتيل عن الارض بسواعدهما وقوتهما العظيمة . فلمـا أبصر الطرواديون الآخيين يرفعـان الجثة ، صاحوا وراءهما بصوت مدو، وانقضوا عليهما كالكلاب تنقض على خنزير برى جريح ، أمام الصيادين الفتيان ، حتى يهجم عليه هؤلاء ويمزقوه اربا ، وما ان يدور حولهم معتمـدا على قوته ، حتى ينكصوا على أعقـابهم مذعورين ، مشتتين ، واحدا هنا وواحدا هناك .. **هكذا أيضا ظل الطرواديون يقتفون اثرهما زرافات ـ الى حين ـ وهم يطعنون بالسيوف والرماح ذات الحدين ،فما ان كان الايانتيس يستديران اليهم ويواجهانهم، حتى كان لونهم يتبدل ، فلا يجرؤ أى فرد منهم على أن يهجم أو يقاتل من اجل الميت !**

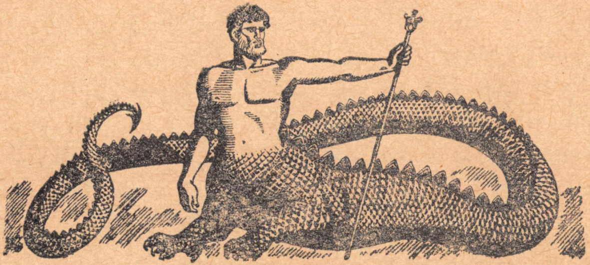


هكذا أسرع الاثنان بحمل الجثة بعيدا عن المعركة - الى السفن الجوفاء - فاشتد ضدهما وطيس القتال ، كالنار التى تندفع فجأة نحو مدينة للبشر ، فتندلع فيها ألسنة اللهب ، وتتداعى المنازل وتسقط وسط الوهج الشديد ، بينما تزيدها الرياح اضطراما وزمجرة .. هكذا أيضا كان طنين العربات والرماحين يقبل نحوهما بغير انقطاع ، وهما ذاهبان بالجثة . وكما تركز البغال قوتها فى كل جانب - تلك القوة الهائلة - لتجر كتلة من الخشب ، أو قطعة ضخمة من سفينة ، من جبل وعر المسالك ، فتعانى قلوبها فى جوفها لفرط التعب والعرق .. هكذا أيضا أسرع هذان ليحملا الجثة ، وكان الايانتيس يحجزان العدو عنهما ، كما تحجز الفيضان حافة من الخشب يتصادف وجودها فى سهل ، وتوقف التيارات المائية العظيمة للأنهار القوية، وفى الحال تحول اتجاهها لتتدفق فوق السهل ، ولا تجدى قوة فيضانها فى المرور خلالها ..

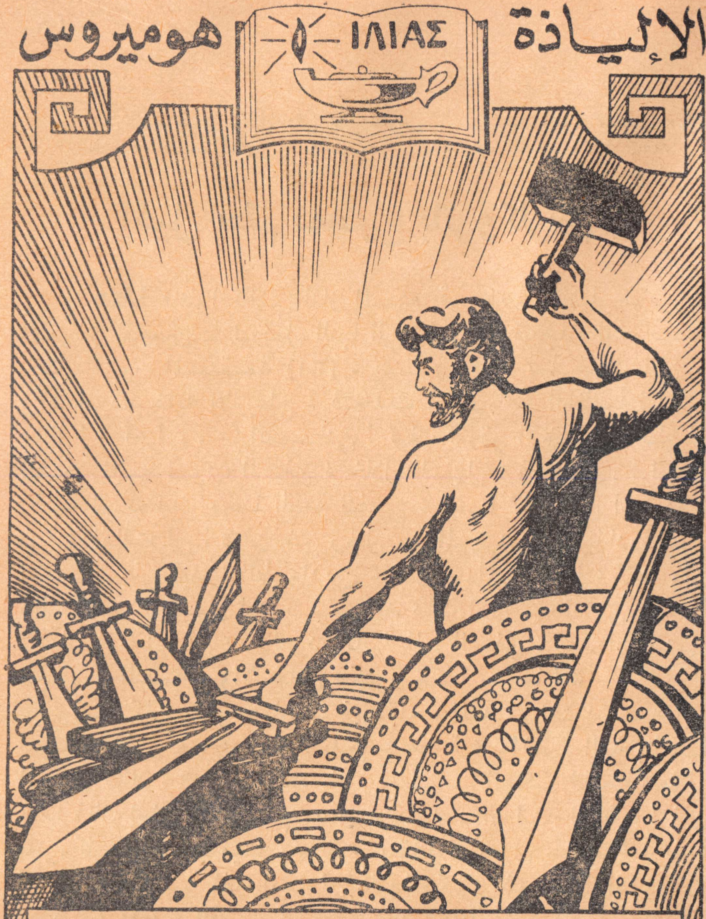
هكذا أيضا حجز الايانتيس معا معركة الطرواديين ، ولكن هؤلاء كانوا يطاردونهما باستمرار ، لاسيما اثنان كان أشد تحمسا من الجميع ، هما أينياس بن أنخيسيس ، وهكتور المجيد .

وكما تطير سحابة من الزرازير والعقاعق ، وتصيح صيحات

مفزعة ، عندما ترى بازيا يقبل نحوها ، يحمل الموت لصغار الطيور . . هكذا أيضا، طار شباب الآخيين أمام أينياس وهكتور، يصيحون فزعين مذعورين ، وقد نسوا جميع أفانين القتال ، وتساقط كثير من الأسلحة البديعة ، هنا وهناك حول الخندق أثناء هروب الدانيين . . غير أنه لم يكن هناك أى توقف عن الحرب !



الإلياذة هوميروس



الأنشودة الثامنة عشرة

« .. والقى فى النار ببرونز صلب ، وقصدير ، وذهب ثمين ، وفضة .. وإقام سنداته ، وأمسك باحدى يديه مطرقته المتينة ، كما أمسك باليد الاخرى الملاقط .. »

كيف حزن أخيل على باتروكلوس .. وكيف طلبت ثيتيس حلة حربية جديدة له من هيفايستوس .. وكيف صيغت هذه الحلة

أخيل يعلم بمصرع باتروكلوس

• **هكذا** قاتلوا كأنهم النار المستعرة، وذهب أنتيلوخوس ــ السريع القدمين ــ ليحمل النبأ الى أخيل . فوجده أمام سفنه ذات القرون المستقيمة (٣١) ، يتنبأ فى قلبه بما حدث الآن ، وقد انزعج غاية الانزعاج ، فتحدث الى روحه العظيمة الباسلة قائلا : « آه ! .. ما أتعسنى ! كيف تقهقر الآخيون الطويلو الشعر ثانية صوب السفن ، خلال السهل ، فى فوضى ؟ لعل الآلهة لم تحدث محنا أليمة لنفسى ، كما أخبرتنى أمى ذات مرة ، فقالت لى : « ان خير رجل من الميرميدون سيغادر ضوء الشمس على أيدى الطرواديين ، ابان حياتى ! حقا ، لابد وأن ذلك الابن الجسور لمينويتيوس قد مات الآن . ياله من طائش! لاشك فى أننى أمرته بالعودة ثانية الى السفن ، بعد أن ينتهى من النار النهمة ، والا يقاتل هكتور هكذا سريعا ! »

وفيما كان يفكر هكذا ــ فى عقله وقلبه ــ اقترب منه ابن الملك نسطور ، وهو يبكى بدموع حارة ، وأفضى اليه بالنبأ المحزن قائلا : « واحسرتاه يا ابن بيليوس الحكيم القلب ، مؤلم جدا ذلك الخبر الذى يجب أن تسمعه . ألا ليته لم يكن ! فان باتروكلوس يرقد ميتا ، والقوم يتقاتلون حول جثته العارية ، أما حلته الحربية فقد استولى عليها هكتور ذو الخوذة البراقة »

هكذا تكلم ، ففشيت سحابة من الكآبة نفس أخيل ، فأخذ التراب القاتم بكلتى يديه ، ونثره فوق رأسه ، فلوث وجهه الجميل . وسقط الرماد الاسود فوق عباءته المعطرة ، وانبطح على الثرى بشدة ، بقدر قوته ، وأخذ يشد شعره وينزعه

بكلتى يديه. فصرخت الاماء - اللواتى كان أخيل وباتروكلوس قد استوليا عليهن سبايا - والالم يحز فى أفئدتهن ، وجرين من فورهن حول أخيل الحكيم القلب ، وطفقن جميعا يلطمن صدورهن بأيديهن، وقد ارتخت ركبتا كل واحدة منهن تحتها. أما أنتيلوخوس ، فقد راح يولول ويسكب الدموع ، ممسكا بيدى أخيل ، وهو يتأوه بشدة من قلبه ، اذ خشى أن يقطع رقبته بالسيف رهيبا

بين ثيتيس وأخيل

• **وما لبث** أخيل أن أرسل صرخة مدوية ، سمعتها أمه الجليلة وهى تجلس فى قاع البحر بجانب أبيها العتيق . فصرخت صرخة حادة ، واحتشدت الربات حولها ، جميع بنات نيريوس - اللائى كن فى قاع البحر . وكانت هناك جلاوكى، وثاليا ، وكومودوكى، ونيسايا ،وسبايو، وثوى ، وهاليى ذات عيون المها ، وكوموثوى ، وأكتايا ، وليمنوريا ، وميليتى ، وأيارا ، وأمفيثوى ، وأجافى ، ودوتو ، وبروتو، وفيروسا، ودونامينى، ودوريس ، وبانوبى ، وجالاتيا المجيدة ، ونيميرتيس ، وابسيوديس ، وكالياناسا .. كماكانت هناك كلومينى ، وأيانيرا ، واياناسا ، ومايرا ، واوريثوا ، وأماثيا الجميلة الغدائر . كما كانت هناك نيريايات أخريات فى أعماق البحر . فامتلأ الكهف البراق بأولئك ، وأخذن جميعا يلطمن صدورهن ، وكانت ثيتيس تقودهن فى النواح قائلة : « انصتن أيتها النيراديات الاخوات ، لتسمعن وتعرفن كل ما فى قلبى من الاحزان . ويحى ، أنا التعيسة ، واحسرتاه لاننى أنجبت لآلامى خير الرجال . **فبعد أن أنجبت ولدا عديم النظير، باسلا صنديدا ، مبرزا بين المحاربين ، وقد نما شبيها بالغصن .. وبعد أن ربيته ونشأته كنبات فى حقل ، غزير الانتاج ،**

بعثت به الى (طروادة) فى السفن المدببة ،ليحارب الطرواديين . بيد أننى لن أرحب به ثانية بعد الآن وهو عائد الى وطنه ، الى بيت بيليوس . ولقد كان حزينا - عندما كان حيا ، يبصر ضوء الشمس - ولم أستطع مساعدته بحال ما ، رغم أننى كنت أذهب اليه . ومع ذلك فسأذهب لارى ولدى العزيز ، وأعرف أى حزن ألم به ، وهو بعيد عن القتال » .

وما ان قالت هذا حتى غادرت الكهف ، وذهبت الحوريات معها باكيات ، تنشق من حولهن أمواج البحر شطرين . فلما بلغن أرض **طروادة** العميقة التربة ، وطئن الشاطىء - واحدة اثر أخرى - حيث سحبت سفن الميرميدون الى أعلى فى صفوف متراصة حول أخيل السريع . فاقتربت منه أمه الجليلة ، وهو يئن أنينا عاليا ، وصاحت صيحة حادة ، وأمسكت رأس ولدها ، وخاطبته بكلمات مجنحة وهى تبكى قائلة : « أى بنى ، لم هذا البكاء ؟ أى حزن استبد بقلبك ؟ !.. أفصح ، ولا تخش شيئا . فقد حقق زوس رغبتك التى طلبتها عندما رفعت يديك مصليا ، وتمنيت أن يحضر جميع أبناء الآخيين عند مؤخر السفن ، فى مسيس الحاجة اليك ، وأن يقاسوا أهوالا مريرة ! »

فأجابها أخيل ، السريع القدمين ، وهو يئن أنينا شديدا ، فقال : « أماه ، حقا ، لقد أجاب الاوليمبى وحقق صلواتى ، ولكن ماذا يبهجنى فيها وقد مات صديقى العزيز باتروكلوس ، الذى كنت أبجله أكثر من جميع أصدقائى .. قتله هكتور وسلب منه حلته الحربية ، البديعة الضخمة ، مثار اعجاب الناظرين .. تلك التى قدمتها الآلهة هدية مجيدة لبيليوس ، يوم أن وضعوك فى فراش رجل من البشر . ليتك بقيت عذراء حيث كنت بين عذارى البحر الخالدات ، وليت بيليوس أخذ الى بيته زوجة من البشر . أما الآن ، فهكذا قدر عليك أن تحزنى وتقاسى غما لا حد له فى قلبك من أجل ولدك الميت ، الذى لن ترحبى به ثانية فى وطنه ، اذ يحدثنى قلبى الا أمكث

وأعيش بين البشر ، الا بعد أن أضرب برمحى هكتور ، وأفقده حياته ، وبذا يدفع الثمن غاليا على قتله باتروكلوس بن مينويتيوس »

عندئذ تحدثت اليه ثيتيس ثانية، والدموع تنهمر من مآقيها،



فقالت : « **محكوم عليك يابنى ، أن تموت عاجلا ، مادمت تتكلم هكذا ، فبعد هكتور مباشرة ، يكون موتك قريبا جدا** »

حينئذ قال لها أخيل السريع القدمين ، وقد تأثر تأثرا بالغا : « انى لاتمنى موتى فورا ، لاننى لم أستطع مساعدة صديقى عند مقتله ! .. لقد تردى بعيدا جدا عن وطنه ،وكان مفتقرا الى أن أكون حصنه ضد الفناء . وبما أننى لن أعود الى وطنى العزيز ، ولم ابرهن ـ بأية حال من الاحوال ـ على أننى منقذ لباتروكلوس أو لاصدقائى الآخرين الكثيرين الذين قتلهم هكتور العظيم، بل بقيت هنا بجانب السفن كمتاع لانفع له على الارض ـ أنا الذى لا يوجد لى مثيل ، فى الحرب ، بين الآخيين المتدثرين بالبرونز ، رغم أن هناك من يفضلنى فى المشورة ـ بما اننى كنت كذلك ، فهل للصراع أن يختفى بين الآلهة والبشر ، وكذلك الغضب الذى يفضي بالمرء الى الضغينة، مهما يكن حكيما . ذلك الغضب الذى يفوق فى حلاوته العسل المصفى ، وينمو كالدخان فى قلوب البشر .. كذلك كان الحال

عندما دفعني أجاممنون - ملك البشر - الى الغضب . ومع كل ، يجب أن نغض الطرف عن هذه الامور ، بسبب آلامنا الجمة ، ونكبح جماح قلوبنا في صدورنا .. **والآن هل لى أن أنصرف فى الحال لانقض على قاتل من أحببته..على هكتور . لسوف أتقبل الموت بنفس راضية ، عندما يرغب زوس فى تنفيذه ، وكذلك الآلهة الآخرون الخالدون** . فان هرقل القوى نفسه لم ينج من الموت ، رغم أنه كان عزيزا جدا لدى زوس ابن كرونوس ، الملك ، فقد غلبه الموت ، وكذا غضب هيرا الفظيع . وهكذا أنا أيضا ، سأفترش الغبراء عند موتى ، اذا قدر لى مصير مماثل . أما الآن فدعينى أحرز الصيت المجيد ، وأجعل الكثيرات من الطرواديات أو الدردانيات الممتلئات الصدور ، يمسحن العبرات بكلتا أيديهن من فوق وجناتهن الرقيقة ، وسط عويل لا ينقطع .. وليعلمن أننى كنت بعيدا عن الحرب زمنا طويلا . اذن لاتحاولى أن تمنعينى عن القتال، لانك لن تستطيعى ذلك رغم جميع ما قدر لى ! »

عند ذلك أجابته الربة ، ثيتيس الفضية القدمين ، قائلة : « نعم ، ان الامر كما تقول يا بنى ، فليس من القبيح أن تدفع الهلاك الشامل عن أصدقائك ، الذين ضيق عليهم الخناق بشدة . بيد أن حلتك الحربية العظيمة قد استولى عليها الطرواديون .. حلتك الحربية البرونزية ، التى تتلألأ كلها سناء . **ان هكتور - ذا الخوذة المتألقة - يرتديها فوق كتفيه مزهوا بها . ومع ذلك ، فانى أعتقد ، أنه لن ينال بها المجد طويلا ، حيث ان موته قريب . ولكن لاتتدخل فى شغب أريس الا بعد أن تبصرنى عيناك قادمة الى هنا ثانية . فلسوف أعود فى الصباح عندما تخرج الشمس من خدر أمها ، أحمل اليك حلة حربية رائعة من عند السيد هيفايستوس »**

قالت ذلك واستدارت لتعود من عند ابنها، وما ان استدارت حتى خاطبت شقيقاتها فى البحر ، بقولها : « غصن الآن تحت

سطح البحر العميق ، لزيارة شيخ البحر الكهل ، وساحات أبينا ، وأخبرنه بكل شيء . فاننى صاعدة الى **أوليمبوس** الشاهق الى بيت هيفايستوس ، الحداد الذائع الصيت ،عسى أن أحصل منه لابنى على حلة حربية متألقة مجيدة »

صيحة أخيل

هكذا قالت ، وفى الحال غصن تحت أمواج البحر ، بينما انطلقت الربة ثيتيس - اللجينية القدمين - فى طريقها الى **أوليمبوس** ، كى تحضر حلة حربية مجيدة لابنها العزيز . ومن ثم فقد حملتها قدماها الى **أوليمبوس** ، بينما كان الآخيون يطلقون العنان لاقدامهم أمام هكتور قاتل البشر، وهم يصرخون صراخات مروعة ، حتى بلغوا السفن والهيليسبونت . ومع ذلك فلم يقدر للآخيين المدرعين جيدا، أن يسحبوا باتروكلوس - خادم أخيل - من وسط الرماح ، فقد استرده جيش وعربات الطرواديين . اذ تقدم هكتور بن بريام - الذى يحكى اللهب فى قوته - وأمسك بقدميه من الخلف ، ثلاث مرات ، متلهفا الى سحبه بعيدا ، وهو يصيح عاليا على الطرواديين . . وثلاث مرات دفعه الايانتيس ، المتسربلان بالشجاعة الجامحة، بعيدا عن الجثة . ولكنه كان يعتمد دائما على قوته ، وصار يهجم عليهما مقاتلا ، ويقف ويصيح عاليا ، غير أنه لم يتراجع الى الخلف قيد أنملة . **وكما يفشل رعاة المزرعة فى اقصاء ليث غضنفر عن جثة ، عندما يعضه الجوع ، هكذا أيضا لم يفلح الايانتيس ،المحاربان ، فى ارهاب هكتور بن بريام ، وابعاده عن الجثة** . وقد كاد الآن ينجح فى سحب الجثة ، فيفوز بمجد عظيم ، لولا أن ايريس السريعة ، هرعت من **أوليمبوس** تحمل رسالة الى ابن بيليوس ، بأن يتأهب للقتال ، دون علم زوس والآلهة الآخرين ، اذ أوفدتهما هيرا ، فاقتربت منه وتحدثت

اليه بكلمات مجنحة ، قائلة : « انهض يا ابن بيليوس ، يا أعظم الرجال بأسا ! قدم المعونة الى باتروكلوس ، الذى يدور حوله صراع مرير أمام السفن . والرجال يقتلون بعضهم بعضـــا ، هؤلاء يسعون الى الدفاع عن جثة الميت، بينما يهجم الطرواديون ليسحبوه الى **طروادة** ذات الرياح ، ولا سيما هكتور المجيــد ، الذى يتوق الى سحبه بعيدا ، ويتحرق قلبه شـوقا الى أن يحز رأسه من عنقه الرقيق ، ويضعه فوق أوتاد سور المدينة. فانهض، **ولا تقبع هنا** أكثر من ذلك! وليستبدن الفزع بروحك، من أن باتروكلوس سوف يغدو ألعوبة كلاب **طروادة** . فعـار عليك أن تأتى اليك جثته محتقرة مدنسة » .

فأجابها أخيل السريع القدمين بقوله : « أيتها الربة ايريس ، من من الآلهة بعث بك الى ؟ »

فتحدثت اليه ايريس، السريعة القدمين ، قائلة من جديد : « بعثتنى هيرا ، زوجة زوس المجيد ، ابن كرونوس ، الجالس فوق عرشه السامى ، لا يعلم شيئا عن هذا ، كما لا يعلم به أى أحد آخر من الخالدين القاطنين فوق **أوليمبوس** الجليدى » .

فرد عليها أخيل ، السريع القدمين ، بقوله : « ولكن ، كيف أدخل المعركة ؟ لقد استولوا هناك على عدتى الحربية ، وقــد منعتنى أمى العزيزة من التأهب للقتال الا بعد أن تراها عيناى مقبلة الى هنا ، اذ وعدتنى بأن تحضر لى حـلة حربية عظيمة من عند هيفايستوس . فلست أعرف رجلا يمكننى أن أرتدى حلته الحربية المجيدة ، الا اذا كان درع أياس بن تيـلامون . ولكن هذا يحتل مكانه بين محاربى المقدمة ، محـدثا الشغب برمحه ذودا عن باتروكلوس القتيل »

فأجابته ثانية، ايريس السريعة ، التى تحكى قدماها الرياح، فقالت : « اننا أنفسنا نعلم أنهم استولوا على حلتك الحربية ، ولكننا نريدك أن تذهب ـ بحالتك هذه ـ الى الخندق ، وتظهر نفســك لرجال طروادة ، فقــد يتملكهم الخـوف من مرآك ،

ويكفون عن القتال ، وعندئذ قد يسترد أبناء الآخيين البواسل أنفاسهم ، اذ أنهكهم التعب ، لان فترة الراحة في القتال ضئيلة »

وما ان قالت ايريس – السريعة القدمين – هذا ، حتى انصرفت ، ونهض أخيل حبيب زوس ، فألقت أثينا ترسها ذا الاهداب حول كتفيه القويتين ، وأقامت الربة الفاتنة سحابة ذهبية كثيفة حول رأسه ، وأشعلت بعيدا عنه ، نارا متأججة . وكما يحدث عندما يتصاعد الدخان فيتطاول الى عنان السماء ، من جزيرة يحاصرها العدو ، بينما يقاتل رجالها طوال اليوم كله – فى حرب بغيضة من فوق أسوار مدينتهم – حتى اذا غربت الشمس ، تألقت فى الحال نيران المنائر – واحدة بعد اخرى – وارتفع وهجها عاليا ليراه السكان المجاورون ، اذا ما أقبلوا فى سفنهم ، لتكون نذيرا لهم من الدمار . . هكذا أيضا تصاعد الضوء من رأس أخيل نحو السماء . ثم خطا مسرعا من الحائط الى الخندق ، حيث اتخذ وقفته ، ومع ذلك فانه لم ينضم الى جماعة الاخيين ، احتراما لامر أمه الحكيم . فوقف هناك وصاح . . ومن بعيد صاحت بالاس أثينا ، فدب ارتباك – وأى ارتباك ! – بين الطرواديين . وكان صوت ابن أكايوس واضحا وضوح صوت البوق ينفخ عاليا تحت ضغط الاعداء الفتاكين المحاصرين لمدينة ما . فلما سمعوا صوته البرونزى ، دب اليأس فى قلوب الجميع ، ومالت الجياد الجميلة الاعراف بعرباتها الى الخلف ، اذ تنبأت أرواحها بالدمار . وألم الفزع بسائقيها عندما أبصروا النار – التى لاتخبو – متأججة بصورة مخيفة فوق رأس ابن بيليوس البالغ الشجاعة . . لان الربة أثينا – البراقة العينين – اذكت سعيرها . **وصاح أخيل العظيم بقوة ثلاث مرات فوق الخندق ، وثلاث مرات ارتبك الطرواديون وحلفاؤهم المشهورون . . اذ ذاك هلك اثنا عشر من اخيارهم وسط عرباتهم ورماحهم ، بينما ابتهج الآخيون وسحبوا**

باتروكلوس بعيدا عن وقع الرماح ، ووضـعوه فوق محفة . فاجتمع حوله أصدقاؤه الاعزاء ينوحون، وتبعهم أخيل السريع القدمين ، يذرف الدمع السخين ، لانه أبصر أخلص أصحـابه مسجى فوق المحفة ، ممزقا بالبرونز الحاد . حقا ، لقد أرسله بالجياد والعربة الى الحرب ، ولكنه لم يرحب بعـودته مـرة أخرى !

وما لبثت « هيرا » ـ الملكة ذات عيون المها ـ أن أرسـلت الشمس التى لاتكل ، الى مجرى المحيط . فغابت الشمس ـ على غير ارادة منها ـ وتوقف الآخيـون الامجـاد عن الصراع العنيف والحرب الشريرة .

اجتماع الطرواديين

• **اما** الطرواديون ، فعنـدما رجعوا من الصراع العنيف ، حشدوا أنفسهم فى اجتماع ، دون أن يفكروا فى تناول طعـام العشاء . وظلوا واقفين على أقدامهم طيلة انعقاد الاجتماع ، دون أن يجرؤ أحـد منهم على الجـلوس ، اذ كانوا جميعـا مذعورين مذ رأوا أخيل مقبلا ، رغم أنه كان بعيدا عن المعركة المؤلمة . فقام بولوداماس الحكيم ، وكان أول المتكلمين ، اذ كان ابن بانثوس هذا ـ دون غيره ـ يظهر فى وقت واحد أمـامه وخلفه . لقد كان صديقا لهكتور ، ولدا معا فى ليلة واحدة ، وكان أحدهما يتفوق على الآخر فى فصاحة اللسـان ، بينمـا يتفوق الآخر فى قذف الرمح . وبنية سليمة خاطب حشدهم، وتحـدث فى وسطهم قائلا : « أيهـا الاصـدقاء ، زنوا موقف الفريقين . فأنا ـ من جهتى ـ انصحكم بأن تعودوا الان الى المدينة ، ولا تنتظروا مجىء الفجر اللامع فوق السهل بجانب السفن، لاننا بعيدون عن السور. لقد كان صراع الآخيين سهلا، طالما كان هذا الرجل مستمرا فى الغضب من أجاممنون العظيم.

ولقد كنت سعيدا عندما قضيت الليل بجانب سفنهم السريعة، أملا فى أن نستولى على المراكب المنبعجة . أما الآن ، فانى أخاف ابن بيليوس السريع القدمين ، لان قلبه مفرط الضراوة ، ولن نستطيع البقاء فى السهل ، بينما يلتحم الطرواديون والآخيون — فى الوسط — فى عراك اريس . انه سيقاتل من اجل مدينتنا ، ومن أجل زوجاتنا. فهلموا بنا نذهب الى المدينة ! .. اصغوا الى، فان هذا هو ما سوف يحدث : لقد اوقف الليل الخالد ابن بيليوس السريع القدمين ، ولكنه اذا اقبل غدا — فى عدته الحربية — وانقض علينا ونحن ما زلنا هنا ، فسوف يعرف كل منا بأسه ، وسيبتهج كل من بلغ طروادة فرارا منه ، ولسوف تلتهم الكلاب والنسور كثيرا من الطرواديين .. فليت قصتهم لا تبلغ أذنى !.. اما اذا سمعتم كلامى ، رغم بغضنا له ، فلنحتفظ بقواتنا هذه الليلة فى مكان الحشد ، ولنحرس المدينة بأسوارها والابواب العالية والمنافذ المصقولة جيدا ، والتى يحكم ايصادها بالمزاليج . وفى الصباح — عندما يلمع الفجر فى افق السماء — لنحتل مراكزنا فوق السور ، ونحن متدثرون بحللنا الحربية . واذ ذاك ستكون فى ارتقابه أسوأ العواقب اذا هو وفد من السفن لمقاتلتنا والاستيلاء على سورنا . ولسوف يسرع عائدا الى السفن بعد أن يكون قد ارهق جياده — ذات الاعناق المقوسة الى أعلى — من كثرة العدو جيئة وذهابا ، وهو يهجم عبثا اسفل المدينة . ولن يجد الجراة على أن ينفذ الى داخلها ، او ان يدمرها ، فلسوف تلتهمه الكلاب السريعة ، قبل أن يتمكن من ذلك ! »

عندئذ قطب هكتور — ذو الخوذة البراقة — حاجبيه غاضبا ، وخاطبه قائلا : « اى بولوداماس ، ان حديثك لم يعد يسرنى ، اذ أراك تأمرنا بالعودة لنحبس داخل المدينة . ألم تكتفوا بعد من الحبس وراء الاسوار ؟.. لقد اعتاد البشر منذ قديم الزمان، ان يتحدثوا عن مدينة بريام ، معجبين بثروتها من الذهب البراق، ومن البرونز . اما الآن فقد انعدمت كنوزها النفيسة من بيوتها،

وبيعت ممتلكاتها الكثيرة فى **فروجيا** ، **ومابونيا** الجميلة،منذ أن قسا علينا زوس الجبار . أما وقد آثرنى ابن كرونوس ـ ذو المشورة المعوجة ـ بالفوز بالمجد عند السفن ، وحصار الآخيين بجانب البحر ، فليس لك بعد الآن ـ أيها الاحمق ـ أن تدلى بمثل هذه المشورة امام القوم . ولن يصغى اليك أحـــد من الطرواديين ، كما اننى لن اكلف نفسى ذلك . فتعالوا نعمـــل جميعا بما سوف أقول : تناولوا عشاءكم الان فى الجيش جماعات، ولتهتموا بالحراسة ، وليكن كل رجل متيقظا . وعـــلى كل من يشتد به الكرب من اجل ممتلكاته ، أن يجمعها ويقدمها للجيش، فنقتسم قيمتها مشـــاعا بيننا ، فنحن أولى بالافادة منها من الآخيين ! وفى الصـــباح ، عند مطلع الفجر ، ننتظم فى حللنـــا الحربية ، ونثير معركة حامية الوطيس عند السفن الجـــوفاء . **فاذا كان أخيل قدنهض فعلا بجوار السفن، فلسوف ينال أسوأ العواقب . اذ اننى ـ عند ذلك ـ لن افر منه بعيدا عن الحرب المؤلمة ، بل سأقف أمامه وجها لوجه ، سواء كان النصر العظيم من نصيبه أو من نصيبى . فرب الحرب واحد للجميع ، يقتل من قدر له أن يقتل ! »**

هكذا خاطب هكتور الجموع ، فصاح الطراوديون عاليا . فما أحمقهم ! لان بالاس اثينا سلبتهم رشدهم ، فاذا بهم جميعـــا يثنون على هكتور لمشورته الســـقيمة . أما بولوداماس فلم يمتدحه احد ، رغم كونه قد احسن النصح . ومن ثم تنـــاولوا العشاء فى سائر انحاء المعسكر .

أخيل يتحدى ..

• **أما** الآخيون فبـــاتوا طول الليل يئنـــون منتحبين على باتروكلوس . وفى وسطهم بدأ ابن بيليوس النحيب الشديد ، واضعا يديه ـ قاتلتى البشر ـ فوق صدر صديقه ، وهو يئن

أنينا بالغا ، اشبه بأسد ذى لبدة ، خطف صياد غزلان أشباله وحملها بعيدا عن الغابة الكثيفة ، فلما عاد الاسد ، اكتأب لذلك اكتئابا شديدا ، وشرع يقتفى آثار اقدام الصياد خلال الممرات الكثيرة املا فى العثور عليه فى اى مكان ، اذ تملكه غضب فظيع. هكذا ايضا تكلم اخيل وسط المورميدون وهو يتأوه ، فقال :

« سحقا ! لقد ضاع قولى عبثا ، عندما حاولت فى ذلك اليوم أن أشجع المحارب مينويتيوس فى قصرنا، فقلت لهانني بعد ان أغير على **طروادة** ، سأعود الى **أوبويس** بابنه المجيد مع نصيبه من الغنيمة التى يحظى بها . ولكن زوس لا يحقق للبشر جميع أغراضهم ، فانه مكتوب لكلينا أن نخضب نفس الثرى بدمائنا ـ هنا ، على ارض **طروادة** ـ اذ انني لن اعود ثانية ليرحب بى الفارس الشيخ بيليوس فى قصره، ولا أمى ثيتيس، بل ستحتفظ بى الارض هنا . والآن ، ياباتروكلوس ، بما ان مثواى سيكون تحت الارض من بعدك ، فلن اقوم بدفنك الا بعد ان أحضر الحلة الحربية ، وراس هكتور ـ قاتلك العظيم الشجاعة ـ الى هنا ، كما أقطع رقاب اثنى عشر ابنامجيدا من الطرواديين ، امام كومة حطبك الجنائزية ، وأنا فى سورة غضبى لمقتلك. فلترقد بجانب السفن المدببة ـ كما انت ـ الى أن يتم ذلك ، وسوف تنتحب حولك ـ ليل نهار ـ الطرواديات والدردانيات السمينات



الصدور بدموع منهمرة ، أولئك اللواتى حصل كلانا عليهن بالكدح، بقوتنا ورماحنا الطويلة ، عندما خربنا كثيرا من مدن البشر »

وما ان قال أخيل العظيم هذا حتى أمر رفاقه بأن يضعوا قدرا كبيرة فوق النار ، ليزيلوا الدم المتجمد عن جثة باتروكلوس بسرعة . فوضعوا القدر فوق النار المستعرة ، وملأوها بالماء ، واشعلوا تحتها قطعا من الخشب ، فالتفت النيران بالقدر ، وسخن الماء . حتى اذا غلى الماء فى البرونز البراق ، غسلوا الجثة ودهنوها بالزيت الوفير ، غامرين جروحها بدهان معتق منذ تسع سنوات . وارقدوا باتروكلوس على فراشه ، وغطوه من رأسه حتى قدمه ، بغلالة كتانية ناعمة ، ومن فوقها رداء ابيض . وهكذا ، راح المورميدون الليل كله يبكون وينتحبون على باتروكلوس . ولكن زوس تحدث الى هيرا ، اخته وزوجته، قائلا : **« لقد حققت رغبتك يا ذات عيون المها ، يا هيرا الجليلة ، واستفززت اخيل السريع القدمين . حقا ، لابد وان الآخيين الطويلى الشعر هم أطفال رحمك »**

فردت عليه هيرا الجليلة ـ ذات عيون المها ـ قائلة : « يا ابن كرونوس المرهوب ، اية كلمة هذه التى نطقت بها !.. واعجباه ! فحتى الانسان ـ كما اعتقد ـ تواق الى بذل ما فى مقدوره ، من أجل أخيه الانسان ، رغم انه بشر لم يؤت كل ما لى من الحكمة. فكيف كان فى مقدورى اذن ـ انا التى ادعى بانى أعظم الربات فى شيئين : فأنا اكبرهن سنا ، وانا زوجتك ، انت الملك على جميع الخالدين ـ كيف كان فى مقدورى ، وانا غاضبة على الطرواديين، الا أحيك ضدهم شرا ؟ »

بين ثيتيس وهيفايستوس

• **هكذا** تكلم كل منهما الى الآخر . أما ثيتيس اللجينية القدمين ، فقد انطلقت الى منزل هيفايستوس الخالد ، المزدان

بالنجوم ، والسرمدى بين بيوتات الخالدين ، والمصنوع كله من البرونز ، اذ بناه الرب الاعرج لنفسه .

ووجدته يتصبب عرقا من التعب ، وهو يروح ويجىء حول الكير فى سرعة بالغة ، اذ كان يصنع عشرين ركيزة لتوضع حول حوائط البهو المتين البناء ، وقد ثبت أسـفل قاعدة كل منها عجلات من الذهب ، حتى يمكن أن تدخل الى حشد الآلهة من تلقاء نفسها ـ حسب رغبته ـ ثم تعود ثانية الى منزله ، وبذا تكون أعجوبة للناظرين . ولم يكن قد فرغ من صنعها بعد ، بل بقى عليه أن يثبت فيها المقابض المصنوعة بمهارة . وكان يقوم باعدادها ، ويطرق المسامير . وبينما هو منهمك فى عمله هـذا بمهارة فائقة ، اذ اقتربت منه الربة ، ثيتيس الفضية القدمين . وجاءت خاريس الفاتنة ، ذات المفرق الوضاء ـ التى تزوجها الرب المشهور ذو الساعدين القويين ـ فرأتها وصافحتها ، وخاطبتهـا قائلة : « **لم أتيت الى بيتنا ، يا ثيتيس ، يا طويلة الثوب ، ضيفة معززة ، مرحبا بها ؟.. انك لا تترددين علينـا كثيرا ، فتعالى كى احتفى بك وأكرمك** »

قالت هذا ثم قادتها الربة البراقة . وأجلستها على عرش مرصع بالفضة ، بديع الشكل ، فاخر الصنع ، ومن تحته مقعد للقدمين . ونادت هيفايستوس ، الحداد المشهور ، وخاطبتـه بقولها : « تعال يا هيفايستوس ، فان ثيتيس فى حاجة اليك » . فأجابها الرب المشهور ذو الساعدين القويين : « حقا ، ان فى دارى لربة مهيبة مبجلة ، تلك التى أنقذتنى عندما أصابنى الالم بعد أن سقطت فى هوة سحيقة بارادة أمى القليلة الحياء ، اذ كانت تود اخفائى فى مكان قصى بسبب عرجى . وكان على أن اقاسى الاهوال فى قلبى ، لولا أن يورونومى ـ ابنـة اوقيانوس الذى لا يكف عن التدفق فياضا على نفسه ـ وثيتيس استقبلتانى فى حضـنيهما (٣٢) ، فبقيت معهمـا مدة تسع سـنوات أنجزت فيها ـ داخل كهفهما الرحب ـ اعمالا يدوية رائعة

كثيرة : من مشابك صدر ، واسورة لولبية ، وأزرار ، وقلائد .. وكان يتدفق حولى مجرى اوقيانوس ، مزبدا ، محـدثا طوفانا يفوق الوصف . ولم يعرف بذلك أحـد من الآلهة أو البشر ، اللهم الا ثيتيس ويورونومى، فهما اللتان أنقذتانى . وها هى ذى ثيتيس تأتى الى منزلى ، فواجب على حقا أن أقدم الى ثيتيس ـ الجميلة الجدائل ـ ثمن انقاذ حياتى كاملا ، كمـا ينبغى أن تقدمى لها وليمة طيبة ، بينما أترك أنا كيرى وادواتى كلها »

قال هذا ، ورفع من السندان كتلة ضخمة لاهثة (٣٣) ، وهو يعرج قليلا . غير أن ساقيه الهزيلتين تحركتا بخفة تحتـه ، فأزاح الكور عن النار ، وجمع كل الادوات التى كان يستعملها فى صنع صندوق من الفضة ، وتناول اسفنجة مسح بها وجهه ويديه وعنقه القوى وصدره الاشعث ، وارتدى عباءة ، وأمسك عصا مكينة . ثم تحول وهو يعرج، فتحركت أماء مصنوعات من الذهب فى صور عذارى أحياء ، تحف به وتسانده .. وكان فى قلوبهن ادراك ، وفيهن كلام وقوة ، كما كن يعرفن أعمالا يدوية بارعة ، نعمة من الآلهة الخالدين .. تحركت أولئك العذراوات بنشاط لمعاونة سيدهن فى مشيته ، وهو يقفز قريبا من مكان ثيتيس ، ثم استوى جالسا على مقعد براق ، وأمسك بيدها ، وخاطبها بقوله : **« أى ثيتيس الطويلة الرداء ، ماذا أتى بك ضيفة مبجلة ، أثيرة بترحيبنا ؟ .. لم تكن عادتك من قبل أن تكثرى التردد علينا ، فافصحى عما بنفسك ، فان قلبى ليأمرنى بتحقيقه ما استطعت ، اذا كان مما يمكن تحقيقه ! »**

فأجابته ثيتيس وقد انهمرت دموعها فى الحال قائلة : « يا هيفايستوس ، هل توجد بين ربات **أوليمبوس** جميعـا ، ربة قاست من المحن المحزنة الجمة فى قلبها ، كتلك التى رزأنى بها زوس بن كرونوس ، دون الاخريات ؟ فقد زوجنى ـ أنا وحدى ، دون جميع أخواتى بنات البحر ـ لرجل من البشر ، هو « بيليوس ابن أياكوس » ، فتحملت مضاجعة انسـان رغم ارادتى . وانه

ليرقد الآن فى قصره ، وقد أنهكت الشيخوخة الاليمة قواه . وزيادة على ذلك فقد كان من نصيبى أحزان أخرى .. فقد أنجبنى ولدا لاحمله وأربيه، مبرزا بين المحاربين ، فشب وترعرع أشبه بالغصن النامى . وبعد أن قمت بتنشئته كنبات فى حقل غزير الانتاج ، ارسلته فى سفن مدببة الى **طروادة** ليحارب الطرواديين ، غير أننى لن استقبله عائدا الى وطنه ، والى بيت بيليوس . وبينما هو حى ، يرى ضوء الشمس ، فان له مايحزنه، ولا استطيع مساعدته بحال من الاحوال ، رغم ذهابى اليه . ان الفتاة التى اختارها له أبناء الآخيين جائزة ، قد انتزعها الملك أجاممنون من بين ساعديه ، ففتت قلبه حزنا عليها . وكان الطرواديون يحاصرون الآخيين عند مؤخر السفن ، ولم يمكنوهم من الخروج . فتوسل اليه شيوخ الارجوسيين ، ووعدوه بكثير من الهدايا المجيدة . وبالرغم من أنه رفض ان يدفع عنهم البلاء شخصيا ، الا انه ألبس باتروكلوس حلته الحربية الشخصية وأرسله الى الحرب ، وبعث معه قوما كثيرين . فراحوا يقاتلون اليوم كله حول الابواب السكايية ، فخربوا المدينة فى نفس ذلك اليوم ، وأوقع ابن مينويتيوس الجرىء ضررا باليغا بأهلها ، فقتله أبولو وسط محاربى المقدمة مانحا المجد لهكتور . **لذلك أتيت الآن الى ركبتيك ، عسى أن تهب ولدى ـ الذى كتب عليه ميتة سريعة ـ ترسا وخوذة ، ودرعا عظيمة للساقين مدعمة بقطع للعقبين ، ودرقة . فقد خسر صديقه كل ما كان له من قبل ، عندما قتله الطرواديون ، ومن ثم فان ابنى ينبطح على الأرض معذب القلب من الالم ! »**

عندئذ أجابها الرب العظيم ، ذو الساعدين القويين ، قائلا : « هونى عليك ، ولا تجعلى هذه الامور تعكر صفو قلبك . ليتنى أستطيع أن أوفق فى اخفائه عن الموت المؤلم ، عندما يحل عليه المصير القاتل . ومن الاكيد أن ستكون له حلة حربية عظيمة ،

تستأثر – فى الأيام المقبلة – باعجاب الكثيرين من جموع البشر، الذين يرونها »

هيفايستوس يصنع عدة حربية

• **وما ان** قال هذا حتى تركها هناك ، وانطلق الى منافيخه يصوبها على النار ، ويأمرها بالعمل .. وكانت عشرين فى العدد، فأطلقت لهيبها على بواتق الصهر ، بألسنة متباينة القوى ، كى تسعفه وهو يشتعل بجد ونشاط ، فوضع البـرونز الصلب والقصدير والذهب الثمين والفضة على النار ، ثم أقام سندانا ضخما فوق قاعدة ، وأمسك مطرقة هائلة باحـــدى يديه ، وأمسك بالاخرى الملاقط .

وصنع – أولا – ترسا عظيما متينا ، زينه بمهارة من جميع النواحى ، وثبت حوله اطارا براقا – من ثلاث طبقات – ووصله بحمائل من الفضة ، فكانت طيات الترس خمسا ، نقش عليهـا رسوما غريبة ، بمهارة فائقة : نقش عليها الارض ، والسماء ، والبحر ، والشمس التى لا تكل ، والقمر كاملا فى استدارته ، وجميع الكواكب التى تتوج السماء .. البلياديس ، والهياديس، واوريون العتيد ، والدب الذى يسميه البشر «المركبة» ، والذى يدور باستمرار فى مكانه متطلعا الى أوريون ، والوحيـد الذى ليس له مكان وسط حمامات المحيط ..

ثم نقش عليه مدينتين للبشر غاية فى الجمال : فى احـداهما أعراس وولائم ، والعرائس تزف – تحت أضواء المشاعل – من مخادعهن ، خلال طرقات المدينة ، بينما ترتفع اناشيد الزواج ، ويرقص الشباب اليافع ، على نغمات المزامير والقيثارات ، وقد وقفت كل سيدة امام بابها معجبة . واجتمـع الناس فى مكان الاحتشاد ، اذ نشب هناك صراع ، فقد اشتبك رجلان للاخـذ بثأر رجل مقتول : الاول يعلن انه دفع كل شىء ، ويعـــرض

الامر على الجمع ، بينما يرفض الثانى قبول أى شىء . وكل منهما يتلهف الى أن يفوز بالنتيجة من فم الحكم . . والناس يحيون كليهما - مؤيدين هذا الطرف أو ذاك - والمنادون يبعدون الشعب ، بينما يجلس الشيوخ على أحجار مصقولة فى حلقة مقدسة ، يحملون فى أيديهم صولجانات مندوبى الشعب ذوى الاصوات العالية . . وكانوا يقفون ويدلون بالحكم بواسطتها ، كل بدوره ، وقد وضع فى الوسط ثقلان من الذهب ، جائزة لمن يصيب الحق فى حكمه !

أما فى المدينة الاخرى فقد وقف جيشان من المقاتلين فى حللهم الحربية المتألقة ، مخيرين بين أمرين : اما ان يخربا المدينة ، أو يقاسما أهلها كل ما بها من نعم . ولكن المحاصرين لا يقبلون هذا ، بل يتأهبون بالسلاح لملاقاة العدو فى كمين . وكانت زوجاتهم العزيزات واطفالهم الصغار يحرسون السور ، وهم واقفون فوقه ، ومعهم الرجال الذين تملكت منهم الشيخوخة . أما الباقون فكانوا يسيرون بقيادة أريس وبالاس أثينا ، وقد تدثر هذان بالذهب ، فوق ثياب من العسجد البراق ، فلاحا متأنقين فى ملابسهما الحربية ، كما يليق بالآلهة ، والقوم عند أقدامهما أصغر حجما . فلما بلغوا خير بقعة يقيمون فيها كمينهم - فى مجرى نهر تستطيع جميع القطعان أن تشرب منه كفايتها - جلسوا هناك ، متدثرين بالبرونز الوهاج . ثم أرسلوا اثنين للاستطلاع بعيدا عن الجيش ، ينتظران قدوم الاغنام والماشية الناعمة . وسرعان ما ظهرت هذه يتبعها اثنان من الرعاة يعزفان على المزامير ، دون أن يفطنا قط الى الخديعة . فلما رآهما الرجال المتربصون ، مقبلين ، انقضوا عليهما فى الحال ، واعملوا الذبح فى قطعان الماشية وجماعات الاغنام البديعة ذات الجزة البيضاء ، وقتلوا كذلك الراعيين . وفى تلك الآونة كان المحاصرون يجلسون أمام أمكنة الاجتماع ، فلما سمعوا الصخب العظيم وسط الابقار ، أسرعوا بامتطاء صهوات خيولهم الواسعة الخطوات ،

وانطلقوا الى هناك ، فوصلوا مسرعين . واذ ذاك تأهبوا للقتال فى نظام ، وحاربوا بجانب شواطىء النهر ، يضربون بعضهم بعضا برماح ذات أسنة من البـــرونز . وتبعهم الصراع والشغب فى قتالهم ، وكانت ربة القضاء المميت تقبض على رجل حى ، حديث الجراح ، وآخر غير مجروح ، وثالث تجره ميتا من قدميه وسط المعركة ، وقد تضرج ثوبها على كتفها بدماء البشر . فحارب الآلهة كالبشر الاحياء تماما ، وكانوا يسحبون الى مسافة بعيـــدة ، جميع جثث القتلى ، من الجانب الآخر .

كذلك نقش هيفايستوس على الترس حقلا ناضرا ، خصبا ، فسيحا ، حرث ثلاث مرات . وكان هناك حراثون كثـــيرون يسوقون فيه ماشيتهم فى هذا الاتجاه وذاك . وكلما وصلوا الى رأس الحقل بعد كل انحناء ، تقدم اليهم رجل وناول كلا منهم كأسا من الخمر فى حلاوة العسل . وكان الحراثون يجدون فى الاخاديد تلهفا الى بلوغ رأس الارض العميقة الحرث . واسود الحقل خلفهم ، وبدا كما لو كان قد حرث بالفعل .. وكان كل ذلك مصنوعا من العسجد البراق ، وهنا اعجوبة الصنعة الكبرى!

كما نقش عليه ضيعة كبيرة لملك ، شغل العمال فيها بالحصاد ، يحملون المناجل بأيديهم . وكانت بعض حفنات من القمح تسقط على الارض فى صفوف بطول الاخدود ، بينما كان الحزامون ، يربطون الحزم بحبال من القش المجدول . فكان هناك ثلاثة من الحزامين ، يقفون متجاورين ، والصبية وراءهم يجمعون حفنات من المحصول يحملونها فى أيديهم ليقدموها للحزامين المنهمكين فى العمل . والملك واقف وسطهم ، يحمل الصولجان فى يده ــ عند الاخدود ــ فى صمت ، وهو منشرح النفس . أما المنادون فكانوا وحدهم ، يعدون وليمة تحت شجرة بلوط ، وينضجون ثورا ضخما ذبحوه .. وأخذت النسوة ينثرن كميات من الشعير الابيض على اللحم ، ليكون وجبة غذاء للعمال .

ونقش عليه أيضـــا كرمة مثقلة بالعناقيد الكثيرة .. كرمة

جميلة مصنوعة من الذهب ، وكان العنب أسـود ، والعرائش مقامة فوق أعمدة من الفضة . وجعل حولها خندقا من الميناء الزرقاء، يحيط بكل هذا سور من القصدير ، يؤدى اليه طريق واحد ، يذهب فيه ويعود منه قاطفو الكروم ، كلما جمعوا قطاف الكروم . وفى مرح صبيانى ، كانت العذارى والشباب يحملون فاكهة فى حلاوة العسل – فى أقفاص من أعواد الصفصاف – يتوسطهم غلام يعزف أنغاما شجية على قيثارة واضحة الصوت، ويغنى بصوت عذب أنشودة لينوس (٣٤) ، بينما يدق أتباعه الارض مع الوحدة ، وهم يتبعونه بأقدامهم الوثابة وسط الرقص والصياح .

كذلك رسم عليه قطيعا من الابقار المستقيمة القرون :وكانت الابقار مصنوعة من الذهب والقصدير ، تنطلق خارج الحظيرة – وهى تخور – لترعى الى جانب النهر الصاخب ، بجوار الغاب المتموج . وكان الرعاة المرافقون للابقار ، من الذهب .. وهم أربعة ، يتبعهم ثمانية كلاب سريعة الاقدام . وكان هناك أسدان غضنفران ، وسط أبقار المقدمة ، يمسكان بثور يرسل خوارا مدويا ، يجرانه وخواره يشتد ، بينما كانت الكلاب والشبان يتبعونه . فمزق الاسدان جلد الثور الضخم ، وراحا يلتهمان أحشاءه والدم الاسود ، بينما كان الرعاة يحاولون عبثا أن يرهبوهما ، وأن يحرضوا عليهما كلابهم السريعة . ولكن هذه كانت تتراجع خوفا من مهاجمة الليثين ، فوقفت قريبة وأخذت تنبح وتثب الى الجوانب !

كذلك صنع الرب المشهور ، ذو الساعدين المفتولين ، مرعى فى واد بديع .. مرعى فسيحا للاغنام البيضاء ، وحظائر وأكواخا مسقوفة .. كما ان الرب المشهور ، ذا السـاعدين المفتولين ، نقش – فوق ذلك – بهوا للرقص أشبه بالبهو القائم فى **كنوسوس** الفسيحة ، الذى شيده ديدالوس منذ القدم تكريما لاريادنى الجميلة الغدائر . وزينه بشبان وعذارى أثمن من قطيع ضخم

من الماشية (٣٥) ، وهم يرقصون ، وقد تخاصروا .. وكانت العذراوات يلبسن الكتان الثمين ، بينما ارتدى الشبان معاطف رائعة النسيج تتألق قليلا بالزيت . وازدانت رؤوس العذارى بأكاليل بديعة من الازهار ، بينما تدلى الى جوانب الشبان خناجر من الذهب ، معلقة فى حمائل من الفضة .. وكانوا يجرون تارة فى دائرة - بأقدام فى غاية الخفة والمهارة - كما يجلس صانع الخزف أمام عجلته المثبتة بين يديه يديرها ليختبر سرعة دورانها .. وتارة أخرى يجرون فى صفوف ، يواجه بعضها بعضا ، بينما تقف جماعة كبيرة حول الرقص الرشيق ، مغتبطة بمرآه . وكان هناك بهلوانان يدوران جيئة وذهابا فى وسطهم ليشرفا على الرقص .

كذلك نقش هيفايستوس جبروت أوقيانوس ، حول أقصى حافة الترس المتين الصنع .

وعندما انتهى من صنع الترس المتين الصلب ، صنع له درقة أشد لمعانا من وهج النار ، كما صنع له خوذة ثقيلة ، تليق بصدغيه .. خوذة رائعة ، مزينة أجمل زينة ، ووضع عليها خصلة من الذهب . وصنع له أيضا ، دروعا للساقين من القصدير اللين . حتى اذا انتهى الرب المجيد - ذو الساعدين القويتين - من صنع الحلة الحربية كلها ، حملها ووضعها أمام والدة أخيل . فانطلقت كالبازى ، هابطة من أوليمبوس الجليدى ، تحمل الحلة الحربية المتألقة التى صنعها هيفايستوس .



ووصلت ثيتيس تحمل الهدايا من عند الرب ، فقالت لاخيل : « أى بنى ، لندع الراقد هنا ، فقد قضى الامر ومات .. فالبس هذه الحلة الحربية المجيدة ، التى صنعها لك هيفايستوس ... »

كيف تم الصلح بين أخيل واجا ممنون ، فى اجتماع الآخيين ، وكيف ذهب أخيل معهم الى المعركة .

أخيل يتسلم عدته الحربية الجديدة

• **استيقظ** الفجر الزعفرانى الثوب من مجارى أوقيانوس يحمل الضوء للخالدين والبشر . ووصلت ثيتيس الى السفن تحمل الهدايا من عند الرب . فوجدت ابنها العزيز راقدا ، محتضنا باتروكلوس ، وهو يجهش ببكاء مرير . وكان أصدقاؤه حوله زرافات ينتحبون . فهبطت الربة المتألقة وسطهم ، ووقفت الى جوار ابنها ، وأمسكت يده ، وقالت له : « أى بنى ، لندع الراقد هنا ، بالرغم من كل أحزاننا فقد قضى الامر ومات بارادة الآلهة .. والبس هذه الحلة الحربية المجيدة ، التى صنعها هيفايستوس ، فهى رائعة الجمال ، ولم يسبق لاى رجل أن وضع مثلها على كتفيه » .

هكذا قالت الربة ، ووضعت الدروع أمام أخيل ، فصلصلت كلها برنين رائع . ورانت الرهبة على المورميدون ، ولم يجرؤ أى رجل على النظر اليها ، بل انكمشوا مذعورين . أما أخيل فقد ازداد غضبه عندما أبصر الدروع ، وتطاير الشرر من عينيه — من تحت جفنيه — بصورة رهيبة ، كما لو كان نيرانا . وأحس بالسعادة وهو يمسك هدايا الرب المجيدة فى يديه . وبينما كان يتأمل روعة الهدايا مغتبطا ، تكلم الى أمه بكلمات مجنحة ، فقال : **« أماه ، ان الدروع التى أعطانيها الرب جديرة بما يجب أن تكون عليه أشغال الخالدين ، مما لا يستطيع أى بشر أن يصنعه . ومن ثم فجدير بى الآن أن أعد نفسى للقتال . ولكنى جد خائف من ان يدخل الذباب فى الجروح التى أحدثها البرونز فى جسد الابن الجسور لمينو يتيوس ، فتتسلل الديدان الى**

هناك ، وتتلف جثته ـ لان الحياة قد نزعت منه ـ ومن ثم يتعفن كل لحمه »

عندئذ ردت عليه الربة ثيتيس ـ الفضية القدمين ـ قائلة : « أى بنى ، لا تشغلن بالك بهذا الامر ، فسأتولى أنا طرد هذه الجحافل المتوحشة من الذباب ـ الذى يتغذى بقتلى المعركة ـ فيبقى لحمه سليما باستمرار ، بل أفضل مما هو الآن ، ولو مكث عاما كاملا .. فاذهب الى مكان اجتماع المحاربين الآخيين ، واطرح عنك غضبك من أجاممنون ـ راعى الجيش ـ وتأهب للقتال بأقصى سرعة ، وتسربل بقوتك »

وما أن قالت هذا حتى بثت فيه اقداما جبارا ، وسكبت الامبروسيا فوق باتروكلوس ، والنكتار الاحمر فى منخريه ، لكى يبقى لحمه سليما على الدوام .

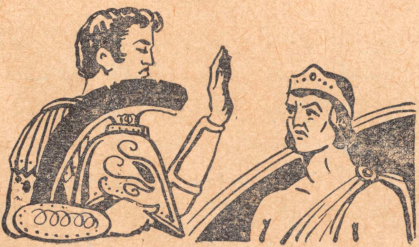
الصلح بين أخيل واجاممنون

• **أما** أخيل ، العظيم فقد انطلق مسرعا بحذاء شاطىء البحر ، صائحا صيحات مرعبة ، فأثار المحاربين الآخيين ، واحتشدوا كلهم ـ حتى من اعتادوا منهم البقاء عند السفن ، فيما مضى ، من ملاحى السفن الذين يحسنون استخدام المجاذيف ، والندل الذين يوزعون الطعام ـ كل أولئك أسرعوا الى مكان الاجتماع ، لان أخيل ظهر هناك ، رغم ابتعاده عن الحرب المفجعة مدة طويلة .. وأقبل اثنان ـ من اتباع اريس ـ يعرجان ، هما ابن توديوس الباسل فى القتال ، واوديسيوس العظيم ، كل يستند الى رمحه لان جراحهما لم تزل موجعة . فذهبا ، وجلسا فى صدر الحشد . وأخيرا أقبل أجاممنون ، ملك البشر ـ بعد الجميع ـ مثخنا بجرحه ، اذ أصابه كئون بن أنثينور ، بطعنة من رمحه المكسو بالبرونز . فلما احتشد الجميع معا ، نهض أخيل ـ السريع القدمين ـ وتكلم فى وسطهم قائلا : « يا ابن

أتريوس ، أكان خيرا لك ولى ، أن استبد الحقد بقلبينا فى شقاق يفتك بالارواح ، من أجل فتاة ؟ ليت أرتيميس كانت قد قتلتها بسهم ، وسط السفن ، فى نفس اليوم الذى أخذتها فيه بين الغنائم ، بعد أن خربت **لورنيسوس** ! .. اذ ذاك ما كان لكثير من الآخيين أن يضطروا الى أن يعضوا الارض بأسنانهم تحت أيدى الاعداء ، بسبب شدة غضبى .. **لقد كان هذا أفضل لهكتور والطرواديين ، أما الآخيون فسيتذكرون ــ فيما أعتقد ــ الشقاق بينى وبينك ، لامد طويل . ومع كل ، فلنغض النظر الآن عن كل هذه الامور ، لانها مضت وانتهت ، رغم كل ما بنا من آلام . ولنكبح جماح قلبينا فى صدرينا** . ان من واجبى أن أكف عن غضبى ، فليس من الصواب أن أظل غضبان الى الابد دون أن ألين . والآن ، أسرعوا فاستفزوا الآخيين ــ الطويلى الشعر ــ الى المعركة ، حتى استطيع الذهاب فورا لمواجهة الطرواديين ، فأعجم عودهم من جديد ، وأرى ما اذا كانوا لا يزالون متلهفين الى قضاء الليل بالقرب من السفن . انى لاعتقد ، أن كثيرين منهم سيسره أن يحنى ركبتيه طلبا للراحة ، وأولئك هم الناجون منهم من احتدام الحرب ومن رمحى ! »

هكذا تكلم ، فزادت غبطة الآخيين المدرعين جيدا ، اذ طرح ابن بيليوس ــ العظيم الشجاعة ــ غضبه عنه . فقام بعده أجاممنون ، ملك البشر ، وتكلم من المكان الذى كان يجلس فيه ، دون أن يقف وسطهم فقال : « أى أصدقائى ، أيها المحاربون الدانيون ، أتباع اريس : من اللائق أن نصغى لمن يقف للكلام ، ولا يليق أن نقاطعه ، فان هذا شديد الوقع ، مهما يكن الرجل ماهرا . وكيف يستطيع المرء أن يسمع أو يتكلم وسط ضجيج الكثيرين ؟ ان هذا يعرقل أى حديث مهما يكن صوت صاحبه جهوريا . ولسوف اكشف ما بنفسى لابن بيليوس ، ولكنى أرجوكم ان تصغوا جيدا الى كلامى !.. لقد أنحى على كل واحد من الآخيين باللائمة ، وكانوا تواقين دائما الى تعنيفى ، ولكنى لم

أكن المذنب ، وانما كان السبب زوس والقدر وايرينوس ـ الذى يسعى فى الظلام ـ فهم الذين بثوا فى نفسى الجنون الضارى ، فى ذلك اليوم ، عندما أخذت من أخيل جائزته ـ فى الاجتماع ـ بغرورى وغطرستى . ولكن ماذا كان عساى أن أفعل ؟ ان الرب هو الذى يسير بكل الامور الى عواقبها . ان كبرى بنات زوس ـ آتى ـ هى التى تعمى الجميع . **فهى قوة مشحونة بالدمار ، قدماها رقيقتان ، لانها لا تمشى فوق الارض ، بل تسير فوق رؤوس البشر ، وتدفع بهم الى الاذى ، كما توقع هذا أو ذاك فى حبائلها . بل انها ـ فى وقت ما ـ أعمت زوس نفسه ، رغم أن البشر يقولون أنه الاعظم بين البشر والآلهة ..** بل ان « هيرا » كذلك ـ وهى ليست سوى انثى ـ خدعته بمهارة ، يوم ان كان على ألكمينى الطيبية ، البديعة التتويج ، أن تلد هرقل الجبار ، فى المدينة ذات الاسوار الجميلة ، مدينة **طيبة** ، فقال زوس بكبرياء وسط جميع الآلهة : « اصغوا الى ، يا جميع الآلهة والآلهات ، كى أخاطبكم بما يجول فى صدرى . فى هذا اليوم ، ستجلب أيليثويا ـ ربة الميلاد ـ الى النور ، انسانا سيكون سيدا على جميع من يسكنون حوله .. انه أحد نسل الرجال الذين هم من دمى » ، فتحدثت اليه هيرا الجليلة فى خبث ودهاء ، قائلة : « انك تغشنى ولن تحقق رغبتى . هيا أيها الاوليمبى ، اقسم لى الآن يمينا قوية بأن ذلك الرجل سيكون سيدا على جميع من يقطنون حوله ، وأنه سيهبط ـ فى هذا اليوم ـ بين ساقى امرأة ، ولو كان واحدا من الرجال الذين هم من دم فصيلتك ! » .. هكذا قالت ، فلم يفطن زوس الى دهائها بحال من الاحوال ، بل أقسم قسما عظيما ، فى غفلة تامة . وعندئذ اندفعت هيرا ، هابطة على ذؤابة **أوليمبوس** ، فبلغت **أرجوس** الآخية بسرعة ، حيث كانت تعلم أن زوجة سثينيلوس بن بيرسيوس الجليلة ، حبلى ، وقد بلغت شهرها السابع . وقد انزلت هيرا هذا الطفل الى النور ، قبل تمام



شهور الحمل كلها، وأوقفت حمل ألكمينى وكبحت الايليثوباى. وتحدثت هى نفسها الى زوس بن كرونوس، قائلة: «أبتاه زوس، سيد البرق اللامع، سأنبهك بكلمة .. لقد ولد الآن رجل جسور، سيكون سيدا على الارجوسيين، هو يوروستيوس بن ستينيلوس بن بيرسيوس، من سلسلة نسبك، وجدير به أن يكون سيدا على الارجوسيين. فلما أفضت اليه بذلك القول، أصابه ألم حاد فى أعماق قلبه، وفى الحال قبض على «آتى» من رأسها البراق الجدائل، غاضبا فى نفسه، وحلف يمينا قوية بأن آتى لن تخطو ثانية الى أوليمبوس والسماء ذات النجوم، لانها تعمى الجميع. هكذا أقسم، وأدارها فى يده، ثم قذف بها من السماء ذات الكواكب، فوصلت بسرعة الى حقول البشر المفلحة. ومع ذلك فقد ظل يتوجع من أجلها كلما شاهد ابنه العزيز يعانى تحت ربقة يوريستيوس غير اللائقة. **هكذا أنا أيضا، فعندما كان هكتور العظيم - ذو الخوذة البراقة - يثير شغب الارجوسيين عند مؤخر السفن، لم أستطع نسيان «آتى» - التى أعمت بصيرتى من قبل. وعلى أية حال، فبما أننى خدعت وسلبنى زوس رشدى، فاننى مصمم على اصلاح الامور، وتقديم التعويض بما لا يعد ولا يحصى**. هيا، انهض للقتال، وسأحرض معك بقية القوم. وانى هنا مستعد لاقدم اليك جميع الهدايا، التى وعدك بها أوديسيوس المجيد فى تلك الليلة، عندما ذهب الى

كوخك . أو فانتظر لحظة ـ اذا شئت ـ رغم تلهفك الى القتال، فسوف يحضر الخدم الهدايا من سفينتى ، حتى ترى أننى سأعطيك ما يرضى قلبك »

عندئذ أجابه أخيل السريع القدمين قائلا : « يا ابن أتريوس الامجد ، يا أجاممنون ، ملك البشر .. أما الهدايا فلك الخيار فى أن تعطيها أو تحتفظ بها ، فهذا موكول اليك . ولكن المهم أن نوطد العزم الآن على القتال بكل سرعة ، فليس لنا أن نتلكأ هنا فى الحديث ، ولا أن نبطىء ، طالما كان هناك عمل عظيم لم يتم بعد عسى أن يرى الكثيرون ـ من جديد ـ أخيل وسط محاربى المقدمة ، يبيد برمحه البرونزى كتائب الطرواديين .. وعلى هذا النسق فليفكر كل منكم وهو يقتل رجله ! »

فرد عليه أوديسيوس الكثير الحيل بقوله : « كلا ، يا أخيل الشبيه بالاله فما ينبغى ـ رغم شجاعتك ـ أن تحرض أبناء الآخيين ، بهذه الطريقة ، على أن يذهبوا الى **طروادة** على الطوى ، ويقاتلوا الطرواديين . فليس القتال لفترة وجيزة ، ولا هو ينتهى بمجرد أن تلتقى صفوف الرجال ، وينفث الرب القوة فى كل من الجيشين .. وانما مر الآخيين ـ فى سفنهم السريعة ـ بأن يتناولوا طعاما وخمرا ، ففيهما تكمن الشجاعة والقوة . وما من امرىء يستطيع ان يقاتل طوال اليوم كله ـ حتى تغرب الشمس ـ وهو صائم . اذ أن أطرافه خليقة بأن تتثاقل فى غفلة منه ـ مهما يكن شوقه للقتال ـ ويهجم عليه الظمأ والجوع ، ويزيد وهن ركبتيه وهو ذاهب . أما من تناول كفايته من الخمر والطعام ، فيقاتل العدو اليوم كله ، وقلبه منشرح فى صدره ، ولا تحس أطرافه بالوهن ، الى أن ينسحب الجميع من المعركة . **فهيا اصرف الجيش ، ومر المحاربين بأن يعدوا طعامهم . أما الهدايا فليحضرها أجاممنون ـ ملك البشر ـ الى مكان الحشد، ليراها جميع الآخيين بعيون رؤوسهم، ولينشرح**

قلبك . ولينهض وسط الارجوسيين ويقسم لك يمينا بأنه لم يعتل مطلقا فراش تلك السيدة ولم يجامعها ، كما هى الطريقة المتبعة ـ أيها الملك ـ بين الرجال والنساء ، وعليك أن تروض قلبك على الهدوء فى صدرك ! وبعد ذلك ليصالحك فى كوخه ويسترضيك بوليمة فخمة للغاية ، حتى لا يكون ثمة شيء ناقصا من حقك . **يا ابن أتريوس ، سوف تكون بعد هذا أكثر عدلا مع الآخرين ، لانه ليس من العار فى شيء أن يقدم الملك الصلح لغيره ، عندما يكون قد أمعن فى اغضابه بلا سبب »**

عندئذ تحدث اليه أجاممنون ـ ملك البشر ـ ثانية بقوله : « يا ابن لايرتيس، اننى لسعيد بأن أسمع كلماتك، اذ أحسنت عرض الامر ، ورويت الحكاية . أما هذه اليمين فانى على استعداد لان أؤديها ، ويأمرنى قلبى بذلك ، ولن أحنث فى قسمى أمام الرب . وليبق أخيل هنا الآن ـ رغم تلهفه الى القتال ـ ولتمكثوا أنتم جميعا سويا ، الى أن تحضر الهدايا من كوخى ، ونقسم على الوفاء بالذبائح . واننى لاكل اليك أمر القيادة : فاختر بعض الشبان من أمراء جيش الآخيين ، وأحضروا الهدايا من سفينتى ، جميع ماوعدنا به أمس ، لاعطيه لاخيل ، وأحضروا النساء أيضا . ودعوا تالثوبيوس يعد فى الحال خنزيرا بريا فى معسكر الآخيين الفسيح ، لنقدمه ذبيحة لزوس والشمس »

فأجاب أخيل السريع القدمين قائلا : « يا ابن أتريوس الامجد ، أى أجاممنون ، ملك البشر : يحسن ارجاء الاهتمام بهذا الامر الى وقت آخر ، الى فترة راحة ابان القتال ـ مثلا ـ عندما لايكون حماس صدرى هكذا عظيما . **ان من قتلهم هكتور بن بريام ـ عندما منحه زوس المجد ـ يرقدون الآن مشوهين ، وأنتما تدعواننا الى الطعام ! أما أنا فسآمر أبناء الآخيين بالقتال وهم صائمون ، وهم على الطوى ، حتى اذا**

غربت الشمس ، أعدوا وليمة عظمى ، بعد أن نكون قد انتقمنا لما لحقنا من عار . ولن يمر من بلعومى أى طعام أو شراب حتى يتم ذلك ، حيث أن صديقى ميت . . ذلك الذى يرقد فى كوخى مشوها بالبرونز الحاد ، وساقاه متجهتان نحو الباب ، وقد احاط به أصدقاؤنا باكين . . لذا لاتجد قلبى مشغولا بهذه الاشياء ، بل بالقتال والدم ، وبأنين الرجال المفجع ! »

فرد عليه أوديسيوس الكثير الحيل ، بقوله : « أى أخيل بن بيليوس ، يا من تبذ جميع الآخيين قوة . انك أفضل منى ، وليس بقليل أن تفوقنى فى قوة استخدام الرمح ، غير أننى ربما أتفوق عليك فى المشورة بمراحل ، اذ اننى أكبرك سنا ، وأعرف اكثر منك . لذلك يجب أن يحتمل قلبك الاصغاء الى قولى . فسرعان مايتخم الرجال من القتال ، حيث ينثر البرونز معظم القش على الارض ، برغم قلة الحصاد ، عندما يميل بميزانه زوس الذى يدبر قتال البشر . **ولكن البطن لايمكن أن ينتظر حتى يبكى الآخيون جثة ، اذ يسقط كثير منهم باستمرار ، واحدا بعد آخر ، يوما اثر يوم ، فمتى اذن يستطيع المرء أن يجد راحة من العناء (٣٦)** ؟ انما يجب أن ندفن المقتول ، ونجعل قلوبنا صلبة ، فلا نبكى الا ليوم واحد . أما الاحياء الذين لم تصرعهم الحرب الكريهة ، فيجب أن يفكروا فى الشراب والطعام ، حتى يمكننا أن نقاتل العدو بمزيد من القوة دائما ، متسربلين بحلل البرونز الصلب . ولا تدع أحدا من الجيش أجمع ، يتخلف عن العمل فى انتظار نداءات أخرى ، فهذه هى النداءات : ويل لمن يبقى عند سفن الآخيين : . . فهيا ، نهب فى حشد واحد ، ونثير معركة طاحنة مع الطرواديين »

قال هذا ، وانتخب أبناء نسطور المجيد ، وثواس ، وميريونيس ، ولوكوميديس بن كريون ، وميلانيبوس : فساروا

فى طريقهم الى كوخ أجاممنون بن أتريوس . وفى الحال صدر الامر ، وفى نفس اللحظة أنجز العمل . فحملوا من الكوخ سبع ركيزات ـ كما وعد تماما ـ وعشرين قدرا لامعة ، واثنى عشر جوادا . وبسرعة صحبوا الى الخارج نساء ماهرات فى الاعمال اليدوية الرائعة ، عددهن سبع ، والثامنة «بريسايس» الجميلة الوجنتين . وبعد ذلك وزن أوديسيوس عشر وزنات من الذهب ، وتقدم الجمع ، يتبعه الشبان الآخيون يحملون الهدايا . فوضعوها وسط مكان الاجتماع . ونهض أجاممنون ، ووقف بجانبه تالثوبيوس ـ الذى يشبه صوته صوت الرب ـ حاملا فى يديه خنزيرا بريا . واستل ابن أتريوس السكين التى كانت تتدلى دائما بجانب غمد سيفه العظيم ، وقطع الشعرات الاولى للخنزير البرى ، ثم رفع يديه وصلى الى زوس ، وجلس جميع الارجوسيين صامتين ، يصغون لهذه الصلاة ، كما هو جدير بالملك . فقال متوسلا ، وهو يرفع بصره نحو السماء الفسيحة : « كن أول شاهد يا زوس ، يا أسمى وأفضل الآلهة ، ثم الارض والشمس ، والايرينويس الموجودات تحت الارض ينتقمن من البشر الذين يقسمون أيمانا باطلة .. **لتشهد على اننى لم أضع يدى قط على الفتاة بريسايس ، لا بعناق العاشق ، ولا بأى طريق آخر ، ولكنها ظلت فى أكواخى دون أن يمسها أحد . واذا كان ثمة زيف فى هذا القسم ، فلتعطنى الآلهة آلاما لاتحصى ، كل الآلام التى اعتادوا صبها على من يأثم فى يمينه ! »**

قال هذا ، وقطع رقبة الخنزير البرى بالبرونز العديم الرحمة . أما الجسد فطوحه تالثوبيوس الى الخليج العظيم فى البحر الرمادى ، ليكون طعاما للاسماك . ثم قام أخيل ، وتحدث وسط الارجوسيين المحبين للقتال ، قائلا : « أبتاه زوس ، ان العمى الذى تبتلى به البشر لعظيم حقا . فما كان فى مقدور ابن

أتريوس أن يثير الغضب بصدرى أبدا ، ولا أن يأخذ الفتاة بالقوة رغما منى ، لو لم يشأ زوس أن يحل الموت بكثير من الآخيين . والآن فلتذهبوا الى طعامكم، حتى نستطيع الالتحام في القتال ! »

فى معسكر أخيل

• **هكذا** تكلم ، وبسرعة فض الاجتماع . فانصرف الآخرون، كل الى سفينته، بينما شغل المورميدون — البالغو الشجاعة — بالهدايا ، فحملوها بسرعة الى سفينة أخيل ، الشبيه بالاله ، ووضعوها فى الاكواخ ، كما وضعوا النساء هناك . أما الجياد فقد ساقها الخدم المزهوون الى القطيع

وما ان وقع بصر بريسايس — الشبيهة بأفروديتى الذهبية — على باتروكلوس مشوها بالبرونز الحاد ، حتى ارتمت بجانبه تصرخ عاليا ، ومزقت صدرها وعنقها الرخص ووجهها الفاتن بيديها . وبينما هى تبكى ، تلك المرأة الشبيهة بالربة ، قالت : « أى باتروكلوس ، أيها العزيز الى قلبى البائس .. لقد تركتك حيا عندما رحلت عن الكوخ ، وها أنا ذى أجدك جثة هامدة — يا قائد الجيوش — عند عودتى الى هنا .. هكذا نصيبى ، أن تتوالى على المصائب تباعا . لقد رأيت زوجى الذى زوجنيه أبى وأمى الجليلة، مقتولا بالبرونز الحاد أمام مدينتنا، واخوتى الثلاثة الذين أنجبتهم أمى — اخوتى الاحباء — قابلوا كلهم يوم الموت . أما أنت ، فلانك لم تشأ — عندما قتل أخيل السريع زوجي ، وخرب مدينة مونيس ، الشبيه بالاله — أن تحملنى مشقة البكاء ، بل قلت انك ستجعلنى زوجة أخيل المعقود عليها ، وأنه سيحملنى فى سفنه الى **فثيا** ، ويقيم لى وليمة عرس وسط المورميدون . لذا حق على أن أبكيك ميتا دون

هوادة ، لانك كنت دائما رحيما بى »
هكذا قالت وهى تبكى ، واشتركت معها النساء فى العويل .. كن يبكين باتروكلوس ، بينما كان لكل منهن أحزانها . أما شيوخ الآخيين ، فقد اجتمعوا حول أخيل ، متوسلين اليه أن يأكل ، ولكنه أبى أن يذوق شيئا ، منتحبا طول الوقت ، وهو يقول : « اذا كان لاحد من أصدقائى أن يأخذ بقولى ، فانى أرجو ألا يلح على بطعام وشراب ، فان غما بالغا يحيق بى . وسأظل على الطوى ، متحملا الجوع كما أنا ، حتى غروب الشمس »

واذ قال هذا ، صرف عنه الرؤساء الآخرين ، ماعدا ابنى أتريوس ، وأوديسيوس العظيم ، ونسطور ، وايدومينيوس ، وفوينكس العجوز — سائق العربات — فبقوا الى جانبه يحاولون أن يسروا عنه حزنه المفرط . بيد أن قلبه لم يكن ليتعزى قط الا بعد أن يدخل فى فم الحرب الدامية . وبينما هو يفكر فى ذلك ، أطلق أنينا شديدا ، ثم قال : « لقد كنت فيما مضى ، أيها المسكين ، ياأعز أصدقائى ، تخف الى اعداد أفخم الولائم ، بسرعتك الرشيقة — كلما هب الآخيون الى شن الحرب المبكية على الطرواديين مستأنسى الخيول . ولكنك ترقد الآن مشوها ، وقد زهدت نفسى الطعام والشراب — رغم قربهما — لفرط حزنى عليك . فليس يفجعنى أكثر من هذا ، ولو بلغنى موت أبى ، الذى أحسبه يذرف الدمع الآن فى **فثيا** ، لحاجته الى ابن مثلى ، بينما أنا فى أرض غريبة ، أحارب رجال **طروادة** من أجل هيلين المقيتة .. بل ولو بلغنى موت ابنى الحبيب نيوبتوليموس الذى يربى الآن من أجلى فى **سكوروس** .. ذلك الابن الشبيه بالاله ، ان كان لايزال حيا . فان قلبى الكائن فى صدرى ، يحدثنى بأننى سأهلك وحيدا هنا — فى أرض **طروادة** — بعيدا عن **أرجوس** ، مرعى الخيول . وكان جديرا بك أن تعود الى **فثيا** كى تحمل ولدى فى سفينتك السوداء السريعة — من

سكوروس - وتطلعه على جميع الاشياء : على ممتلكاتى ، وعبيدى ، ومنزلى الكبير المرتفع السقف . فاننى أعتقد الآن ، أن بيليوس اما أن يكون قد مات ومضى ، أو ان يكون ضعيفا - اذا كان لايزال على قيد الحياة - يقاسى آلام الشيخوخة البغيضة ، كما يقاسى لوعة انتظار أخبارى المحزنة ، الى أن يبلغه نبأ موتى ! »

هكذا قال وهو يبكى ، فبكى معه الشيوخ ، كل يفكر فيمن تركهم فى الوطن . ولمحهم ابن كرونوس وهم فى أحزانهم فأحس بالشفقة نحوهم . وفى الحال خاطب أثينا بكلمات مجنحة ، قائلا : « أى طفلتى ، من العجب أن تهجرى محاربك هجرا تاما . أليس لاخيل - بعد الآن - موضع فى فكرك ؟ انه يجلس هناك أمام سفنه ذات القرون المستقيمة، يبكى صديقه العزيز ، وقد انصرف الآخرون الى طعامهم ، بينما أصر هو على الصيام ، فلن يتناول طعاما . انطلقى الآن ، واسكبى فى صدره شراب الآلهة والامبروسيا السارة ، حتى لايكون نهبا لآلام الجوع ! »

بهذا حث أثينا ، وكانت كلها شوقا ، فانقضت - كالبازى العريض الجناحين ، الحاد الصوت - تهبط فوقه من السماء ، خلال الفضاء . وبينما كان الآخيون يعدون أنفسهم للقتال فى سائر أنحاء المعسكر ، سكبت فى صدر أخيل شراب الآلهة والامبروسيا المفرحة ، لكى لا تغزو آلام الجوع أطرافه . ثم انصرفت الى بيت سيدها العتيد ، المتين البناء ، بينما تدفق الآخيون من السفن السريعة . وكما يسقط هباء الثلج من لدن زوس ، غزيرا سريعا ، باردا من جراء الريح الشمالية السابحة فى السماء المتألقة .. هكذا أيضا حملت الخوذات المتلألئة - من السفن - بسرعة وغزارة ، وكذلك التروس المرصعة ، والدرقات ذات الصفائح السميكة ، والرماح الدردارية . وقد

تصاعد بريقها الى السماء ، وتهللت الارض حولهم للبرونز اللامع ، وارتفع الطنين من تحت أقدام الرجال ، وأعد أخيل العظيم نفسه للقتال بينهم . وكان لاسنانه صرير ، وقد توهجت كلتا عينيه كما لو كانتا جذوتى نار ، وطفح قلبه بحزن لا يمكن احتماله . وفى غضبه الشديد هذا ـ ضد الطرواديين ـ تسربل فى الهدايا الربانية التى تعب هيفايستوس فى صنعها له . فبدأ يلبس الدروع حول ساقيه ـ وكانت دروعا جميلة ، تزينها قطع فضية للعقبين ـ ثم ارتدى الدرقة حول صدره . وعلق السيف البرونزى المرصع بالفضة على كتفيه ، وبعد ذلك أمسك بالترس العظيم المكين ، الذى كان يسطع بريقه الى مسافات بعيدة ، كأنه بريق القمر . وكما يحدث اذ يظهر للبحارة ـ من فوق البحر ـ بريق النار المستعرة ، وهى تتأجج عاليا فوق الجبال فى مزرعة منعزلة ، بينما تحملهم العاصفة ، ضد رغبتهم ، بعيدا عن أصدقائهم .. هكذا أيضا تصاعد من ترس أخيل ـ الترس الجميل الفاخر الترصيع ـ بريق تطاول الى عنان السماء . ورفع الخوذة القوية ، ووضعها على رأسه ، فتلألأت كما لو كانت نجما ـ خوذة ذات خصلة من شعر الخيل ، تتموج حولها رياش من الذهب ، أكثر هيفايستوس من وضعها حولها وبهذه الحلة الحربية برهن أخيل العظيم على وجوده ، اذ انطبقت على جسمه تماما ، وتحركت فيها أطرافه المجيدة بطلاقة ، وأضحت بمثابة أجنحة له ، فرفعت راعى الشعب عاليا . وفى الحال سحب رمح أبيه من غمده ، ثقيلا ضخما قويا ، لايستطيع أى آخى ـ عدا أخيل وحده ـ أن يلوح به بمهارة .. كذلك كان الرمح البيلى الدردارى الذى أعطاه خايرون لابيه العزيز من ذؤابة بيليون ، ليقتل به المحاربين . وانهمك أوتوميدون وألكيموس فى وضع النير فوق الجياد ، كما وضعا حول أجسامها شرائط الصدر الجميلة ، ووضعا اللجم

فى أفواهها ، وشدا الاعنة للخلف الى العربة المكينة . وأمسك أوتوميدون فى يده السوط اللامع الذى ناسبها تماما ، وقفز فوق العربة ، ثم خطا أخيل مسلحا فى عدته للقتال ، متلألئا فى حلته الحربية أشبه بهوبيريون المتألق ، فصاح عاليا على جوادى أبيه قائلا :

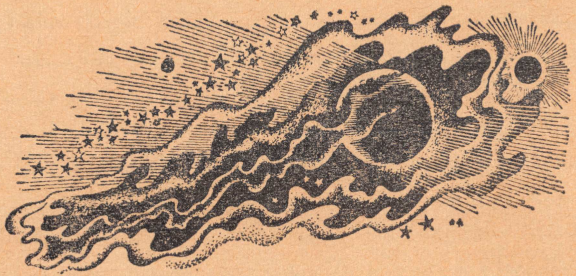
« أى كسانثوس وباليوس ، ياابنى بودارجى الذائعى الصيت ، ضعا نصب أعينكما أن تحضرا سائقكما - بطريقة ما - سالما الى جيش الدانيين ، بعد أن نأخذ كفايتنا من الحرب ، ولا تتركاه هناك ميتا ، كما فعلتما مع باتروكلوس ! »

فأجابه الجواد كسانثوس - ذو القدم السريعة البريق - وهو تحت النير ، وقد أحنى رأسه فجأة ، وتدلت معرفته كلها من تحت وسادة النير الى جانبه ، حتى لمست الارض ، وقد منحته الربة هيرا - الناصعة الذراعين - قدرة على الكلام : « أما هذه المرة فسننقذك ، يا أخيل الجبار ، رغم أن يوم الموت قريب منك .. اننا لن نكون سببا فيه ، فانما سببه رب عتيد وقدر قاهر . فما كان من جراء كسلنا أو تراخينا أن أفلح الطرواديون فى سلب العدة الحربية عن كتفى باتروكلوس ، ولكن الذى قتله وسط محاربى المقدمة ، وأعطى المجد لهكتور ، هو خير الآلهة بمراحل ، الذى أنجبته ليتو الجميلة الشعر . أما نحن ، فقد كان فى استطاعتنا أن نعدو بسرعة الريح الغربية التى هى - كما يقول البشر - أسرع الرياح طرا ، وانه مكتوب لك أن تقتل فى المعركة بواسطة رب وانسان ! »

وما ان تكلم هكذا ، حتى حبست الايرينويس صوته . وعندئذ ، تحرك قلبه بشدة ، فتحدث اليه أخيل السريع القدمين بقوله : **« كسانثوس ، لم تتنبأ بموتى ؟ لاحاجة بك الى هذا اطلاقا . فأنا نفسى ، أعلم علم اليقين أنه مقدر على أن**

أموت هنا ، بعيدا عن أبى العزيز وأمى . ومع هذا ، فاننى لن أكف عن القتال ، الا بعد أن أشبع الطرواديين بالحرب »

قال هـذا ، وصاح صيحة الحـرب ، وقاد جيـاده القوية الحوافر وسط محاربى المقدمة .





« .. ووزن رمحه وقذفه ، ولكن أثينا ارسلت ريحا أبعدته عن أخيل المجيد ، فارتد عائدا الى هكتور العظيم ، وسقط أمام قدميه .. »

كيف اشاع أخيل الذعر والفوضى بين الطرواديين

رابع أيام المعـــركة

اجتماع الآلهة فوق اوليمبوس

• **نظم** الآخيون أنفسهم للقتال حولك ـ بجانب السـفن المدببة ـ يا ابن بيليوس ، أيها المتعطش الى الحرب .. وكذلك فعل الطرواديون فى الجهة المقابلة لهم ، فى ارض السهل المرتفعة. ولكن « زوس » أمر « ثيميس » باستدعاء الآلهة الى الاجتماع، فانطلقت فى أرجاء **أوليمبوس** تدعوهم فى شعابه العديدة الى منزل زوس . فما من نهر ـ الا أوقيانوس وحده ـ ولا من حورية من جميع ساكنات الاكمات الجميلة والينابيع التى تغـذى الانهار والمروج الخضراء ، الا حضر . وما ان بلغوا بيت زوس ، حتى أخذوا مقاعدهم داخل الاروقة المصـقولة ـ التى شـيدها هيفايستوس بمهارة فائقة ـ من اجل الاب زوس .

هكذا اجتمعوا داخل بيت زوس . ولم يغفل مزلزل الارض نداء الربة ، بل خرج من البحر لينضم الى حشدهم ، وجلس بينهم يسأل عن غرض زوس قائلا : « لماذا استدعيت الآلهـة يا ملك البرق اللامع ، الى مكان الاجتماع ؟ هل خطر ببالك أمر يتعلق بالطرواديين والآخيين وقتالهم ؟.. ان كلا من الفريقـين يضرم شعلة المعركة والقتال الان ! »

فأجابه زوس ـ جامع السحب ـ قائلا : « انت تعلم يامزلزل الارض ، الغرض الذى أضمره ، والذى من أجله جمعتكم هنا.. ان أمرهم ليهمنى ، ولو ماتوا . ومع ذلك ، فسأظل جالسـا هنا فى أحد أودية **أوليمبوس** ، حيث يمكننى ان اطـل عـلى

ما يجرى هناك وامتع قلبى . اما انتم ، فاذهبوا فورا وسط الطرواديين والآخيين ، وقدموا المعونة لهذا الجانب او ذاك ، كما يتراءى لكل واحد منكم . فلو ان أخيل قاتل بمفرده (٣٧) الطرواديين — ولو لفترة وجيزة — لما قدر لهم ان يقاوموا ابن بيليوس السريع القدمين . فقد اعتادوا — فيما مضى — ان يرتعدوا لمجرد رؤياه ، فما بالكم الآن وقلبه فى أشد حالات الغضب من أجل صديقه . اننى لاخشى ان يجاوز حدود القدر ويجتاح الاسوار »

وبهذا القول أثار ابن كرونوس حربا لا هوادة فيها . فقد انطلق الآلهة فى طريقهم الى المعركة ، منقسمين فى الرأى : فاتجهت هيرا الى حشد السفن ، ومعها بالاس أثنيا ، وبوسايدون مزلزل الارض ، والمساعد هيرميس — الذى كان يفوق الجميع دهاء — كما ذهب معهم هيفايستوس ، يعرج متهللا فى قوته ، ومن تحته تتحرك ساقاه المتقلصتان بخفة !.. أما اريس ذو الخوذة البراقة ، فقد ذهب الى حشد الطرواديين ومعه فويبوس — ذو الجدائل المرسلة — والقواسة ارثيميس ، وليتو ، وكسانثوس ، وافروديتى المحبة للضحك .

ولقد كان الآخيون منتصرين كل الانتصار — ليلة ان كان الآلهة بعيدين عن البشر — اذ أقبل اخيل بعد احتجابه طويلا عن المعركة المفجعة ، فأصابت الطرواديين رعدة رهيبة ، سرت فى أطراف كل رجل ، عندما أبصروا ابن بيليوس السريع القدمين ، يتلألأ فى عدته الحربية ، وهو يضارع أريس ، مصدر الهلاك للبشر .. وما أن حل الاوليمبيون وسط حشد الرجال ، حتى هاج النضال الوحشى ، الذى يستفز الجيوش . وصاحت أثينا عاليا .. وكانت تقف تارة بجانب الخندق المحفور خارج السور ، وطورا فوق الشواطىء المرتفعة الصخب ، ترسل صيحتها المدوية . وفى الجانب المقابل لها ، راح أريس ، مضرعا يرد صياحها بصياح رهيب اشبه بالدوامة المظلمة ، وهو ينادى

على الطرواديين من أعلى زؤابة القلعة ، او من جانب شـــاطىء **سيمويس** ، بصيحات جهورية ، وقد اخذ يعدو مسرعا بطـول منحدرات **كاليكلونى** .

نزال بين أخيل واينياس

• **هكذا** راحت الآلهة المباركة تحث الجيشين على الالتحام فى القتال ، ثم اندفعت هى نفسها فى حرب هوجاء . وعنـدئذ أرسل أبو الآلهة والبشر رعوده ــ من عليائه فظيعة مدوية . . ومن تحت ، زلزل بوسايدون الارض الفسيحة ، وقمم الجبال المائلة . فاهتزت جميع جذور **ايدا** ذات الفوارات ، وجميـــع ذؤاباتها ، كما ارتجت مدينة الطرواديين ، وسفن الآخيـين . وتملك الخوف ــ فى العالم السفلى ــ ايدونيوس ملك الاشباح ، فوثب مذعورا عن عرشه وصرخ بصوت مدو ، خشية أن تنشق الارض من فوقه بفعل بوسايدون ــ مزلزل الارض ــ فيتجلى موطنه للبشر والخالدين ــ ذلك الموطن المفزع الرطب الذى يمقته الآلهة انفسهم . وما أعظم الضجيج الذى ارتفع عندما اشتبك الآلهة فى الصراع . فقد وقف « أبولو » بسـهامه المجنحة ضد الملك « بوسايدون » . . ووقفت الربة « اثينا » البراقة العينين ضد « انيواليوس » . . ووقفت الصيادة ذات السهام الذهبيـة والقنص المدوى ــ القواسة « أرتيميس » ، شقيقة الرب الذى يضرب من بعيد ــ ضد « هيرا » . كما وقف « هـيرميس » المساعد القوى ، ضد « ليتو » . أما النهر العميق الدوامات ــ الذى يسميه الآلهة **كسانثوس** ، والبشر **سكاماندر** ــ فوقف ضد هيفايستوس العظيم .

هكذا هبت الآلهة تنازل الآلهة . أما أخيل فقد كان متلهفـا ــ فوق كل شىء ــ الى منازلة هكتور بن بريام . . وكانت روحه تأمره بأن يروى ظمأ أريس ــ المحارب ذى الترس الجلدى

الصلب ـ بدم هكتور ، لا بدم أى فرد آخر . وراح ابولو مثير الجيوش ، يحث اينياس على مواجهة ابن بيليوس ، ونفث فيه قوة بالغة .. وغير صوته بصوت لوكاوون بن بريام ، واتخذ صورته ، وخاطب اينياس بقوله : « يا اينياس ، يا مستشار الطرواديين ، أين الآن تهديداتك التى كنت تزهو بها على امراء الطرواديين ، وانت تحتسى الخمر . ألم تقل انك ستقاتل اخيل بن بيليوس ، وجها لوجه ؟ »

فأجابه أينياس قائلا : « يا ابن بريام ، لم تحرضنى بهذه اللهجة على أن أواجه ابن بيليوس ـ الجرىء القلب ـ فى القتال ، مع أننى لا انتوى ذلك ؟ ليست هذه هى اول مرة أقف فيها ضد أخيل السريع القدمين ، فقد حدث ذات مرة ، أن طاردنى برمحه من **ايدا** ـ عندما تصدى لابقارنا ، وخرب **لورنيسوس وبيداسوس** ـ لولا ان انقذنى زوس ، اذ أثار شجاعتى وبث سرعة فى ساقى ، والا لقتلنى اخيل وأثينا ، التى كانت تسير امامه دائما ، وتضع له بارقة أمل وخلاص ، وكانت تأمره بقتل ليليجيس والطرواديين بالرمح البرونزى . ومن ثم فليته لا يتحتم على أى رجل مواجهة أخيل فى القتال ، اذ دائما ما يكون الى جواره رب ما ، يدفع عنه الهلاك ، فينطلق رمحه مستقيما ، ولا يكف الا اذا اخترق جسم انسان . ومع ذلك ، فليس بوسعه أن يقهرنى بسهولة ـ اذا ادار الرب المعركة بيننا بالعدل ـ ولو كان يزهو بأنه مصنوع كله من البرونز »

فرد عليه الامير أبولو ، بن زوس قائلا : « كلا ، أيها المحارب .. تعال ، وصل أنت أيضا للآلهة الخالدين ، فأنت الآخر ـ كما يقول الناس ـ قد ولدت لافروديتى ، ابنة زوس ، فأم اخيل أقل من أمك درجة بين الالهة . ذلك لان امك ابنة زوس ، وأمه من عجائز البحر . هيا ، احمل عليه فورا بالبرونز الذى لا يلين ، ولا تدعه يثبط من عزيمتك بالتقريع أو بالتهديد »

قال هذا ، ونفث قوة عظيمة فى راعى الجيش ، فشق طريقه

وسط محاربى المقدمة ، متدثرا بالبرونز البراق . ولم يكن ابن أنخيسيس بعيدا عن عينى هيرا البيضاء الساعدين ، وهو ينطلق مسرعا لمواجهة ابن بيليوس وسط حشـــد الرجال . فجمعت الآلهة معا ، وخاطبتهم بقولها : « أى بوسايدون واثينا ، فكرا – فى قلبيكما – ماقد يتأتى عن هذه الامور التى تجرى ، هاهو ذا أينياس قد ذهب – متدثرا بالبـــرونز الوهاج – ليواجه ابن بيليوس ، وقد حرضه ابولو . هيا ، اذن ، وليــكن واجبنا أن نرده فى الحال . وفيما بعد ، فليقف أحدنا الى جوار اخيل ، ويمده بالقوة العظيمة ، حتى لا تثبط عزيمته بأية حال ، ليعرف أن من يحبونه هم خير الخالدين ، وان أولئك الذين دفعوا الحرب والقتال عن الطرواديين ، هباء كالريح . لقد هبطنا من **أوليمبوس** جميعا لنشترك فى هذه المعركة ، حتى لا يلحق اخيل ضرر ما وسط الطرواديين طوال هذا اليوم . ولكنه فيما بعد سيعانى ما نسجته ربة القدر بخيطها المتين منذ البداية ، حين أنجبتــه أمه . واذا لم يعلم هذا أخيل من فم أحد الآلهة ، فانه سيفزع فيما بعد عندما يواجهه اله فى القتال ، اذ من الصعب النظر الى الآلهة عندما يظهرون عيانا ! »

عندئذ أجابها بوسايدون – مزلزل الارض – قائلا : « أى هيرا ، لا يتجاوزن بك الغضب حدود الحكمة ، فليس هذا مما يليق بك . اننى لم أكن تواقا الى ان تنازل الآلهة بعضها بعضا فى الصراع . وخير لنا أن ننتحى جانبا ، ونجلس فى مكان نراقب منه ما يدور ، ونترك الحرب للبشر ، اللهم الا اذا نزل أريس أو أبولو الى القتال ، أو منعا أخيل من النضال ، فاذ ذاك يحق لنا أن نخوض الحرب كذلك . واعتقد أنهما سيبادران – فى الحال – الى الابتعاد عن المعركة أو يعودان الى أوليمبوس بين حشـــد الآلهة الآخرين ، مدحورين بقوة أيدينا »

هكذا قال الرب القاتم الشعر ، وتقدم نحو جــدار هــرقل الشبيه بالاله . . ذلك الحائط العالى الذى شيده له الطرواديون

وأثينا ، ليلوذ به وينجو من تنين البحر ، اذا طارده التنين من شاطىء البحر الى السهل (٣٨) . هناك جلس بوسايدون والآلهة الآخرون ، وغطوا أكتافهم من كل جانب بسحابة كثيفة ، بينما جلس الآلهة — المنحازون للجانب الآخر — قبالتهم على مرتفعات كاليكولونى ، من حولك أيها القواس أبولو ، ويا مخرب المدن أريس ..

وهكذا جلسوا — فى الجانبين — يتشاورون ، ولكنهم عافوا خوض الحرب المفجعة ، وأشرف عليهم زوس من عليائه ..

وفى تلك الاثناء ، كان السهل قد امتلأ عن آخره بالرجال والجياد ، وقد تلألا بالبرونز ، وارتجت الارض تحت أقدامهم وهم يتدفقون سويا . واقبل محاربان يفوقان الجميع بمراحل ، فتقدم كل منهما صوب الآخر ، فى الشقة الفاصلة بين الجيشين ، متلهفين الى القتال .. ذانك هما اينياس بن أنخيسيس ، وأخيل العظيم . فتقدم أينياس — اولا — متوعدا ، وهو يهز خوذته الثقيلة فوق رأسه ، ويحمل ترسه القوى أمام صدره ، ويلوح برمح من البرونز فى يده . فانقض عليه ابن بيليوس — من الجانب الاخر — كأسد هصور .. أسد ضار ، يتوق الناس الى قتله ، فتجتمع قبيلة بأسرها لمواجهته . ويمضى فى طريقه — فى البداية — غير حافل ، حتى اذا قذفه احد الشبان برمية سريعة من رمحه ، تأهب متحفزا ، فاغرا فاه ، والزبد ينبعث خارجا حول أسنانه ، وروحه القوية تزمجر فى قلبه ، وذيله يضرب جنبيه وضلوعه وردفيه ، ثم يحفز نفسه على القتال .. وبعينين متأججتين ، يهجم من فوره مندفعا فى حميته ، محاولا أن يقتل شخصا أو أن يهلك فى مقدمة الحشد .. **هكذا انقض أخيل بحميته ، تتوثب روحه المسيطرة لتواجه اينياس العظيم الشجاعة . فلما اقترب كل منهما من الاخر ، بدأ أخيل العظيم السريع القدمين يقول لاينياس :**

« أى أينياس ، لماذا انفصلت هكذا بعيدا عن الحشد لتقف

فى مواجهتى ؟ أيأمرك قلبك بمقاتلتى ، أملا فى أن تستحوذ على مكانة بريام وسيادته بين الطرواديين مستأنسى الخيول؟.. كلا، لن يضع بريام مملكته بين يديك ، ولو قتلتنى . لان له أبناء ، كما أنه عاقل ، وليس سقيم التفكير . أم هل أقطعك الطرواديون ضيعة تمتاز على ماعداها : أرضا خصبة من حقول وبساتين ، تستطيع أن تقيم فيها ، اذا ما قتلتنى ؟ ولكنى أحسبك ستجد قتلى عسيرا ، اذ أذكر اننى قد طاردتك من قبل - يوما - برمحى . أنسيت يوم كنت وحدك مع الابقار ، فجعلتك تجرى بخطى واسعة من تلال **ايدا** بسرعة فائقة ؟.. فى ذلك اليوم لم تجسر على أن تلتفت الى الوراء مرة واحدة أبان فرارك . ومن هناك هربت الى **لورنيسوس** ، ولكنى خربتها ، اذ هاجمتها بمعونة أثينا والاب زوس ، وسبيت النساء وسلبتهن حريتهن . غير ان زوس والالهة الاخرين أنقذوك . ولكنى لا أحسبهم سيحمونك فى هذه المرة ، كما تتصور فى قرارة نفسك ، كلا ، ولذلك آمرك بأن تعود أدراجك الى رفاقك ، وألا تتقدم ضدى، والا حل بك الشر .. فان الاحمق خليق بأن يكتسب من الاحداث حكمة »

عندئذ أجابه أينياس بقوله : « يا ابن بيليوس ، هيهات أن تخيفنى بالكلام ، وكأننى طفل ، فاننى أعرف مثلك كيف اذم وكيف أهدد . ان كلا منا يعرف نسب الآخر ، فيما سمعناه من قصص ذائعة رواها البشر . ولكنك لم تر والدى قط بعينى رأسك ، ولا أنا رأيت والديك . ان الناس يقولون انك ابن بيليوس المنقطع النظير ، وان امك هى ثيتيس الجميلة الجدائل، احدى بنات البحر . أما أنا فأعلن أننى ابن أنخيسيس الفائق الشجاعة ، وأمى أفروديتى . ولسوف يبكى أحد الفريقين اليوم ابنا عزيزا ، فما اعتقد أننا سنشبع حميتنا بالكلمات الفارغة ، دون النزال . ومع كل ، فاذا أردت معرفة نسبى ، فاسمع هذا وما أكثر من يعرفونه : لقد بدأ زوس - جامع السحب - بأن

أنجب داردانوس واسس **داردانيا** ، اذ لم تكن **طروادة** المقدسة قد شيدت بعد فى السهل ، لتكون مدينـــة للبشر الذين كانوا لا يزالون يقطنون فوق منحـدرات **ايدا** الكثيرة النافورات . ثم أنجب داردانوس ابنا ، هو الملك اريختونيوس الذى أصـبح أغنى رجل بين البشر . فقد كان لديه ثلاثة آلاف جواد ترعى فى أرض المستنقعات ، وكان قرير العين بأولادها الرقيقـــة . فافتتنت الريح الشمالية بهذه الجياد وهى ترعى ، واعتلتها فى صورة جواد اسود العرف ، فحملت وانجبت اثنتى عشرة مهرة . اذا قفزت فوق الارض ـ واهبة الحبوب ـ جرت فوق اعـلى أطراف سنابل القمح الناضجة دون أن تكسرها ، واذا وثبت فوق سطح البحر الفسيح ، جرت فوق أعلى قمم امواج البحر الاشيب . وما لبث أريختونيوس ان انجب طروس ليكون ملكا على الطرواديين ، وانجب طروس ثلاثة أبناء لا نظير لهم : ايلوس وأساراكوس وجانوميديس الشبيه بالاله ، الذى يفوق سـائر البشر فى الجمال ، ولذا أخذته الآلهة الى فوق ليكون حامل كأس زوس لجماله ، وليعيش مع الخالدين . اما ايلوس فقد انجب لاوميدون المنقطع النظير ، وانجب لاوميدون بدوره ثيثونوس وبريام وكلوتيوس وهيكيتايون ، سليل اريس . واما أساراكوس فأنجب كابوس وكاينيس أنخيسيس . ثم أنجبنى أنخيسيس ، فى حين أن بريام أنجب هكتور العظيم .. **اذن فهـذا نسبى ، والدم الذى أعلن أننى انحدرت منه . اما الشجاعة ، فان زوس هو الذى يزيدها او يقلل منها فى البشر كيفما يشـاء ، اذ انه أقوى الجميع . فهيا ، ودعنا من الكلام هكذا كالاطفال ، بينما يقف كلانا وسط مجال المعركة** . فما أكثر ما هناك من سباب نستطيع أن نقوله .. سباب لا تستطيع السـفينة ذات المائة مقعد ان تتسع له . اذ ما اعظم سفاهة لسان البشر ، وكم من كلمات متباينة الانواع لديه ، وما أوسع مجال حـديثه هنـا وهناك : وما من كلمة تقولها الا وتسمع ردها . ولكن أى حاجة

لكلينا بتبادل المشاحنات والمنازعات ، كما تفعل النساء ، اللاتى يخرجن الى الطريق ـ عندما يتميزن غضبا فى النـــزاع المهلك للنفوس ـ وتتشاحن الواحدة منهن مع الاخرى بألفاظ حقيقية وأخرى كاذبة .. فحتى أولئك يدفعهن الغضب الى الـكلام . أما القتال، فبما اننى متلهف اليه، فلن تزحزحنى عنه بالالفاظ، الا بعد أن نتنازل بالبرونز وجها لوجه . هيا ، وليعجم كل منا عود زميله بالرماح البرونزية الاطراف ! »

قال هذا وقذف رمحه القوى صوب ترس أخيـــل المروع العجيب . فصلصل الترس بصوت عال حول طرف الرمح . وأمسك ابن بيليوس الترس منه بيده القوية ، وقد تملكه الهلع، لانه ظن أنه رمح أينياس ـ البعيد الظل ـ سرعان ما سيخترق الترس فى سهولة ويسر . فما أحمقه ! اذ لم يخطر بباله وقلبه أن الهدايا المجيدة التى تهبها الالهة لاتتداعى بسهولة لقوة البشر . فلم يخترق رمح اينياس ـ الحكيم القلب ـ الترس ، لان الذهب اوقفه عند سطحه ، ذلك الذهب هدية الرب . ومع انه نفـذ خلال طبقتين ، الا أن ثلاث طبقات ظلت باقية ، لان الرب الاعرج القدم كان قد لحم خمس طبقات ، اثنتين من البرونز ، واثنتين تحتهما من القصدير ، وطبقة من العسـجد . ومن ثم توقف الرمح الدردارى .

عندئذ قذف أخيل رمحه العتيد بدوره ، فأصـاب ترس أينياس المتزن جيدا من كل جانب ـ تحت الحافة الخارجية ـ حيث كان البرونز رقيقا للغاية ، كما كان جلد الثـور فى أرق سمك له . وفى الحال مرق الرمح الدردارى البيلى ، وجلجل الترس من شدة الضربة . فترنح أينياس وابعد عنه الترس ، وقد تملكه الخوف ، فمرق الرمح فوق ظهره وانغرس فى الارض بكل قوته ، رغم انه شطر طبقتين واقيتين فى الترس . واذ نجا من الرمح الطويل ، نهض وقد ران علـى عينيـــه أسى بالغ ، وارتجف ذعرا من أن يكون الرمح قد انغرس قريبا جدا . ولكن

اخيل استل حسامه البتار وانقض عليه فى حميـــة ، مطلقـا صيحة رهيبة ، وأمسك اينياس حجرا فى يده ، فيا له من عمل جبار !.. حجر لا يستطيع رجلان ، من أمثال رجال اليـوم ، ان يحملاه . ومع ذلك فانه لوح به وحده فى يسر . وكاد أينياس فى أثناء هجومه أن يهوى على أخيل بالحجر ، فوق خوذته او



ترسه الذى دفع عنه الهلاك المفجع . وكاد ابن بيليوس أن يزهق روح اينياس بسيفه فى عراك متشابك ، لولا أن بوسـايدون مزلزل الارض ، السـريع الرؤية ـ قام فى الحـال ، وتكلم وسط الآلهة الخالدين قائلا : « أيها الآلهة ، اصغوا الى .. اننى جد حزين على أينياس العظيم الشجاعة ، الذى سيذهب وحده الى بيت هاديس ، مقتولا بيد ابن بيليوس ، لانه أطاع كلام ابولو الذى يضرب من بعيد .. فما أحمقه ! اذ أن الرب لن يصد عنه الهلاك بأية حال . ولكن لماذا يجب عليه ـ وهو رجل برىء ـ أن يقاسى آلاما بسبب اخطاء ليست من صنع يده .. وهو الذى يقدم دائما هدايا مقبولة للآلهة الساكنين السماء الفسيحة . هلموا بنا نقده بعيـدا عن الموت ، لئلا يغضب ابن كرونوس بطريقة ما ، اذا ما قتله أخيل ، لانه مكتوب له أن ينجو ، حتى لا يفنى نسل داردانوس ، وتنقرض سلالته .. داردانوس الذى أحبه ابن كرونوس اكثر من جميع أولاده الذين أنجبتهم له نساء البشر . فقد مقت ابن كرونوس أخيرا نسل بريام ، وسيصبح

اينياس القوى ملكا على الطرواديين ، وكذا احفاده الذين سيولدون فى الايام المقبلة »

عندئذ ردت عليه هيرا الجليلة ، ذات عيون المها قائلة : « يا مزلزل الارض ، فكر وحدك — فى قرارة نفسك فى أمر اينياس ، اذا كنت تريد انقاذه أو تركه ليقتل بيد أخيل ، رغم كل بسالته . فقد اقسمت — أنا وأثينا — كثيرا من الايمان وسط جميع الخالدين ، ألا ندفع عن الطرواديين يوم ألشر .. كلا ، ولو احترقت طروادة كلها بالنار المدمرة ، على يد أبناء الآخيين البواسل »

فلما سمع بوسايدون — مزلزل الارض — هذا ، ذهب فى طريقه الى ميدان المعركة وقذف الرماح ، وبلغ مكان أينياس وأخيل المجيد . وفى الحال انزل غمامة على عينى أخيل بن بيليوس ، وجذب الرمح الدردارى ، المكسو بالبرونز من ترس اينياس البالغ الشجاعة ووضعه أمام قدمى اخيل . ثم حمل أينياس وطوح به بعيدا عن الارض، فقفز أينياس فوق صفوف كثيرة من المحاربين ، وعدة عربات — وقد رفعه الرب — حتى بلغ أقصى طرف للمعركة الطاحنة ، حيث كان الكاوكونيس يعدون أنفسهم للقتال . عندئذ اقترب منه بوسايدون — مزلزل الارض — وخاطبه بكلمات مجنحة قائلا : **« يا اينياس ، أى رب هذا الذى أمرك دون تبصر ، بأن تقاتل ابن بيليوس العظيم الشجاعة ، وجها لوجه ؟ .. انه أفضل منك وأعز لدى الخالدين . كلا ، يجب أن تتقهقر ، كلما التقيت به ، لئلا تدخل منزل هاريس قبل أجلك . فاذا ما تقرر لاخيل أن يلقى أجله وحتفه جاز لك أن تتشجع وتقاتل وسط محاربى المقدمة ، فليس هناك غيره من الآخيين يستطيع قتلك ! »**

وما ان قال هذا ، حتى تركه هناك بعد أن قص عليه كل شيء . ثم أسرع بازالة الغمام العجيب عن عينى اخيل . وعندئذ أخذ أخيل يتطلع حواليه بعناء ، وخاطب نفسه البالغة الشجاعة

قائلا : « ويحى ، ان ما تراه عيناى لاعجوبة كبرى ، حقا ! .. أن رمحى ملقى هنا على الارض ، ولكنى لا أستطيع رؤية الرجل الذى صوبته نحوه ، قاصدا قتله . ويبدو ان أينياس ـ كذلك ـ عزيز على الآلهة الخالدين فعلا ، رغم اننى ظننت أنه كان يزهو عبثا . فليمض فى طريقه ، فلن يجد الشجاعة ليعاود اختبار قوتى مرة ثانية ، بعد ان نجا من الموت ، لحسن حظه . ولكن ، لاستدع الدانيين المحبين للحرب ، وامض بسرعة ضد الطرواديين الاخرين لاعجم عودهم »

مغامرات أخيل

• **قال** هذا ، وانقض بطول الصفوف يصيح فى كل رجل بقوله : « لا تقفوا ـ بعد الآن ـ بعيدا عن الطرواديين ، أيها الآخيون العظماء ، بل ليواجه كل رجل منكم رجلا منهم ، بقلب يفيض تحمسا للقتال . فمن العسير على ـ رغم ما أنا عليه من قوة ـ أن أقابل فوجا كبيرا كهؤلاء ، وأقاتلهم اجمعين .. بل أن أريس نفسه ـ رغم كونه الها خالدا ـ وأثينا ، لا يستطيعان أن يتحكما فى مثل هذا الصراع الطاحن . ولكنى لا اظن اننى سأكون خاملا فى استخدام يدى وقدمى وقوتى . كلا ، لن أكون خاملا لحظة واحدة ، بل سأخترق صفوفهم فى الحال ، ولست أعتقد أن من يحاول الاقتراب من رمحى من الطرواديين ، سيكون سعيدا ! »

هكذا قال ليحثهم ، فصاح هكتور المجيد فى الطرواديين معلنا انه سيذهب لتوه لمواجهة أخيل ، فقال : « **أيها الطرواديون ، الشجعان القلوب ، لا تخافوا ابن بيليوس ، فقد استطعت بالالفاظ ان أناضل الخالدين انفسهم ، وأن تعذر هذا بالرمح لانهم أقوى بكثير .. أن أخيل لن يحقق كل قوله ، ولكنه سيحقق جزءا منه ، وسيبقى جزء آخر لا يتحقق .**

سأذهب لمواجهته فورا، رغم ان يديه شبيهتان بالنار ،وحميته اشبه بالفولاذ اللامع ! »

هكذا قال حاثا اياهم ، فشهر الطرواديون رماحهم عالية ، وهم يواجهون العدو . والتحم الفريقان متحمسين فى فوضى ، وعلت صيحة الحرب . وعندئذ اقترب ابولو من هكتور ، وقال له : « أى هكتور ، لا تقف بعد الآن بعيدا ، كبطل ضد أخيل ، بل انتظره وسط الحشد فى صخب المعركة ، خشية أن يصيبك برمية من رمحه ، أو بسيفه فى عراك متشابك »

هكذا تكلم ، وتقهقر هكتور ثانية الى حشد الرجال ، وقد تملكه الخوف عندما سمع صوت الرب يكلمه .. أما أخيل ، فقد انقض وسط الطرواديين ، وقلبه متذرع بالقوة ، مطلقا صيحة رهيبة . فقتل أولا اقيثيون المقدام ، ابن أوترونتيوس ــ قائد الجيش العظيم ــ الذى أنجبته حورية نيارية لاوترونتيوس ــ مخرب المدن ــ تحت **توموليوس** الجليدية ، فى أرض هودى الخصيبة . فقد أصابه أخيل العظيم ــ وهو يهجم عليه مباشرة ــ برمية من رمحه فى رأسه ، فشطره شطرين . وسقط بعنف ، فتهلل أخيل العظيم قائلا : « ميتا ترقد يا ابن أوترونثيوس ، يا أعظم الرجال هولا . ها هى ذى ميتتك ، رغم أن مولدك كان بالقرب من البحيرة الجيجية ، حيث ضيعة آبائك ، بالقرب من **هولوس** الزاخرة بالاسماك ، **وهيرموس** ذى الدوامات » .

هكذا قال مزهوا ، بينما خيم الظلام على عينى الآخر . ومزقته عربات الآخيين إربا بعجلاتها فى مقدمة المعركة،وسقط فوقه ديموليون بن أنتينور ــ حصن القتال الجرىء ــ اذ طعنه أخيل فى جبينه ، خلال الخوذة ذات قطع الخدين البرونزية . ولم توقف الخوذة البرونزية الرمح ، بل ان طرفه نفذ خلالها فشق العظم ، نصفين ، فتناثر المخ كله بداخلها . وظل أخيل فى حميته، فما لبث أن طعن هيبوداماس فى ظهره ، وهو يقفز هابطا من

عربته ليهرب أمامه . وبينما كان يلفظ آخر انفاسه ، أصدر صيحةمدوية ، أشبه بالثور اذ يخور بينما يجره الشباب اليافع حول مذبح رب هيليكى (٣٩) ، ارضاء لمزلزل الارض .. هكذا أيضا جار هيبوداماس ، بمجرد أن بارحت روحه الجليلة عظامه . أما أخيل فانقض برمحه وراء بولودوروس الشبيه بالاله ، ابن بريام . وكان ابوه لاينفك يمنعه عن القتال ، لانه كان أصغر أولاده وأعزهم لديه ، وكان يبز الجميع فى سرعة القدمين . وكان فى تلك اللحظة ، يعرض سرعة قدميه - فى رعونة صبيانية - وقد اندفع خلال المقدمة ، الى أن فقد حياته . اذ طعنه أخيل العظيم السريع القدمين فى ظهره برمية من رمحه ، وهو ينقض مارا به ، حيث كانت مشابك حزامه الذهبية قد التحمت بأطراف الدرقة ، فنفذ طرف الرمح خلال هذه بجانب السرة . وجثا على ركبتيه يئن ، وخيمت سحابة من الظلام عليه ، وأمسك احشاءه بيديه وهو يسقط .

وما ان رأى هكتور أخاه بولودوروس ، ممسكا أحشاءه بيده وهو يتهالك على الارض ، حتى غشيت بصره غمامة ، ولم يستطع السير بعد ذلك بعيدا ، بل خطا مسرعا نحو أخيل ، ملوحا برمحه الحاد ، فى صورة أشبه باللهب . ولكن اخيل لم يكد يبصره ، حتى قفز عاليا وقال بكبرياء : **« عجبا ، قريب هو الرجل الذى أوجع قلبى ، دون الجميع ، لانه قتل صديقى الذى كنت أجله . لن يحجم أحدنا عن الآخر طويلا بعد الآن ، بطول حواجز الحرب ! »**

قال هذا ، وقطب حاجبيه غاضبا ، وخاطب هكتور العظيم بقوله : **« هيا ، اقترب ، حتى تصل سريعا الى موارد الهلاك »**

فرد عليه هكتور - ذو الخوذة البراقة - غير هياب : « يا ابن بيليوس ، لا تفكر فى أن تخيفنى بمحض الالفاظ كما لو كنت طفلا ، اذ أننى اعرف مثلك كيف أوجه السباب والتعيير . وانى لادرك ، أنك جسور ، وأنك أفضل منى بكثير . ولكن علم

هذه الامور لدى الآلهة ، ولعلى ـ رغم ضعفى ـ أسلبك الحياة برمية من رمحى ، لان رمحى قد أثبت ـ حتى الآن ـ انه هو الآخر حاد »

قال هذا ، ووزن رمحه وقذفه ، ولكن اثينا أرسلت ريحا أبعدته عن أخيل المجيد ، فارتد عائدا الى هكتور العظيم ، وسقط أمام قدميه . ولكن أخيل انقض عليه هائجا يبغى قتله ، وهو يصيح صيحة رهيبة . بيد أن أبولو خطف هكتور الى فوق بسهولة بالغة ـ شأن الارباب ـ واخفاه فى غمامة كثيفة . وانقض أخيل العظيم السريع القدمين ـ ثلاث مرات ـ برمحه البرونزى ، وثلاث مرات راح يضرب الغمامة الكثيفة . ولما هجم عليه للمرة الرابعة وكأنه اله ، صاح صيحة مدوية ، وخاطبه بكلمات مجنحة قائلا : « الآن تنجو من الموت ثانية ـ أيها الكلب ـ رغم أن حتفك قد اقترب منك حقا . ولكن أبولو أنقذك مرة أخرى . فعليك ان تصلى له ، كلما ذهبت الى مكان قذف الرماح . ولسوف أضع خاتمتك ، عندما ألتقى بك بعد ذلك ، اذا قدر لى أن يساعدنى أى رب كما ساعدك . أما الآن فسوف اطارد كل من يعترض طريقى من الآخرين »

وما ان انتهى من قوله ذاك حتى طعن دروبس فوق عنقه برمحه ، فسقط أمام قدميه . ولكنه تركه فى مكانه ، وأوقف عن القتال ديموخوس بن فيليتور ـ وهو رجل مقدام فارع الطول ـ بأن قذفه برمحه فوق ركبته ، ثم أجهز عليه بسيفه الضخم . وبعد ذلك انقض على لاوجونوس ودرادانوس ـ ابنى بياس ـ وقذف بهما من العربة الى الارض ، ضاربا أحدهما برمحه ، والآخر بالسيف فى قتال متشابك . وبعدها جاء طروس بن الاسطور ، فخر جانبا يمسك بركبتى أخيل ، عسى ان يبقى على حياته ويأخذه أسيرا ـ دون أن يقتله ـ مشفقا على رجل فى سنه . **فما أحمقه ! اذ لم يكن يدرى بأن**

أخيل لا يصغى الى توسلات أحـد ، ولم يـكن بحال ما رحيم القلب أو عطوف النفس ، بل كان غاية فى القسوة .. لقدحاول أن يمسك ركبتى أخيل بيديه ، ويتوسل اليه ، ولـكن هـذا ضربه بالسيف على كبده ، فبرز الـكبد خارجا ، وتدفق الدم القاتم منه يملأ حجره ، وخيمت الظلمة على عينيـه ، وهـو مغشى عليه . ثم اقترب أخيل من موليـوس ، وضربه بالرمح فوق أذنه ، وفى الحال نفذ طرف الرمح البرونزى خلال الاذن الاخرى . ثم أطاح ـ بسيفه ذى المقبض ـ برأس ايخيلوس ابن أجينور ، فتضرج النصل كله بالدم ، وهبط القدر العتيـد والموت الاسـود على بصره . بعـد ذلك طعن ديوكاليون ـ فى موضع اتصال أعصاب المرفق ـ فنفذ طرف رمحه البرونزى خلال الساعد ، وصمد ديوكاليون أمام هجمته بساعد مثقـل الى اسفل ، وقد تجلى أمامه الموت . ولكن أخيل ضرب عنقـه بالسيف ، فأطاح رأسه بعيدا بخوذته ، وتناثر النخـاع من السلسلة الفقرية ، وظل جسمه ممددا فوق الارض . ثم طارد ابن بيريس ـ المنقطع المثال ـ ريجمـوس القـادم من **تراقيـا** العميقة التربة .. طعنه برمحه فى وسطه ، فاستقر البرونز فى بطنه ، وسقط فى الحال من فوق عربتـه ، كمـا طعن خادمه أرايثوس ، بينما كان يدير الجياد ، فأصـابه فى ظهره بالرمح الحاد ، وأوقعه من العربة ، فانطلقت الجياد جامحة .

وكما تثور النار المتأججة خلال الوهاد العميقة ، فى جبـل يحترق ، وتشتعل الغابة الكثيفة ، بينما تدفع الريح اللهب فى كل مكان .. **هكذا أيضا هاج أخيل برمحـه فى كل موضـع ، أشـبه برب من الارباب ، دائم الانقضـاض على من يقتلهم . وتخضبت الارض السوداء بالدماء** . وكما يضع المرء النير فوق الثيران العريضة الجبين ، لتطأ الشعير الابيض فى جرن منظم ، وبسرعة ينفصل الحب تحت اقدام الثيران العالية الخوار ..

هكذا أيضا راحت جياد أخيل العظيم ، القوية الحوافر ، تطأ الموتى والدروع ، وتلطخ محور العربة كله بالدم،وكذا أطارها ، اذ تناثر رشاش الدم من بين أرجل الجياد ، وعلى العجلات .

وهكذا شدد ابن بيليوس هجومه ، ليفوز لنفسه بالمجد ، وقد تخضبت بالدماء يداه اللتان لا تقهران .



الإلياذة ١٨١٨٤ هوميروس



الأنشودة الحادية والعشرون

وقف بريام الكهل فوق السور المقدس ، فأبصر أخيل الضارى ، والطرواديين يهزمون أمامه .. فهبط عن السور وهو يئن ، صائحا فى الحراس : « افتحوا الابواب على مصاريعها ! » ..

كيف كافح أخيل ضد النهر ، وطارد الطرواديين الى أبوابهم

أخيل بجانب النهر

• **وعندما** بلغوا مخاضة **كسانثوس** الكثير الدوامات – النهر الهادىء الجريان ، الذى أنجبه زوس الخالد – قسمهم أخيل قسمين، فقاد احدهما الى السهل صوب المدينة – حيث كان الآخيون بالامس يفرون فى فوضى ، وقت أن ثار هكتور المجيد – واذ ذاك تدفق بعضهم الى هناك فى شغب ، ونشرت « هيرا » أمامهم غمامة كثيفة لتعرقل سيرهم ، فحبس نصفهم فى النهر العميق الجريان بدواماته الذهبية وراحوا يرمون أنفسهم بصخب بالغ ، ودوت مجارى المياه الرأسية الانحدار ، كما رددت الشواطىء المحيطة ضوضاء صياحهم وهم يسبحون فى هذا الطريق وذاك ، دائرين بسرعة فى الدوامات . وكما يحدث عندما يطير الجراد أمام هجوم النار ليهرب الى النهر ، فتحرقه النار الهوجاء بهجومها المفاجىء ، ويفر الجراد هابطا الى الماء .. هكذا كانت الحال ايضا أمام أخيل ، فقد غدا مجرى **كسانثوس** الصاخب ، العميق الدوامات ، زاخرا بالعربات والرجال ، فى فوضى واضطراب .

وترك الامير رمحه فوق الشاطىء ، مسندا الى شجيرات الاثل الطرفاء ، وقفز – فى صورة اله – غير ممسك الا بسيفه، يهدف فى قرارة نفسه الى عمل بشع . فكان دائم الضرب وهو يدور فى هذا الاتجاه وذاك ، فيتصاعد من ضحاياه أنين فظيع، وهم يضربون بالسيف .. وتخضب لون الماء بالدم . وكما تفر الاسماك أمام الدلفين الضخم فزعة ، تملأ جوانب الميناء ذى المرساة البديعة – لانه نهم فى ابتلاع كل ما يقع فى قبضته – هكذا أيضا ربض الطرواديون فى مجارى النهر الهائل أسفل

الشواطىء المنحدرة . ولما كلت يدا أخيل من القتل ، أختار اثنى عشر شابا حيا من داخل النهر ، كضريبة دم من أجل صديقه المقتول – باتروكلوس بن مينويتيوس – فقادهم بعيدا ، فاقدى الوعى ، وكأنهم الظباء . وقيد ايديهم من خلف بسيور جميلة ، كانوا يتمنطقون بها حول عباءاتهم المغضنة ، وعهد بهم الى أصدقائه ليقودوهم الى السفن الجوفاء . ثم قفز مرتدا من جديد ، وهو متلهف الى القتل .

مصرع ليكاوون

• **واذ ذاك** ، قابل ليكاوون بن بريام الدردانى ، يفر بعيدا عن النهر . وكان قد أسره ذات مرة ، وأحضره رغم أنفه ، اذ كان يقتطع أغصانا من شجرة تين ، بالبرونز الحاد – فى بستان كروم لابيه – ليلا ، ليصنع منها حواجز للعربة . ولكن اخيل العظيم انقض عليه ، وكأنه هلاك غير مرتقب ، وقبض عليه واخذه فى سفينته الى **ليمنوس** المكينة البناء ، حيث باعه ، فتقدم ابن جاسون لشرائه . غير أن ايثيون الامبروسى – وكان صديقا ضيفا – حرره بفدية ضخمة ، وأرسله الى **أريسبى** المقدسة . ومن هناك هرب خفية – فى الحال – وذهب الى منزل أبيه ، حيث تمتع بالبهجة أحدعشر يوما وسط أصدقائه ، بعد أن قدم من **ليمنوس** . ولكن أحد الآلهة ، قذف به فى اليوم الثانى عشر – الى يدى أخيل ثانية . وكان مقدورا لهذا أن يرسله الى منزل هاديس ، رغم أنه كان يمقت الذهاب اليه . .

وكان – حين فطن اليه أخيل العظيم ، السريع القدمين – بغير سلاح قط : فلا خوذة ولا درع ، ولا رمح ، اذ كان قد خلع عنه كل هذه ورماها الى الارض ، لان العرق ضايقه وهو يحاول الهروب من النهر ، كما أنهك التعب ركبتيه . عندئذ ، تأثر اخيل أبلغ تأثر ، وخاطب روحه العظيمة الشجاعة قائلا :

« الآن تسكت ، حقا . ان هذه لمعجزة كبرى تلك التى تراهـا عيناى ! . . كأني بمن قتلتهم من الطرواديين البالغى الجرأة ، سيصعدون ثانية من تحت الظلمة الرطبة ، مادام هذا الرجل يعود هكذا ثانية ، وقد نجا من يوم الموت القاسى ، رغم أنه بيع فى **ليمنوس** المقدسـة ، ولم يوقفه عمـق البحر الرمادى الذى يكبح جماح الكثيرين ضد ارادتهم . هيـا ، فليـذق طرف رمحى ، كى أرى وأدرك – فى قلبى – ما اذا كان سيعود أيضا من تحت، او ان الارض مانحة الحياة – تلك التى تمسك حتى القوى – ستحتفظ به الى الابد ! »

هكذا فكر فى نفسه وانتظر ، ولكن الآخر اقترب منه، يرجو لمس ركبتيه ، وقد استبدت بقلبه رغبة جامحة فى النجاة من الموت الشرير والقضاء الاسود . **واذ ذاك رفع اخيـل العظيم رمحه الطويل عاليا ، قاصـدا ضربه . ولكن ليكاوون انحنى وجرى من تحت وأمسك ركبتيه باحدى يديه ، بينما أمسك الرمح الحاد بالاخرى ، فلم يسمح له قط بالانطلاق** . وخاطبه بكلمات مجنحة قائلا : « أناشدك الرحمة يا أخيل ، زن موقفى واشفق على ، يا سليل زوس ، فانى فى موقف اللائذ بك ، اذ سبق ان أكلت على مائدتك من غلال ديميتير ، يوم أن أخذتنى أسيرا فى بستان الكروم الجيد التنسيق ، وسقتنى بعيدا عن أبى وأصدقائى ، وبعتنى فى **ليمنوس** المقدسة ، وجئتك بثمن قدره مائة ثور . أما الآن فاننى أشترى حريتى بثلاثة اضعاف ذلك المقدار ، وهذا هو الصباح الثانى عشر منذ أن قدمت الى **طروادة** المقدسة ، بعد أن قاسيت عدة أهوال . وها هـو ذا القدر المميت يسلمنى ثانية الى يديك . لاشك ان أبى زوس يمقتنى ، اذ أسلمنى اليك ثانية ، ولاجل قصير أنجبتنى أمى لاوثوى ابنة ألتيس الشيخ ، ملك الليجيس محبى القتـال ، الذين يحتلون **بيداسوس** العالية ، فوق شواطىء **الساتنيويس** فلقد تزوج بريام ابنته – ومعها كثيرات غيرها – ومنها أنجب

ولدين، قدر لك ان تذبحهما معا .. اذ أنك قتلت بولودوروس ـ الشبيه بالاله ، وسط مشاة المقدمة ـ عندما ضربته برمحك الحاد ، وها أنذا سألقى حتفى، فلا أظن أننى سأنجو من يديك، بعد أن ساقنى اليك احد الآلهة . ومع ذلك فسأخبرك بأمر لتحفظه فى قلبك : لا تقتلنى ، حيث اننى لم انحدر من نفس الرحم الذى انحدر منه هكتور ، قاتل صديقك الرحيم الصنديد ! »

هكذا توسل اليه ابن بريام المجيد ، بعبارات الاستعطاف ، غير أنه لم يتلق منه الا صوتا فظا يقول : « صه ، أيها الاحمق ! .. لاتحدثنى عن الفدية ، ولا تلق على خطبة . لقد كنت ـ حتى يوم مقتل باتروكلوس ـ أسر بأن أعتق الطرواديين .. فقد أسرت كثيرا منهم وبعتهم احياء عبر البحر . أما الآن ، فلن ينجو من يدى كل من يسلمه الرب الى يدى أمام أسوار طروادة .. كلا ، لن أرحم احدا من الطرواديين . كلا ، أيها الصديق ، لتمت انت أيضا ! .. ولم تنتحب هكذا ؟ لقد مات باتروكلوس ، الذى هو أفضل منك بمراحل . ألا ترى أى نوع من الرجال أنا ؟ ألست لطيفا وفارع الطول ؟ اليس أبى سيدا خيرا ، وأمى ربة ؟ ومع ذلك فالموت والقدر القاسى معلقان فوقى . ولسوف يسلبنى حياتى رجل ما فى القتال ، ذات فجر أو مساء أو ظهر ، سواء برمية من الرمح ، او بسهم من القوس ! »

هكذا تكلم ، فارتخت ركبتا الآخر ، وذاب قلبه . وأفلت رمح أخيل ، وجلس وكلتا يديه مبسوطتان . فاستل أخيل حسامه البتار، وهوى به فوق عظمة الترقوة ـ بجانب عنقه ـ فغاب السيف ذو الحدين كله ، وتمدد ابن بريام فوق الارض، وقد تدفق الدم القانى منه فخضب الثرى . واذ ذاك امسكه أخيل من قدميه ، وقذف به الى النهر ليذهب، وقال متباهيا، بكلمات مجنحة : « ارقد هناك وسط الاسماك التى ستلعق

الدم المتدفق من جرحك ، دون أن تكترث بك . ولن يقدر لامك أن تسجيك فى تابوت وتبكيك ، بل ان سكاماندر الزاخر بالدوامات ، سيحملك الى الخليج الفسيح . وسيقفز كثير من السمك – من بين الامواج – ليأكل من لحم ليكاوون الابيض . فلتهلكوا جميعا فى فراركم ، حتى نبلغ مدينة طروادة المقدسة ، وأنا أعمل فيكم التقتيل من خلف . ولن يجديكم نفعا ذلك النهر الهادىء الجريان بدواماته الفضية ، رغم انكم – على ما أعتقد – قدمتم له كثيرا من الثيران ، وقذفتم فيه بجياد حية ، قوية الحوافر . فلسوف تهلكون – مع ذلك – بالقدر الشرير ، حتى تدفعوا جميعا ثمن مقتل باتروكلوس ، ونكبة الآخيين الذين قتلتموهم بجانب السفن السريعة ، عندما كنت بعيدا عن ميدان القتال »

هكذا قال ، فازداد النهر غيظا فى قلبه ، وراح يفكر – فى نفسه – كيف يمكنه أن يوقف أخيل العظيم ، ويمنعه من أداء مهمته ، ويبعد الهلاك عن الطرواديين . وفى الوقت نفسه ، قفز ابن بيليوس حاملا رمحه الطويل الظل ، وانقض على أستيروبايوس بن بيليجون ، المولود من اكسيوس – الفسيح الجريان – وبيريبويا ، كبرى بنات أكيسامينوس ، اذ اضطجع معها النهر العميق الدوران . فهجم عليه أخيل ، ووقف استيروبايوس خارج النهر ليواجهه ، حاملا رمحين ، وقد بث كسانثوس الشجاعة فى قلبه ، نقمة منه من أجل الشبان الذين قتلوا فى المعركة ، والذين كان اخيل يعمل فيهم التقتيل بحذاء مجرى الماء ، دون رحمة ولا شفقة . فلما اقترب كل منهما من الآخر ، تحدث أخيل العظيم السريع القدمين ، الى استيروبايوس ، قائلا : « من من القوم أنت ، يا هذا ؟ ومن أين قدمت ، حتى تجرؤ على مواجهتى ؟ ما أتعس اولئك الذين يواجه أطفالهم قوتى ! »

فأجابه ابن بيليجون المجيد : « لم تتحرى عن نسبى يا ابن

بيليوس ، البالغ الشجاعة ؟ لقد جئت من **باونيا** ــ العميقة التربة ، النائية ــ أقود الباونيين برماحهم الطويلة . وهذا هو الصباح الحادى عشر منذ أن قدمت الى **طروادة** . أما نسبى فهو من **اكسيوس** ، الفسيح الجريان ، الذى تجرى مياهه كأجمل مياه على ظهرالبسيطة ، والذى أنجب بيليجون المشهور برمحه . فهو ابى ، على حد قول الناس ، والآن هيا الى القتال يا أخيل المجيد »

هكذا تكلم مهددا ، فرفع أخيل العظيم الرمح الدردارى البيلى . واذ ذاك ، قذف المحارب أستيروبايوس رمحيه دفعة واحدة ، لانه كان ممن يستطيعون استخدام اليدين معا . **فأصاب احد الرمحين ترس أخيل ، ولكنه لم يخترقه ــ اذ أوقفه الذهب ، هدية الرب ــ واصاب الرمح الآخر ساعد اخيل الايمن بضربة قاطعة ، فتدفق الدم الاسود خارجا . بيد أن طرف الرمح مرق وانغرس فى الارض ، توقا الى اشباع نهمه باللحم** . أما اخيل فرمى رمحه الدردارى المستقيم الطيران ، صوب استيروبايوس ــ يروم قتله ــ ولكنه أخطأ ، وأصاب الساحل المرتفع ، فانغرس الرمح هناك حتى منتصفه . وعندئذ استل ابن بيليوس ، سيفه الحاد من جانب فخذه ، وانقض عليه ثائرا . ولم يفلح الآخر فى أن ينزع بيده القوية رمح اخيل الدردارى من الساحل . فلقد هز الرمح ثلاث مرات ، وهو يتلهف الى انتزاعه .. وثلاث مرات فشل فى محاولته . وفى المرة الرابعة اعتزم ثنى الرمح الدردارى ــ رمح ابن أياكوس ــ ليكسره ، ولكن أخيل سلبه الحياة بحسامه ، قبل أن يتم ذلك . اذ ضربه فى بطنه بجانب سرته ، فخرجت جميع أحشائه الى الارض ، وغشيت الظلمة عينيه ، وهو يلهث ممددا . فوثب اخيل فوق صدره وجرده من أسلحته ، وتهلل قائلا : « ارقد كما أنت ، فمن العسير أن تتصارع مع أنسال ابن كرونوس العتيد ، ولو كنت ابن نهر ! .. انك تجاهر بمولدك من نهر

واسع الجريان، بينما أجاهر أنا بأننى من نسب زوس العظيم. ان الاب الذى انجبنى ، ملك بين المورميدون العديدين .. انه بيليوس بن أياكوس ، وأياكوس من نسل زوس . وكما أن زوس أقوى من الانهار التى تهدر نحو البحر ، فكذلك نسل زوس أقوى من نسل اى نهر . وها هو ذا نهر عظيم ، جد قريب منك ، ولكنه لن ينفعك ، فليس لاحد أن يقاتل زوس بن كرونوس ، أو يتحداه ، ولو كان الملك أخيلوس .. بل ولا أوقيانوس - العميق الجريان بقوته وجبروته .. فان هذا الذى تخرج منه سائر الانهار وجميع البحار ، وكل الينابيع والآبار العميقة ، يخاف - هو الآخر - برق زوس العظيم ، ورعده الرهيب عندما يدوى من السماء ! »

قال هذا ، وجذب رمحه البرنزى من الساحل ، وترك أستيروبايوس حيث كان عندما ازهق روحه ، مسجى على الرمال ، وقد بللته المياه القاتمة . فأخذت الاسماك وثعابين الماء تنهش جسمه وتمزق اللحم حول كليتيه. أما أخيل فمضى فى طريقه وراء البايونيين - سادة العربات - الذين كانوا لايزالون يحتشدون فى فوضى على طول النهر الدوام ، مذ أبصروا خير رجل فيهم يتردى فى قتاله مع ابن بيليوس ، بيديه وسيفه . وما لبث أن قتل منهم ثيرسيلوخوس ، ومودون، وأستوبولوس ، ونيسوس ، وثراسيوس ، واينيوس وأوفيليستيس . ومع ذلك فقد كان فى مقدور أخيل السريع، أن يقتل عددا أكبر من البايونيين ، لولا ان النهر العميق الدوامات غضب غضبا شديدا ، وناداه فى صورة رجل ، مصدرا صوتا من جوف احدى الدوامات العميقة ، قائلا : « اى أخيل .. انك لتفوق البشر قوة وشرا ، اذ تمدك الآلهة بالمساعدة على الدوام . واذا كان ابن كرونوس قد منحك الحق فى أن تقتل جميع الطروادبين ، فلا تقذف بهم فى مجراى - على الاقل - بل انجز عملك الفظيع فوق السهل . فلقد امتلأ

حوضى الجميل بجثث القتلى ، فلم أعد أستطيع أن أوفق فى صب مياهى فى البحر اللامع ، اذ أصبحت مخنوقا بالموتى ، بينما تمضى انت فى القتل دون رحمة ولا هوادة . كلا . كف عن ذلك ، فان العجب يتملكنى ، يا قائد الجيوش ! »

فأجابه أخيل السريع القدمين ، قائلا : « ليكن ماتقول يا سكاماندر ، يا سليل زوس ! ولكنى لن أكف عن قتل الطرواديين المتغطرسين الا بعد أن أحبسهم فى مدينتهم ، وبعد أن أجرب حظى مع هكتور وجها لوجه، فاما قتلنى او قتلته!»

صراع بين أخيل وسكامندر

وما أن قال هذا حتى قفز على الطرواديين كأنه اله . وعندئذ تحدث النهر العميق الدوامات الى أبولو قائلا : «ويحك يارب القوس الفضية ، يا ابن زوس .. انك لم تطع كلام ابن كرونوس ، الذى أمرك بالوقوف فورا الى جانب الطرواديين ومساعدتهم ، حتى ساعة متأخرة من المساء ، عندما تنتشر الظلمة على الارض العميقة التربة »

هكذا تكلم ، فنهض أخيل ـ المشهور برمحه ـ من الشاطىء وقفز الى وسطه . ولكن النهر هجم عليه بفيضان صاخب ، واثار جميع مجاريه المائية فى صورة عجاجة ، واكتسح أمامه الموتى الكثيرين الذين قتلهم أخيل ، وكانوا يرقدون فى قاعه ، فقذف بهم الى البر ، وهو يخور أحيانا كأنه ثور . أما الاحياء فقد أنقذهم تحت المجارى المائية الهادئة ، بأن أخفاهم فى الدوامات العميقة الواسعة . **وشرعت اللجج الصاخبة ترتفع عاليا حول أخيل بصورة فظيعة، ودفعه التيار الى الخلف وهو يتلاطم فوق ترسه ، فلم يفلح اخيل فى الوقوف ثابتا على قدميه .. وتعلق بشجرة دردار سامقة ، جميلة الشكل ، فانخلعت من جذورها وسقطت، فمزقت الضفة كلها ،وامتدت**



عبر المجارى الهادئة باغصانها الغليظة ، وسدت النهر نفسه ، وقد سقطت بطولها فى داخله . أما أخيل فوثب خارج الدوامة وأسرع يهرب بقدم سريعة عبر السهل ، اذ تملكه الخـوف . ومع ذلك فلم يكف الرب العظيم عنه ، بل لاحقه بموجة دكناء القمة ، ليوقفه عن غايته ، ويمنع الهلاك عن الطرواديين . ولكن ابن بيليوس ارتد الى الوراء ــ قاب رمح ــ بسرعة النسر الاسود ، ذلك الصياد العتيد ، أقوى وأسرع الكائنات المجنحة . فانقض مثله ، والبرونز يجلجل عاليا فوق صدره ، وهو يفلت من تحت الفيضان ويفر الى الامام باستمرار ، فيجد النهر مقتفيا أثره ، ومتدفقا بخرير قوى . وكما يحدث عندما يحفر الرجل ــ الذى يتحكم فى مجرى الماء المتدفق من ينبوع رطب ــ قناة بين نباتاته واقسام حدائقه ، فيمسك الفأس فى يديه ، ويزيل العوائق من القناة ، ليتدفق الماء فيكتسح معه جميع الحصى الموجود فى قاعها ، وينساب بسرعة الى الامام ، بهدير الى أسفل موضع منحدر ، مستبقا كل مايصادفه ، حتى ذلك الذى تحكم فيه .. هكذا أيضا ، لحق طوفان النهر بأخيل ــ رغم ماكان عليه من سرعة القـدم ــ لان الآلهة أقوى من البشر . وكلمـا صارع أخيل العظيم السريع القدمين ، كى يقف ضده ، ويعلم ما اذا كان جميع الخالدين ــ الذين يحتلون السماء الفسيحة ــ يتعقبونه ، ضربه الطوفان العظيم لهذا النهر المقـدس فوق

كتفيه . فكان يثب عاليا ما استطاعت قدماه ، بينما كان النهر يلاحق ركبتيه بتدفقه العنيف تحتـه ، ويزيل الارض تحت قدميه . عندئذ صرخ ابن بيليوس صرخة مريرة ، واتجه ببصره نحو السماء الفسيحة وقال : ((**أبتاه زوس ، أما من من اله يتكفل بانقاذى من النهر فى محنتى القاسية هذه ؟ .. ليحدث لى بعد ذلك ما يحدث ، فلست ألوم كثيرا أيآ من آلهة السماء ، عدا أمى العزيزة التى خدعتنى بمعسول الالفاظ ، قائلة بأننى سوف أهلك بواسطة سهام أبولو السريعة ، تحت سور الطرواديين المدرعين** . ليت هكتور قتلنى ، فهو خير الرجال الذين تربوا هنا ، عندئذ يكون قاتلى رجلا شجاعا، وقد قتل رجلا شجاعا مثله . أما الآن فهل كتبت لى هذه الميتة التعيسة ، حبيسا فى هذا النهر العظيم ، أشبه براعى الخنازير يجرفه التيار بعيدا وهو يحاول عبوره فى الشتاء ! ؟))

وما ان قال هذا، حتى اقترب بوسايدون وبالاس أثينا فوقفا الى جانبه ، متنكرين فى صورة البشر ، وأمسكا يديه بأيديهما ، ووعداه بالالفاظ . وكان بوسايدون – مزلزل الارض – هو أول من تكلم قائلا : ((لا ترتعدن – يا ابن بيليوس – أكثر مما يجب ، ولا تخافن اطلاقا ، فكل منا – أنا وبالاس أثينا – مساعد لك من لدن الآلهة ، اذ وافق زوس على هذا . اذ أنه غير مقدر لك أن تموت بوساطة نهر . بل ان النهر لن يلبث ان يتراجع ، وستشعر بذلك من تلقاء نفسك . ولكننا سنمحضك النصح اذا ماقبلته . فلا تكف يديك عن القتال الشرير الا بعد أن تحصر الجيش الطروادى ، وكل هارب ، داخل أسوار **طروادة** الشهيرة . أما أنت فعد الى السفن بعد أن تزهق روح هكتور ، وحينئذ نمنحك المجد))

وما ان قالا هذا ، حتى انصرفا الى الخالدين ، بينما اتجه اخيل صوب السهل ، اذ أثاره كلام الالهين . وكان السهل كله يفيض بطوفان من الماء ، يطفو فوقه الكثير من الاسلحة العظيمة

وجثث الشبان الذين ترديوا فى القتال . **وأخذت ركبتا أخيل تقفزان عاليا ، وهو يناضل ضد الطوفان ، فلم يستطع النهـر الواسع الجريان أن يوقفه ، لان أثينا وضعت فيه قوة عظيمة . ومع ذلك ، فلم يكن لسكاماندر أن يهدىء من ثورته ، بل انه ازداد غيظا ضد ابن بيليوس ، فرفع نفسه عاليا ، وجعل أمواج طوفانه تعلو شـاهقة .** وصـاح على سيمويس قائلا : « اخى العزيز ، هلم بنا نكبح قوة هذا الرجل ، اذ أنها تحتاج الى كلينا معا ، والا فانه لن يلبث أن يخرب مدينة الملك بريام العظيمة ، ولن يصمد الطروواديون أمامه فى المعركة . هيا ، قدم لى يد العون بسرعة ، واملأ مجاريك بالماء من الينابيع ، وأثر جميع تياراتك ، ارسل موجة ضخمة ، وأطح بالاشجار والاحجار فى صخب هائل ، حتى نكبح جماح هذا الرجل العنيف ، الذى له الغلبة الآن ، وفى نيته أن يتحدى حتى الآلهة .. انى لاعتقد ان قوته لن تجديه نفعا ، ولا رقته، بل ولا تلك الحلة المدرعة التى أحسبها ستستقر فى أعماق البحر ، تغطيها الاوحال .. أما هو نفسه ، فسوف أطويه فى الثرى ، وأصب فوقه كمية ضخمة من الحصباء ، لاحد لها ولا حصر ، فلا يعرف له الآخيون مقرا حتى لايجمعوا عظامه . فى مثل هذا العمق من الطمى سـوف اخفيه . وسيكون قبره هنا ، ولن تكون به حاجة الى أكمـة متراكمة ، عندما يشيع الآخيون جنازته ! »

قال هذا ، وهجم على أخيـل فى عنف ، هائجا مائجا ، يغلى بالزبد والدم والموتى من الرجال . وارتفع الطوفان القاتم للنهر المقدس يحلق فوقه ، وكان على وشك أن يتغلب على ابن بيليوس ، لولا أن « هيرا » صاحت عاليا ، وقد تملكها الخوف على أخيل ، خشية ان يجرفه النهر البـالغ العمق الكثـير الدوامات . فتحدثت فى الحال الى ابنها العزيز هيفايستوس قائلة : « انهض يا بنى ، ايها الاعرج القدم ! ان **كسانثوس** يقف عـلى الدوام

ضدك فى القتال . هيا أحمل المعونة بسرعة ، وأشـعل نيرانك العديدة ، بينما أسرع أنا فأثير من البحر هبة عنيفةللريح الغربية والجنوبية البيضاء ، تبتلع جميع الطرواديين الاموات وعددهم الحربية ، اذ تدفعهم باستمرار الى النيران الشريرة . كذلك فلتحرق الاشجار بطول شاطىء **كسانثوس** ، وتضرم فيها النيران ، ولا تدعه بحال ما يردك على عقبيك برقيق الالفاظ أو بالتهديدات . ولا تكف عن هيجانك الا عندما أصيح عليك ، فعندئذ فقط يكون لك ان توقف نيرانك المتأججة »

صراع بين الآلهة

• **هكذا** تكلمت ، فأعد هيفايستوس نارا شديدة اللهب . وشبت النار أولا فوق السهل ، فأحرقت الموتى العديدين المتناثرين هناك ، وقد صرعهم أخيل . وجف السهل كله ، وتوقفت المياه المتلألئة . وكما يحدث فى موسم الحصاد — عندما تجفف الريح الشمالية بسرعة بستانا حديث الرى ، فيسعد حارثه — كذلك صار السهل كله جافا ، وباد الموتى عن آخرهم . ثم حول هيفايستوس نيرانه المتوهجة ضد النهر ، فاحترقت أشجار الدردار والصفصاف والطرفاء ، كما احترقت نباتات اللوتس والحلفاء والجلنجان البرى ، النامية بكثرة حول مجارى النهر الهادئة . ولاقت ثعابين الماء والاسماك الاهوال فى الدوامات وفى المجارى الهادئة ، فراحت تقفز فى هذا الاتجاه وذاك ، شديدة الاضطراب من جراء هبة هيفايستوس الكثير الحيل . كما احترق النهر العتيد كذلك ، فتكلم وخاطب الرب بقوله : **« أى هيفايستوس ، لا أحد من الآلهة يستطيع ان يتحداك ، ولن أقاتلك مشتعلا بالنار كما أنت الآن . كف عن الصراع !.. أما الطرواديون ، فدع أخيل العظيم يطردهم فى**

الحال من مدينتهم ، فأى شأن لى فى الصراع او فى تقديم المعونة ؟ ! »

هكذا قال ، وهو فى الوقت نفسه يحترق بالنار ، اذ كانت مجاريه الصافية تغلى . وكما تغلى القدر من الداخل ، عندما تتسلط عليها النار المستعرة وهى تصهر شحم خنزير مسمن ، فتغلى فى جميع أجزائها ، والنار من تحتها تتلقى غذاء من الاحطاب الجافة .. هكذا أيضا احترقت مجاريه الصافية ، وأخذت المياه تغلى . ولم يعتزم المضى فى التدفق الى الامام أكثر من ذلك ، بل توقف ، لان لفحة قوة هيفايستوس الحكيم القلب أزعجته . عندئذ صلى على عجل الى « هيرا » بكلمات مجنحة ، قائلا : « أى هيرا ، لم هاجم ابنك مجراى ليكون اشد تنكيلا به من سواه ! .. لست أرى اننى أخطأت كغيرى ممن يساعدون الطرواديين . ومع كل فسأكبح جماح نفسى ، اذا أمرتنى بهذا ، كما تأمرينه بأن يكف عن ثورته . وفوق ذلك ، سأقسم بألا أمنع يوم الشر عن الطرواديين ، ولو احترقت **طروادة** بالنار الفتاكة ، على يد أبناء الآخيين البواسل »

فلما سمعت الربة ، هيرا البيضاء الساعدين هذا التوسل ، خاطبت فى الحال ابنها العزيز هيفايستوس ، قائلة : « اى هيفايستوس ، كف عن الايذاء ، يا ولدى المجيد ، فلا يليق أبدا أن تضرب ربا خالدا هكذا ، من أجل خاطر البشر ! » . فما أن قالت هذا ، حتى أخمد هيفايستوس نيرانه المتأججة ، فعاد الطوفان يتدفق من جديد فى قاع نهر هادىء .

واذ خمدت ثورة **كسانثوس** ، هدأ الاثنان ، لان هيرا اوقفتهما ، رغم غضبها . بيد أن الصراع نشب ثقيلا مفجعا بين الآلهة الآخرين . فهبت أرواحهم الكامنة فى صدورهم ، فى اتجاهات شتى . والتحموا معا بطنين قوى ، فجلجلت الارض الفسيحة ،

ودوت السماء العظيمة من كل صـوب كما لو كانت تنفخ فى بوق .. وسمع زوس صخبهم - وهو جالس فوق **أوليمبوس** - فضحك قلبه فى صدره طربا ، اذ شاهد الآلهـة يشتبكون فى القتال . ولم يقف واحد منهم بعيدا عن الصراع اذ ذاك . فقد بدأ أريس - الذى يطعن التروس - الصراع ، فانقض اولا على أثينا - شاهرا رمحه البرونزى ، ونطق بعبارات السباب قائلا : « يا ذبابة الكلب ، لم جعلت الآلهة تشتبك فى القتال ، بجرأتك التى تدفعك اليها روحك المتعجرفة ؟ ألا تذكـرين يوم حملت ديوميديس بن توديوس على أن يجرحنى ، وامسكت بنفسـك الرمح على مرأى من الجميع ، وصوبته نحوى ، فمزقت لحمى الرقيق ؟ .. أعتقد الآن أنك ستدفعين ثمن ما فعلت فادحا ! » .

قال هذا ، وضرب ترسها ذا الاهداب .. الترس الجبار الذى لا يستطيع برق زوس ذاته أن يقهره . فقد أطلق عليه اريس - الملطخ بالدماء - رمحه الطويل ، فتراجعت الى الوراء والتقطت بيدها القوية حجرا كان ملقى فوق السهل ، أسـود ضخما مسننا ، كان قدامى البشر قد وضعوه حدا فاصـلا لحقل . وضربت به اريس الثائر فوق عنقه ، فأرخت أطرافه . فتمدد على مساحة سبعة قراريط فى سقطته ، وتغبر شعره بالثرى ، وصلصلت حلته الحربية من حوله . وعندئذ انفجرت بالاس أثينا ضاحكة ملء شدقيها ، وازدهت بكلمات مجنحة ، قائلة : **« يا لك من احمق ، ألا تعـرف حتى الآن اننى أقوى منك ، فتقارن قوتك بقوتى . بهذه الطريقة تسر ربات الانتقام اللواتى تبتهل اليهن أمك الغاضبة ، وهى تحيك الشر ضـدك ، لانك تخليت عن الآخيين وقدمت المعونة للطرواديين المتعجرفين »**

قالت هذا ، وأدارت عينيها النجلاوين عن أريس . فأمسكت « أفروديتى ابنة زوس » يده ، وحاولت أن تقوده بعيدا ، وهو يئن ويتوجع ، وقد عجز عن أن يستجمع شجاعته من جديد .

فلما فطنت الربة هيرا البيضاء الذراعين الى ما حدث ، تحدثت الى اثينا بكلمات مجنحة قائلة : « ويحك ، يا ابنة زوس ـ حامل الترس الذى لا يكل ـ ما أعجب أن تقود ذبابة الكلب هذه ، اريس ـ جالب الهلاك للبشر ـ بعيدا عن ساحة الوغى ، وسط الجموع . هيا ، وراءها !.. » وما أن قالت هذا ، حتى أسرعت أثينا تطاردها ، مسرورة القلب . وانقضت على افروديتى فضربتها بيدها القوية على صدرها ، فارتخت ركبتاها ، وغاص قلبها ، فرقد الاثنان على الارض الفسيحة ـ وأخذت أثينا تزهو بكلمات مجنحة قائلة : « سيكون على هذه الحال كل من يساعد الطرواديين ، عندما يقاتلون ضد الارجوسيين المدرعين ، بمثل هذه الشجاعة التى عمدت بها أفروديتى الى مساعدة أريس ، مجترئة على قوتى . فلولا اولئك لكففنا عن الحرب قبل الآن بمدة طويلة ، ولاجتحنا **طروادة** ، المدينة العامرة بالسكان ! »

هكذا تكلمت ، فابتسمت لذلك الربة هيرا ، الناصعة الذراعين . ولكن الملك بوسايدون ـ مزلزل الارض ـ تحدث الى أبولو قائلا : « اى فويبوس ، لماذا يقف كلانا بعيدا عن الآخر ، لاينازله؟ . . هذا لا يليق ، بعد أن بدأ الآخرون . فياله من عار أن نعود دون قتال الى **أوليمبوس** . . الى منزل زوس ذى العتبة البرونزية . فلتبدأ ـ ما دمت أنت الاصغر ـ اذ ليس لى أن أبدأ لكبر سنى ، ولاننى اكثر منك معرفة . ما أحمقك ، وما أخمل قلبك! الا تذكر جميع الآلام التى قاساها كلانا فى **طروادة** ، من دون جميع الآلهة ، عندما ذهبنا بناء على امر زوس ، وخدمنا الملك لاوميدون مدة عام ، لقاء أجر معين ، وكان هو سيد أعمالنا الذى نأتمر بأمره . لقد بنيت للطرواديين سورا عريضا جميلا حول مدينتهم ، يمنع عنها الدمار . . وأنت يا فويبوس ، قد رعيت الابقار النحيلة ، ذات المشية المتثاقلة وسط ممرات **ايدا** المعشوشبة ، الكثيرة الاخاديد . **فلما جاء عهد الرخاء ، أنهى مدة**

عملنا ، وسلبنا لاوميدون الفظيع كل أجرنا ، وطردنا مهددا متوعدا ، بأن يقيد أرجلنا وايدينا ، ويبيعنا فى جزر نائية .. وتظاهر بانه سيقطع آذاننا بالبرونز ، فرجعنا غاضبين ، متحسرين على الاجر الموعود الذى لم يعطنا اياه ! أفتبدى الآن العطف علي قومه ، ولا تؤمن معنا بأن أولئك الطرواديين المتغطرسين ، لابد أن يهلكوا هلاكا شاملا ، مع أطفالهم وزوجاتهم المبجلات ؟ »

فأجابه أبولو ، الذى يضرب من بعيد : « يا مزلزل الارض ، يحق لك ان تعتبرنى سقيم العقل اذا حاربتك من أجل البشر ، أولئك المخلوقات التعيسة الشبيهة بأوراق الاشجار ، تفيض حياة جياشة .. تأكل ثمار الحقل تارة ، وتذوى وتهلك تارة أخرى . هلم بنا ، نعرض عن الصراع ، ولنتركهم فى قتالهم !» . واذ قال هذا ، استدار ليعود أدراجه ، وقد خجل من أن يقاتل شقيق أبيه . بيد أن شقيقته ارتيميس - ذات الغابة الوحشية ، ملكة الحيوانات المفترسة - أخذت تعنفه بشدة ، وترميه بعبارات السباب قائلة : « يا للعار ، أيها الرب الذى يصيب من بعيد !.. اتهرب من المعركة تاركا النصر كلية لبوسايدون ، مانحا اياه المجد لقاء لا شيء ؟!.. ما أحمقك ! لم تحمل اذن قوسا لا فائدة منها كالريح ؟ لا تفخر امامى - بعد الآن - فى قصر أبى ، كما سبق لك وسط الآلهة الخالدين ، بأنك لن تلاقى بوسايدون فى عراك علنى »

هكذا قالت ، ولكن أبولو - الذى يصيب من بعيد - لم يحر جوابا . فاستشاطت زوجة زوس المبجلة حنقا ، وعيرت الملكة القواسة ، بكلمات السماء ، فقالت : « أيتها الوقحة ، لم تتلهفين الآن الى الوقوف ضدى ؟.. اننى لست بالعدو السهل ، الذى تستطيعين تحديه فى القوة ، بالرغم من القوس التى تحملينها ، ومن أن زوس جعلك كالاسد ضد النساء ، ومنحك القوة لتقتلى من تشائين منهن . وانه لخير لك أن تمارسي هـذا الحق فى

الجبال ، فتقتلى الحيوانات المفترسة والغزال البرى ، بدلا من مقاتلة من هم يبذونك قوة . وان راقك ، فلتتعلمي من الحرب ، حتى تعرفى تماما انني أقوى منك ، وان ليس لك أن تقارنى قوتك بقوتى ! »

قالت هذا ، وامسكت يدى غريمتها من الرسغين ، بيدها اليسرى ، وتناولت القوس من فوق كتفها ، وأعدتها بيمناها ، وضربتها – وهي تبتسم – بجانب أذنها ، فاستدارت فى هذا الاتجاه وذاك ، وسقطت السهام السريعة خارج الجعبة ، وولت الربة هاربة تبكى ، كما تطير اليمامة من امام البازى الى صخرة جوفاء – الى كهف – حتى لا تقع فى الاسر .. هكذا أطلقت أرتيميس العنان لقدميها ، باكية ، وتركت قوسها وسهامها حيث كانت . فتحدث الرسول – قاتل الارجوسيين – الى ليتو ، قائلا : « لست أنا الذى سيقاتلك بأية حال ، فما أشق تبادل الضربات بين زوجات زوس ، جامع السحب .. انك تباهين فى جرأة – وسط الآلهة الخالدين – بأنك هزمتنى بقوتك الفائقة »

وبعد أن قال هذا ، جمعت ليتو القوس والسهام التى سقطت فى الثرى هنا وهناك . ثم ابتعدت حاملة قوس ابنتها وسهامها ، بينما انطلقت العذراء الى **أوليمبوس** ، الى منزل زوس ذى العتبة البرونزية ، وجلست تنتحب فوق ركبتى أبيها ، وقد اهتز ثوبها المعطر من حولها . فجذبها والدها – ابن كرونوس – اليه ، وسألها وهو يبتسم فى رفق ، فقال : « بنيتى العزيزة ، من من أبناء السماء ، أساء معاملتك الآن ، وكأنك اقترفت اثما أمام الجميع ؟ » . فأجابته الصيادة – ذات التاج الجميل المدوى – بقولها : « ضربتنى زوجتك يا ابتاه .. هيرا البيضاء الساعدين ، التى نشب الصراع والنزاع بين الخالدين بسببها »

أخيل يقاتل أمام طروادة

• **هكذا** تحدث كل منهما الى الآخر ، ولكن « أبولو » دخل **طروادة** المقدسة ، اذ خشي على سور المدينة القوية البناء ، ان يعجل الدانيون بيوم القضاء ، فيهدموه فى ذلك اليوم . وذهب الآلهة الآخرون الى **أوليمبوس** ، بعضهم غاضب حانق ، والبعض الآخر متهلل . وجلسوا بجانب أبيهم ، ملك السحب القاتمة . **اما أخيل فكان لا يزال يعمل التقتيل فى الطرواديين وجيادهم القوية الحوافر . وكما تحترق مدينة ، ويتصاعد دخانها الى عنان السماء الفسيحة ، وقد غضب الآلهة فعملوا على زيادة اشتعالها ، وتكبيد الكثيرين التعب والاحزان .. كذلك هكذا سبب أخيل التعب والآلام للطرواديين !**

ووقف بريام الكهل فوق السور المقدس ، فأبصر أخيل الضارى ، والطرواديين يهزمون أمامه فى فوضى ثائرة . ولم تكن هناك أية معونة ، فهبط عن السور الى الارض وهويئن ، صائحا فى حراس الابواب الامجاد ، المصطفين بطول السور : « افتحوا الابواب بأيديكم ، على مصاريعها ، حتى يدخل القوم فى شغبهم الى المدينة . فيا للخزى ! ان أخيل قريب ، يدفعهم أمامه . وانى لارى أنه سيفتك بهم . اما اذا احتشدوا وراء السور ، وتمالكوا أنفاسهم فأغلقوا الابواب المزدوجة خلفهم باحكام ، اذ أخاف أن يقفز هذا المخرب الى داخل السور ! »

هكذا قال ، ففتحوا الابواب ونزعوا عنها المزاليج ، فلما فتحت على مصاريعها كتبت لهم النجاة . وانقض أبولو — فورا — أمام أخيل ، ليدفع الهلاك عن الطرواديين ، وهم يفرون الى المدينة ، وراء السور الشاهق ، وأجوافهم تحترق من شدة الظمأ ، وقد

اغبرت رؤوسهم من أتربة السهل .. واخيل يضيق عليهم الخناق برمحه ، فى ثورة هائجة ، اذ كان يتوق بعنف الى الفوز بالمجد .

عندئذ كاد أبناء الآخيين أن يستولوا على **طروادة** الشاهقة الابواب ، لولا أن « ابولو » حرض أجينور العظيم ، ابن أنتينور — ذلك المحارب الباسل قريع دهره — وبث الشجاعة فى قلبه ، كما وقف هو نفسه الى جانبه ، ليدفع عنه ايدى الموت الثقيلة ، فاستند الى شجرة بلوط ، مطوقا بغمامة كثيفة . فلما فطن أجينور الى افعال أخيل — مخرب المدن — وقف ، وأخذ يفكر فى قلبه ، فى عدة أمور شريرة ، وهو ينتظره . واذ كان مبلبل الخاطر ، راح يتحدث الى روحه العظيمة الشجاعة قائلا : « الويل لى ، لو هربت امام أخيل العتيد ، الى حيث يهرب الآخرون فى شغب ، فانه سيلحق بى ويقتلنى فى جبنى ! ولكن ، ماذا لو تركت هؤلاء يفرون امام أخيل بن بيليوس ، ثم أفر انا من السور الى مكان آخر ، صوب السهل الايلى ، حتى أصل الى وهاد وممرات **ايدا** ، فأختفى فى الادغال ؟ .. وعند المساء ، بعد أن أغتسل فى النهر ، وارطب نفسى من العرق ، أعود ثانية الى **طروادة** . ولكن ، لماذا يحدثنى قلبى هكذا ؟ **انه قد يرانى ، وأنا أستدير بعيدا عن المدينة صوب السهل ، فينطلق ورائى ، ويلحق بى لسرعة قدميه . وحينئذ لن أستطيع النجاة من الموت وسوء المصير ، لانه أقوى من سائر البشر . وماذا لو قابلته أمام المدينة ؟ فمن الممكن ، على ما اعتقد ، اختراق جسمه بالبرونز الحاد ، اذ ليس فيه الا حياة واحدة ، وما هو غير انسان ، ولكن زوس بن كرونوس ، يهبه المجد ! »**

وما أن قال هذا ، حتى استجمع نفسه لمواجهة هجوم أخيل ، وتلهف قلبه الجرىء الى خوض غمار الحرب والقتال وكما تخرج أنثى النمر من الدغل الكثيف لتواجه صيادا ، جريئة غير خائفة ،

لا تهرب عند سماع نباح الكلاب ، ورغم أن الصياد قد يسبقها فيضربها بطعنة أو برمية ، الا انها وهى مطعونة بالرمح لا تكف عن هيجانها الى أن تقبض عليه أو تقتل هى .. هكذا كان أجينور العظيم ، ابن أنتينور المجيد ، اذ رفض الهجوم حتى يعجم عود أخيل ، حاملا ترسه المتزن جيدا من كل جانب أمامه ، وسدد رمحه نحو أخيل ، وهو يصيح قائلا : « لعلك — كما أعتقد حقا — تأمل فى قرارة نفسك ، يا اخيل المجيد ، أن تخرب مدينة الطرواديين الامجاد فى هذا اليوم . يا لك من أحمق ! فما زالت هناك آلام جمة دونها . فنحن بداخلها جمع غفير من الرجال الشجعان ، نقف امام آبائنا الاعزاء وزوجاتنا وابنائنا ، لنحمى **طروادة** .. أما أنت فستلقى حتفك هنا ، رغم فروسيتك وجراتك البالغتين »

قال هذا ، وأطلق الرمح الحاد من يده الثقيلة ، فأصابه فوق قصبة رجله أسفل الركبة ، ولم يخطئه ، فجلجلت عاليا، الدرقة المصنوعة حديثا من القصدير ، ولكن البرونز ارتد عنه، ولم ينفذ الى جسمه ، لان هدية الرب أوقفته. واذ ذاك انقض ابن بيليوس — بدوره — على أجينور الشبيه بالاله . بيد أن ابولو لم يمكنه من كسب المجد ، بل اختطف أجينور بعيدا ، واخفاه فى غمامة كثيفة ، وبعث به بعيدا عن الحرب ليذهب فى طريقه سالما . على أن أبولو — بالدهاء والخداع — احتفظ بابن بيليوس بعيدا عن القوم ، اذ صور نفسه فى صورة اجينور — فى كل شىء — ووقف الرب الذى يصيب من بعيد ، فهجم أخيل عليه بسرعة ليطارده . وبينما هو يطارده عبر السهل الزاخر بالقمح ، انحرف به صوب نهر **سكاماندر** العميق الدوامات ، وهو لا يسبقه بغير مسافة قصيرة — فقد خدعه أبولو بأن أثار أمله فى أن يلحق به فى الجرى — بينما كانت بقية الطرواديين

تتدفق مهرعة على المدينة ــ فى تلك الاثناء ــ فى جموع تزاحمت فى سرور ، حتى امتلأت بهم المدينة ، ولم يجرؤ أحد منهم على البقاء خارج الاسوار ، ليعرف من قد نجا فى القتال ، ومن الذى لقى مصرعه . . وانما تدفقوا الى داخل المدينة بأسرع ما استطاعت أن تحملهم أقدامهم .

الإليـاذة هوميروس

ΙΛΙΑΣ



الأنشودة الثانية والعشرون

«.. وابتكر معاملة مزرية لهكتور العظيم ، فشق طنب كلتا قدميه من الخلف ـ من العقب الى مفصل الكعب ـ وربط فيها سيورا،ووصلها بعربته، تاركا الرأس على الارض،ثم انطلق بالعربة..»

كيف حارب اخيل ضد هكتور ، وقتله ، وحمل جثته الى السفن

هكتور أمام اسوار طروادة

• **تزاحم** الطرواديون داخل المدينة فى شغب - كأنهم الغزلان - وراحوا يجففون عرقهم ، ويشربون ليطفئوا ظمأهم ، وهم يستريحون فوق الشرفات الجميلة ، بينما يقترب الآخيون من السور حاملين التروس على أكتافهم . ولكن القدر المميت اوقع هكتور فى حبائله ، فبقى فى مكانه أمام **طروادة** والابواب السكايية. وتحدث أبولو الى ابن بيليوس ، قائلا : « لم تطاردنى يا ابن بيليوس ، بأقدام سريعة ، وما أنت سوى بشر ، بينما أنا اله خالد ؟ أفلم تعرف بعد اننى اله ، فأنت تعنف فى نضالك ؟ أفلست ترعى حدود جهادك ضد الطرواديين الذين أرهبتهم فاعتصموا الآن داخل المدينة ، فجئت الى هنا ؟.. انك لن تقتلنى بحال ما ، لاننى لست ممن كتب عليهم الموت ! »

فخاطبه أخيل السريع القدمين ، غاضبا ، بقوله : « لقد غررت بى ، أيها الرب الذى يضرب من بعيد ، يا أقسى جميع الآلهة ، اذ استدرجتنى الى هذا المكان بعيدا عن السور ، والا لتخبط رجال كثيرون على الارض ، ولما وصلوا الى **طروادة** قط . ولقد سلبتنى الان المجد العظيم ، وانقذتهم بسهولة بالغة ، لانك لا تخشى الانتقام فيما بعد . ولو كانت لى القوة لانتقمت لنفسى منك ! »

قال هذا وانطلق الى المدينة بقلب متغطرس ، يسرع كما يسرع بالعربة جواد مظفر ، يجتاز السهل بخفة بالغة .. بمثل هذه السرعة أعمل قدميه وركبتيه . وكان الشيخ بريام هو أول من رآه بعينيه ، وهو يهرع عبر السهل متألقا كأنه النجم الذى يشرق وقت الحصاد ، ساطعا بأشعته وسط جيش النجوم فى

دجى الليل ، ذلك النجم الذى يسميه البشر « كلب أوريون » . فهو أشد النجوم تألقا ، ولكنه مع ذلك نذير الشر ، اذ يجلب الحمى الشديدة على بنى الانسان البائسين . **بمثل هذه الصورة تألق البرونز فوق صدر أخيل وهو يعدو ، فانبعث من الشيخ أنين ، ولطم رأسه بيديه ، ورفعهما الى فوق ، وهو يصيح متوسلا الى ابنه العزيز الذى كان واقفا امام الابواب تواقا فى حماس الى مقاتلة أخيل .** فخاطبه بصوت يفيض حزنا ، قائلا :

« أى هكتور ، يا ولدى المحبوب .. أرجو ألا تقف وحدك أمام هذا الرجل ، دون معونة من أحد ، والا لقيت فى الحال نهايتك على يد ابن بيليوس ، اذا انه اقوى منك بمراحل . ما أقساه ! لو أن الآلهة تحبه بقدر حبى له ، لالتهمته الكلاب والنسور وهو ملقى على الارض دون أن يوارى الثرى ! فلقد حل الغم البالغ بروحى ، مذ أفقدنى أبنائى الكثيرين الشجعان ، فقتل بعضهم ، وباع البعض الآخر فى جزر نائية . وها أنذا الان لا أرى اثنين من أبنائى — هما ليكاوون وبولودوروس — بين الطرواديين المحتشدين داخل المدينة ، وهما اللذان أنجبتهما « لاوثوى » أميرة النساء ، فاذا كانا لا يزالان على قيد الحياة فى معسكر العدو ، افتديتهما بالبرونز والذهب ، المتوفرين فى خزائن بيتى ، فان أعطى « ألتيس » الشيخ — ذو الاسم المجيد منح ابنته الكثير من الهدايا ، عندما تزوجتها . أما اذا كانا فى عداد الاموات بمنزل هاديس ، فلسوف يملأ الكمد قلبى ، وقلب أمهما ، وقلوب من انجبناهم .. أما على الباقين ، فلسوف يكون حزننا أقل ، اذا لم يقدر لك — أنت الاخر — أن تموت مقتولا بيد أخيل . هيا ، أدخل وراء الاسوار يا ولدى ، حتى يمكنك انقاذ الطرواديين والطرواديات ، ولا تمنح المجد العظيم لابن بيليوس ، وتحرم نفسك من الحياة الغالية .. كذلك يجب أن تشفق على ، أنا المتعوس ، الذى لا سند له ، فاننى ما زلت اشعر وأحس !.. أنا المسكين الذى سيقتله الاب ، ابن كرونوس ، بمصير مفجع

على عتبة الشيخوخة ، بعد أن أكون قد شاهدت محنا عديدة ، ورأيت أبنائي يهلكون وبناتي يؤخذن سبايا ، ومخادعي تقتحم وتنهب ، وأطفالي تلقى على الارض وزوجات ابنائي يجـرهن الآخيون . ثم يحين دوري في النهاية ، فتنهش الكلاب جسدي على اعتاب بيتي ، بعد أن أكون قد فقدت حياتي بطعنة أو رمية من البرونز الحاد .. الكلاب التي غذيتها على مائدتي في قصري لتحرس بابي ، والتي ستعود الى رقادها ـ امام الباب ـ بعـد أن تلعق دمائي في جنونها !.. **لا غبار على الشاب ـ اذا قتل فى المعركة ـ ان يرقد ممزقا بالبرونز الحاد ، وكل شيء فيه يبدو نبيلا رغم موته . بيد ان أقسى ما يحل بالبشر ، أن تعبث الكلاب بالرأس الاشيب واللحية البيضاء ، وأن يتعرى الشيخ المسـن وهو قتيل ! »**

هكذا تكلم الرجل المسن ، وجذب بيديه شعره الابيض فنزعه عن رأسه ، ولكنه لم يستطع أن يثني هكتور عن عزمه .. وبكت أمه بدورها ، وذرفت الدموع ، وفكت ثنايا ثوبها باحدى يديها ، وأخرجت ثديها بيدها الاخرى ، وخاطبته بكلمـات مجنحة ، والدموع تنحدر من مقلتيها : « أي هكتور ، ولدي .. ارع حرمة ثديي هذا ، وأشفق علي ، اذا كان هذا الثدي قد خفف عنك يوما آلامك . فكر في هذا ، يا ولدي العزيز ، وقاتل عدوك من وراء الاسوار ، ولا تخرج لمواجهته . انه قاس ! ولو انه قتلك ، فلن يقدر لي أن أسجيك على فراش ، لابكيك مع زوجتك الكريمة ، يا بني الحبيب ، ولكن ستنهشك الكلاب السريعة ، بعيدا عنا ، بجانب سفن الآخيين »

هكذا تكلم الاثنان باكيين ، وتوسلا الى ابنهما العزيز ، ولكنهما لم يستطيعا التأثير على قلبه . بل أنه انتظر « أخيل » وهـو يقترب في جبروته . وكما ينتظر ثعبان الجبل رجلا عند جحره ، وقد اغتذى بالاعشـاب الشريرة ، وتملكه الغضب العنيف ،

فينظر اليه بشراسة ، وقد التف حول نفسه داخل جحره .. هكذا أيضا ، كان هكتور فى شجاعته الجامحة ، فلم يتقهقر ، وقد أسند ترسه المتألق الى الجدار البارز . واذ كان تأثره بالغا ، فقد خاطب نفسه المتعالية بقوله : « واها لى !.. لو أننى دخلت وراء الابواب والاسوار لكان بولوداماس أول من ينحى على باللائمة ، اذ انه نصحنى بأن أقود الطرواديين الى المدينة ابان هذه الليلة القاتلة - بمجرد أن ينهض أخيل العظيم - فلم أطع قوله ، وكانت طاعته أجدى . فى الحق . وها أنذا - وقد دفعت الجيش الى الهلاك بحماقتى العمياء - استحيى من الطرواديين ونسائهم ذوات الثياب الجرارة ، خشية أن يقول رجل خسيس : « لقد جلب هكتور الخراب على الجيش ، اعتدادا بقوته ! » .. هذا ما سوف يقولونه . اما أنا شخصيا ، فالافضل لى أن الاقى أخيل وجها لوجه وأقاتله ، وبذلك أعود الى الوطن أو أموت كريما أمام المدينة .. ثم ، **ماذا تكون العاقبة او اننى تركت ترسى المرصع ، وخوذتى الثقيلة ، وأسندت رمحى الى الحائط ، ثم ذهبت بنفسى الى أخيل - وحيد عصره - ووعدته برد هيلين وجميع الكنوز التى احضرها ألكساندر الى طروادة فى السفن الجوفاء ، والتى كانت سبب الحرب - فنسلمها الى أبناء أتريوس ليعودوا بها ، وفوق ذلك فلنقتسم مع الآخيين مناصفة ، ما تحويه المدينة ، وآخذ العهد على شيوخ الطرواديين بألا يخفوا شيئا ، وان يقسموا كل شىء - من كنوز المدينة الجميلة - الى نصفين ؟!** .. ولكن ، لم يحدثنى قلبى بهذا ؟ فلأبتعدن عنه ولا أذهب اليه ، والا فانه لن يرحمنى ، ولن يحترمنى بأية حال ، بل انه سيقتلنى وأنا أعزل تماما من السلاح - كما لو كنت امرأة - اذ خلعت عنى عدتى الحربية . لن أستطيع الآن أن اتقرب اليه بجانب شجرة بلوط أو صخرة ، كما يتقرب الشاب الى عذراء ! ومن الخير أن نسرع بالالتحام فى الصراع ، حتى نعرف لمن منا سيمنح الاوليمبى المجد ! »

اخيل يطارد هكتور

• **هكذا** كان هكتور يفكر وهو ينتظر . غير ان اخيل ــ نظير اينواليوس ، المحارب ذو الخوذة المتموجة ــ اقترب منه ، ملوحا من فوق كتفه اليمنى برمحه الدردارى البيلى الفظيع ، والبرونز يبرق حوله كأنه لهب النار المستعرة ، أو وهج الشمس عند الشروق . **فارتعد هكتور لمرآه ، ولم يجرؤ بعد ذلك على البقاء فى مكانه ، فترك الابواب وراح يجرى مذعورا . ولكن ابن بيليوس انطلق خلفه ، معتمدا على سرعة قدميه .** وكما ينقض البازى ــ أسرع الكائنات المجنحة ــ فى الجبال بخفة وراء يمامة مضطربة ، فتفر أمامه وهو يجد فى مطاردتها بصيحة حادة ، مقتربا منها ، ممنيا قلبه بالقبض عليها .. هكذا كان شأن أخيل ، اذ انطلق مسرعا وراء هكتور ، أسفل سور الطرواديين . وأخذا يعدوان بعد مكان المراقبة ، وشجرة التين البرية التى تهزها الرياح ، واستمرا فى عدوهما بطول طريق العربات ، حتى بلغا النبعين المنسابين بهدوء ، حيث ينبع الجدولان اللذان يغذيان **سكاماندر** الكثير الدوامات . وتجرى فى أحدهما مياه دافئة ، يتصاعد منها البخار كأنه دخان من نار مشتعلة ، بينما تجرى فى الآخر ــ صيفا ــ مياه باردة كالبرد أو الثلج أو الجليد المتكون من المياه . وبالقرب من هذين الجدولين ، أحواض فسيحة للغسيل ، جميلة الصنع من الحجر ، اعتادت زوجات وبنات الطرواديين الفاتنات أن يغسلن ملابسهن المتألقة فيها ، وقت السلام .. قبل مجىء ابناء الآخيين .

راح الاثنان يعدوان ــ أحدهما خلف الآخر ــ هذا يفر ، وذاك يطارده .. فى المقدمة رجل باسل ينشد الفرار ، وفى المؤخرة رجل يفوقه بسالة ، يلاحقه بسرعة فائقة .. **وماكانا يتصارعان من أجل حيوان للذبيحة ، ولا من أجل جلد ثور ــ من النعم**

التى يفوز بها البشر لقاء سرعة أقدامهم – وانما كانا يعدوان من أجل حياة هكتور – مستأنس الخيل – كما تجرى الجياد القوية الحوافر ، فى سباق فى طريق كثيرة المنعرجات ، متطلعة الى جائزة قيمة – سواء كانت ركيزة أو امرأة – تخليدا لذكرى محارب مات .. ثلاث مرات دارا بسرعة حول مدينة بريام ، وجميع الآلهة تنظر اليهما . وكان ابو البشر والآلهة ، هو أول من تكلم وسط هؤلاء فقال : « انظروا الآن . ان عينى تبصران رجلا جد حبيب ، مطاردا حول الاسوار ، وان قلبى لحزين على هكتور ، الذى أحرق لى العديد من أفخاذ الثيران ، فوق ذؤابات **أيدا** الكثيرة الممرات ، وأحيانا فوق ذؤابة القلعة .. ان أخيل العظيم يطارده الآن بقدمين سريعتين حول مدينة بريام . فكروا مليا أيها الآلهة ، وتشاوروا فيما بينكم : أننقذه من الموت ، ام نترك أخيل بن بيليوس يقتله ، رغم كونه باسلا شهما ؟ »

فأجابته الربة أثينا البراقة العينين : « أبتاه ، يا سيد البرق اللامع والسحب القاتمة .. ما هذا الذى نطقت به ؟ أتعتزم أن تخلص رجلا من البشر – كتب له الموت من زمن طويل – من براثن الموت المؤلم ؟ افعل ما يحلو لك ، ولكن ثق بأننا ، نحن الآلهة الآخرين جميعا ، لا نوافق على هذا ! » .. فرد عليها زوس – جامع السحب – بقوله : **« انشرحى صدرا يا بنيتى العزيزة ، يا تريتو جينيا ، فلست أتكلم بنية صادقة من قلبى ، ولكنى أريد أن أكون رحيما به . افعلى ما يروقك ، ولا تكبحى جماح نفسك بعد ذلك » ..** وبهذا القول حث أثينا التى كانت لا تزال متحمسة ، فهبطت منقضة من فوق ذؤبات **أوليمبوس .**

راح أخيل السريع يضيق الخناق بشدة على هكتور ، فى مطاردة لا تكف . وكما يحدث عندما يثير كلب فى الجبال ظبيا من مخبئه ، ويطارده بين الوهاد والممرات ، ثم يمضى مقتفيا اثره – رغم أن الظبى قد ينجو الى حين ، مختفيا تحت دغل –

حتى يعثر عليه ، هكذا أيضا لم ينجح هكتور من ابن بيليوس السريع القدمين . فكلما حاول الوصول الى الابواب الدردانية ليحتمي بالاسوار المكينة البناء، رغم ان أصدقاءه كانوا يساعدونه من فوق الاسوار بمزاريقهم ، كلما سبقه أخيل واعاده ثانية الى السهل . فظل يعدو بجوار اسوار المدينة . وكما يحدث فى الحلم ، اذ يفشل المرء فى مطاردة شخص يجرى أمامه ، فلا يتمكن الاول من الهرب ، ولا يفلح الثانى فى المطاردة .. هكذا أيضا لم ينجح أخيل فى اللحاق بهكتور فى سرعته ، ولا هكتور فى الهرب !.. وكيف كان فى وسع هكتور ان ينجو من أقدار الموت ؟ لقد اقترب منه أبولو — ليثير شجاعته ، ويزيد من سرعة ساقيه — فأشار أخيل العظيم الى قومه بايماءة من رأسه ، ولكنه لم يرض أن يضربوا هكتور بالرماح الحادة ، خشية أن يصيبه أحدهم فيفوز دونه بالمجد ، ويصل هو بعد فوات الاوان.

فلما بلغا الجدولين للمرة الرابعة ، رفع الاب كفتى الميزان الذهبيتين عاليا ، ووضع فيهما مصيرين للموت المفجع ، أحدهما لاخيل ، والثانى لهكتور مستأنس الجياد ، ثم امسك الميزان من وسطه ورفعه ، فهبط يوم موت هكتور ورحل الى هاديس .

وتركه أبولو ، فذهبت الربة أثينا — ذات العينين النجلاوين — الى ابن بيليوس ، واقتربت منه ، وخاطبته بكلمات مجنحة قائلة : « أى أخيل العظيم ، يا حبيب زوس ، ان الامل ليحدونى فى أن كلينا سيحمل الى الآخيين مجدا عظيما — الى السفن — بعد أن نقتل هكتور ، الذى لا ينى عن الحرب .. فلم يعد فى امكانه الآن أن يفلت منا ، بل ولم يعد فى وسع ابولو — الذى يضرب من بعيد — انقاذه مهما كد أو تذلل للأب زوس ، حامل الترس . قف الآن ، واسترد أنفاسك ، ريثما أذهب بنفسى واحضر لك المحارب ليناز لك وجها لوجه ! »

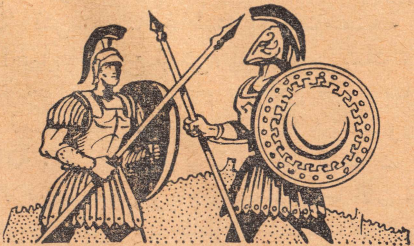
هكذا قالت أثينا ، فأطاع اخيل ، وقد اغتبط فى نفسه . ووقف متكئا على رمحه الدردارى ذى السن البرونزية. فتركته،

وانطلقت الى هكتور العظيم ، متخذة هيئة دايفوبوس ، شكلا وصوتا . ولما اقتربت منه خاطبته بكلمات مجنحة قائلة : « أخى العزيز ، ان أخيل السريع ليسىء اليك بغير شك ، وهو يطاردك بخطى سريعة حول مدينة بريام . ولكن هيا ، بنا نقف هنا ، وننتظره كى نصد هجومه » . فقال لها هكتور العظيم ، ذو الخوذة البراقة : « أى دايفوبوس ، لقد كنت — فيما مضى — أعز اخوتى الذين انجبهم بريام وهيكابى . اما الآن ، فأعتقد اننى سأمجدك أكثر فى قلبى ، اذ خاطرت بنفسك من أجلى ، وخرجت من وراء السور ، بينما ينتظر الآخرون داخله » .

فقالت الربة أثينا ، البراقة العينين : « أخى العزيز ، ان ابى ، وأمى الجليلة ، وأصدقائى ، توسلوا الى كثيرا ، وسألونى — كل بدوره — أن أبقى هناك ، اذ كانوا يرتجفون جميعا من أخيل . ولكن قلبى كان مثقلا فى صدرى بالغم المرير . والآن هيا ننقض عليه فورا ونقاتله ، ولا تدخر الرماح بحال ما ، لنعلم ما اذا كان سيقتل كلينا ويحمل غنائمنا الدموية الى السفن الجوفاء ، أم سيهلك هو برماحنا »

مصرع هكتور

• **دفعت** اثينا هكتور الى الامام بمثل هذه الالفاظ وبالخداع . فلما اقتربا ، خاطب هكتور العظيم — ذو الخوذة البراقة — أخيل بقوله : « لن أفر منك بعد الآن يا ابن بيليوس ، كما هربت منك ثلاث مرات حول مدينة بريام العظيمة . فاننى لم أكن أجرؤ من قبل على مواجهة هجمتك ، أما الآن فان روحى تأمرنى بالوقوف لاواجهك سواء قتلتنى أم قتلتك لنستدع الآلهة ليكونوا خير شهود وحراس ، ولنتعاهد : أن لا امثل بجسمك أو أفعل بك ما يشين ، لو منحنى زوس القوة لابقى بعدك ، وأسلبك حياتك ، وانما أرد جسدك الفانى الى الآخيين بعد أن



انزع عنك حلتك الحربية ، يا أخيل .. وكذلك تفعل انت الآخر!»
عندئذ قطب أخيل - السريع القدمين - حاجبيه غاضبا وقال : « أى هكتور ، لا تحدثنى أيها الاحمق عن المواثيق ، فكما لا توجد عهود اخلاص بين الاسود والبشر ، وكما لا يوجد سلام بين الذئاب والحملان ، وانما يكن كل منهما الشر للآخر ، هكذا أيضا يستحيل أن نكون - أنا وانت - صديقين ، ولن نرتبط بعهود حتى يسقط احدنا ، ويشبع بدمه نهم اريس ، ذلك المحارب القوى ذو الترس المصنوع من جلد الحيوان . فكر مليا فى كل لون من الشجاعة ، فقد بات عليك أن تبرهن على أنك رماح ومحارب جسور . **وليس أمامك بعد الآن مجال للهرب ، بل ستجند لك - فى الحال - بالاس أثينا برمحى . عليك الآن أن تدفع الثمن كاملا ، ثمن أحزانى على أصدقائى الذين قتلتهم وانت هائج برمحك ! »**

قال هذا ، ووزن رمحه البعيد الظل ، ورماه . غير ان هكتور المجيد ، تتبعه بنظره فتحاشاه ، فمرق الرمح البرونزى من فوقه ، وانغرس فى الارض . ولكن بالاس أثينا رفعته وأعطته ثانية لاخيل ، دون أن يراها هكتور ، راعى الجيش . وتحدث هكتور الى ابن بيليوس - أوحد زمانه - قائلا : « لقد أخطأتنى ، ويبدو لى ، يا أخيل - الشبيه بالآلهة - أنك لم تعرف مصيرى من زوس حتى الآن ، ولا فكرت فيه . فما أنت الا ثرثار ومكار

خبيث ، تريد أن تخوفنى منك حتى أنسى قوتى وشجاعتى . كلا ، لن أفر منك فتغرس رمحك فى ظهرى ، بل عليك أن تغرسه فى صدرى وانا أهجم عليك ، اذا منحك ذلك اله ما . والآن تجنب — بدورك — رمحى البرونزى ، وليتك تتلقاه كله فى جسمك !.. فبموتك تصبح الحرب أخف وطأة على الطرواديين ، اذ أنك اكبر مجلبة لهلاكهم »

قال هذا ، ووزن رمحه البعيد الظل وقذفه ، فاصطدم بترس ابن بيليوس دون ان يخطئه . ولكن الرمح ارتد بعيدا عن الترس . واغتاظ هكتور من انطلاق الرمح السريع من يده عبثا ، فوقف حائرا ، اذ لم يكن معه رمح درداري آخر . **ثم صاح عاليا ، ينادى دايفوبوس ذا الترس الابيض ، ويطلب منه رمحا طويلا . ولكن هذا لم يكن قريبا منه ! وعرف هكتور كل شيء فى قرارة نفسه .** فقال : « سحقا ، لقد نادتنى الآلهة حقا الى حتفى ، اذ ظننت المحارب دايفوبوس بقربى ، ولكنه — للأسف — خلف السور ، وقد خدعتنى أثينا . لا شك الآن أن الموت الشرير قريب منى ، ولم يعد بعيدا ، فلا مفر منه . هكذا أعتقد ان هذه — من قديم الزمان — مسرة زوس وابنه القواسى — الذى يضرب من بعيد — وأولئك الذين ساعدونى من قبل بنفوس راضية . الآن قد حل حتفى ، ولكننى لن أموت بغير صراع ، ولا مجد ، ولا دون نضال جليل تتناقله الاجيال القادمة » .

وما أن قال هذا ، حتى استل سيفه البتار ، الذى كان معلقا الى جنبه .. سيفا قويا عظيما . وبعد أن استجمع قواه ، انقض كالصقر العالى التحليق ، اذ يهبط خلال السحب القاتمة الى السهل ليقبض على حمل غض ، او أرنب برية قابعة .. هكذا أيضا انقض هكتور ، شاهرا سيفه الحاد . فهجم عليه أخيل ، بقلب يفيض حنقا وشراسة ، واضعا أمام صدره ترسه الجميل الفاخر الترصيع . ورمى بخوذته ذات القرون الاربعة ،

فتموجت حولها الرياش الذهبية التى وضعها هيفايستوس ، بغزارة حول الخصلة . وكما يتقدم - وسط الكواكب فى ظلمة الليل - نجم المساء ، المشرق فى كبد السماء ، كأجمل النجوم طرا ، كذلك أومض بريق الرمح القاطع ، الذى وزنه أخيـل فى يمناه وهو يضمر الشر لهكتور العظيم ، ويمعن النظر الى لحمه الجميل ، ليبحث عن أكثر المواضع عريا فيسدد اليه ضربته . كان كل جسمه مغطى بالحلة الحـربية البرونزية ، تلك الحلة الحربية العظيمة التى استولى عليها عندما قتـل باتروكلوس العتيد . **غير أنه كانت هناك فتحة ، حيث تفصل عظمة الترقوة بين العنق والكتفين .. موضع البلعوم ، الذى يتسرب الموت منه الى الجسم بأقصى سرعة . هناك غيب أخيل العظيم رمحـه ، وهو يهجم عليه . فنفذ طرف الرمح خلال العنق الرقيق . ولكن الرمح الدردارى الثقيل لم يخترق القصبة الهوائية ، فاستطاع هكتور الرد على عدوه ، قبل أن يتردى فى الثـرى .** اذ تهلل فوقه أخيل العظيم قائلا : « أى هكتور ، أظنك حسبت - وانت تقتل باتروكلوس - انك ستكون بمأمن . ولم تفكر فى ، أيها الاحمق ، اذ كنت بعيدا عنه . ولكن ثمة منتقما ، بالغ البأس ، كان قد تخلف عند السفن الجوفاء .. ذلك هــو أنا ، الذى أرخيت ساقيك . ولســوف تمزقك الكلاب والطيور بصورة بشعة . اما هو فسيدفنه الآخيون ! »

عندئذ تحدث اليه هكتور ذو الخوذة البراقة ، وقد خارت قواه : « أتوسل اليك بحياتك وساقيك ووالديك ، ألا تجعـل الكلاب تنهشنى بجانب سفن الآخيين . خـذ هدايا البرونز والذهب التى سيعطيكها أبى وأمى الجليلة ، لقاء أن ترد جسدى ثانية الى وطنى ، حتى يعطينى الطرواديون وزوجاتهم جزائى المناسب من النار فى موتى » . فنظر اليه أخيل السريع القدمين نظرة حقد - من تحت حاجبيه - وقال : « لا تتوسل الى أيها الكلب ، بالساقين والوالدين . ليت الغضب والثورة يسولان

لى ان أقطع لحمك وآكله نيئا ، جزاء ما اقترفت يداك . لن يوجد من بين الاحياء من يمكنه أن يدفع الكلاب عن رأسك .. كلا ، ولو افتدوك بعشرة أضعاف ، أو عشرين ضعفا ، ووعدوا بالمزيد .. كلا ، ولو طلب بريام بن داردانوس ، أن يدفع قدر وزنك ذهبا ، فلن تسجيك أمك الجليلة على سرير وتبكيك ، أنت ابنها الذى انجبته بنفسها .. وانما ستنهشك الكلاب والطيور عن آخرك ! »

فتحدث اليه هكتور ـ ذو الخوذة البراقة ـ وهو يسلم الروح قائلا : « حقا اننى لم أعرفك جيدا ، والا لتنبأت بما سيكون . ما كان لى أن أحمل عليك ، فما القلب فى صدرك الا من الحديد . فكر الآن مليا ، خشية أن أجلب عليك نقمة غضب الآلهة ، يوم يقتلك باريس وأبولو ـ عند الابواب السكايية ـ رغم كل شجاعتك »

وبينما كان يقول هذا ، غشيته نهاية الموت ، واسرعت روحه بالخروج من أطرافه ، ورحلت الى هاديس تبكى حظها ، تاركة الرجولة والشباب . وفى موته خاطبه أخيل العظيم قائلا : « ارقد ميتا ، أما حتفى فسوف أرضى به ، عندما ينتوى زوس وغيره من الآلهة الخالدين أن ينفذوه »

قال هذا ، وجذب من الجثة رمحه البرونزى ، فألقى به جانبا ، وشرع يجرد الكتفين من الحلة الحربية الملطخة بالدماء . وهرع أبناء الآخيين الآخرون حوله ، يتطلعون الى حجم هكتور وجماله الرائع . ولم يقترب منه أحد الا واحدث به جرحا . وهكذا كان الواحد يقول ، وهو ينظر الى جاره : « انظر ياهذا ، ان هكتور أيسر شأنا الآن ، مما كان حين أحرق السفن بالنار المستعرة » . هكذا كان المرء منهم يقول ، وهو يقترب من الجثة ويحدث بها جرحا . وما ان فرغ أخيل العظيم ـ السريع

القدمين - من سلبه ، حتى انتصب واقفا بين الآخيين ، يخاطبهم بكلمات مجنحة قائلا : « أى أصدقائى ، قادة وحكام الارجوسيين . الآن وقد منحتنا الآلهة أن نقتل هذا الرجل ، الذى الحق بنا من الشر أكثر مما أحدثه بقية الجيش كله ، هلموا بنا الى محاولة بالاسلحة حول المدينة لنستطلع الاغراض التى ينتويها الطرواديون : هل سيتركون المدينة الشامخة ، بعد أن سقط هذا الرجل ، أو انهم يزمعون الصمود ، بالرغم من أن هكتور لم يعد له وجود . ولكن ، لماذا يحدثنى قلبى هكذا ؟ . ان بجانب السفن ميتا ، لم يبكه أحد ، ولم يدفن بعد ، الا وهو باتروكلوس ، الذى لن أنساه ما حييت ، وما ظلت ساقاى سريعتين . كلا ، ولو نسى الموتى - فى بيت هاديس - موتاهم ، فلسوف أظل أذكر صديقى العزيز ، حتى هناك ! هيا بنا ، نرتل انشودة الظفر ، عائدين الى السفن الجوفاء ، ولنأخذ معنا عدونا . لقد كسبنا لانفسنا مجدا عظيما ، بقتل هكتور المجيد ، الذى كان الطرواديون يصلون له فى جميع أنحاء مدينتهم ، كما لو كانوا يصلون الى اله ! »

قال هذا ، وابتكر معاملة مزرية لهكتور العظيم، فشق طنب كلتا قدميه من الخلف - من العقب الى مفصل الكعب - وربط فيها سيورا من جلود الثيران ، ووصلها بعربته ، تاركا الرأس متدليا على الارض . ثم صعد الى عربته ، ووضع فيها الحلة الحربية المجيدة ، ولمس الجوادين بالسوط - ايذانا ببدء المسير - فلم يقف فى طريق الجوادين شىء ، وقد انطلقا يعدوان قدما . فثار الغبار حول هكتور والعربة تجره فوق الثرى ، وقد تناثر شعره القاتم حوله من كل جانب ، وتمرغ رأسه الجميل فى التراب والاقذار ، اذ سلمه زوس الى أعدائه ، ليهينوا وطنه فى شخصه .

أحـــزان طروادة

• **هكذا** تلوث رأسه بالثرى، فمزقت أمه شعرها ،وقذفت بخمارها البراق ، واطلقت صيحة بالغة الشـدة ، اذ أبصرت ابنها على تلك الحال . وأخذ أبوه يئن حزينا ، ومن حولهمـا انخرط القوم فى البكاء والانين ، فى جميع أنحاء المدينة ، كمـا لو كانت **طـروادة** بأسرها تحترق بالنار . وهـرع القوم الى الشيخ بريام يمنعونه وهو يحاول ثائرا أن يخرج من الابواب الداردانية . وتوسل الى الجميع ، وهو يحبو وسط الاقذار ، وينادى كل رجل باسمه ، ويقول : « يا أصدقائى ، أمسكونى، ولا تدعونى أخرج من المدينة بمفردى . واسرعوا الى سـفن الآخيين ، حتى أتوسل الى ذلك الرجل العديم الرحمة ــ ذلك المؤذى ــ عسى أن يخجل أمام أقرانه، ويشفق على شيخوختى . فان له أبا مثلى ، وهو بيليوس الذى أنجبه ورباه ليكون مصدر هلاك للطرواديين . ولكنه آثرنى دون جميع الاخرين بأكبـر قسط من الخراب ، اذ قتل عددا كبيرا من ابنائى فى ريعـان شبابهم، فلم أبك أحدهم بكثرة كما بكيت هذا الابن ــ هكتور ــ الذى سوف ينزلنى الحزن الممض عليه الى بيت هاديس ! .. ليته مات بين ساعدى، اذن لبكيت أنا وأمه التى أنجبته ،ماشاء لنا أن نبكى ! »

قال هذا وهو ينتحب ، فبكى معـه الآخـرون . وقامت « هيكاتى » بين نساء طروادة ، ترأس العويل المفجع قائلة : « اى بنى ، وافجعتاه ! كيف أحيا فى هذا العذاب الاليم ، بعد موتك ؟ يا من كنت افخر بك ليل نهار فى المدينة ، وكنت ذخرا لجميع أهل **طروادة** جميعا ــ رجالا ونساء ــ فكانوا يحيونك دائما كاله ، اذ كنت لهم مجدا بالغ العظمة أثناء حياتك ، أمـا الآن فقد أصابك الموت والقدر ! »

قالت هذا وهى تبكى ، فى حين أن زوجة هكتور لم تعلم شيئا مما جرى ، لانه ما من رسول صادق ذهب ليخبرها بأن زوجها بقى خارج الابواب

وكانت تنسج قماشا فى أقصى موضع من البيت الشامخ ، نسيجا ارجوانيا من طبقتين، طرزت عليه أزهار مختلفة الالوان. **ونادت خادماتها الجميلات الغدائر ، ليضعن فوق النار ركيزة ضخمة ، كى تعد حماما ساخنا لهكتور متى عاد من المعركة . ولم تكن لتتصور أن أخيل وأثينا قد قتلاه . غير أنها سمعت الصراخ والانين عبر الحائط ، فارتخت أطرافها ، وسقط المغزل من يدها الى الارض.** فعادت تقول لخادماتها الجميلات الجدائل : « لتأت منكن اثنتان وتتبعانى ، لارى ماذا تم من أمور . فقد سمعت صوت زوج أمى المبجلة ، فخفق قلبى فى صدرى نذيرا بنكبتى ، وان ساقى لتخزانى . حقا ، ان ثمة شرا قريبا جدا من ابناء بريام . لتكن الكلمة بعيدة عن أذنى ، فشد ما أخاف أن يكون أخيل المجيد قد عزل هكتور الشجاع وحده عن المدينة ، وساقه الى السهل ، فجعله يكف الآن عن الشجاعة المخربة التى كانت تتملكه .. اذ انه لم يكن يبقى بين جموع الرجال ، وانما كان يهجم دائما الى الامام بعيدا ، غير مستسلم لاحد فى قوته ! »

وما ان قالت هذا ، حتى هرعت كالمخبولة عبر القاعة بقلب خافق ، فتبعتها خادمتاها . حتى اذا بلغن السور وحشد الرجال ، توقفت وأطلت من فوق السور ، **فأبصرته والعربة تجره أمام المدينة . وكان الجوادان السريعان يجرانه ـ بلا رحمة ـ ضعف سفن الآخيين الجوفاء . فهبطت على عينيها ظلمة الليل وطوقتها ، فسقطت مغشيا عليها الى الخلف وهى تشهق ..** ودفعت عن رأسها غطاءه البراق ، عصابة الجبين والقلنسوة ، والمنديل والشريط المطرز ، والخمار الذى أهدتها

أباه أفروديتى الذهبية يوم زفافها الى هكتور ـ ذى الخوذة المتألقة ـ تاركة منزل أبيها ايتيون ، بعد أن جهزها بهدايا عرس لا عداد لها . **فاجتمعت حولها شقيقات زوجها وزوجات اخوته وحملنها بينهن ، وكأنما استولت عليها غشية الموت** . فلما أفاقت ، وعادت روحها الى صدرها ، رفعت صوتها بالعويل ، وتكلمت وسط نساء طروادة قائلة : « أى هكتور ، وافجيعتاه! أعتقد أن كلا منا قد ولد لمصير واحد ، أنت فى **طروادة** ـ فى بيت بريام ـ وانا فى **طيبة** ، أسفل **بلاكوس** ذات الاحراش ، فى بيت أيتيون ، الذى ربانى منذ طفولتى . انه أب منحوس لطفلة منكودة الحظ ! ليت أبى لم ينجبنى قط ! .. ها انتذا ترحل الى منزل هاديس ـ تحت أعماق الارض ـ وتتركنى فى غم مرير ، أرملة فى ساحاتك ، وما زال ولدى مجرد طفل ـ ابنا لوالدين تعيسين ، انا وانت ! .. ولن تكون ذا نفع له ياهكتور ، بعد أن مت ، ولا هو بنافع لك . فرغم نجاته من حرب الآخيين المؤلمة ، الا أن نصيبه سيكون الشقاء والحزن فيما بعد ، اذ سيسلبه الآخرون اراضيه . **ان يوم اليتم يقطع الطفل عن أصدقاء شبابه ، ويجعله دائما مطأطىء الرأس ، مبلل الخدين بالدموع . واذا ما احتاج التجأ الى أصدقاء أبيه ، يجذب هذا من معطفه ، وذاك من عباءته ، فاذا ماتحركت الشفقة فى نفس أحدهم نحوه ، رفع كأسه مكتفيا بأن يرطب شفتيه ، دون أن يبلل حلقه ! .. وقد يطرده طفل لم يتيتم من الوليمة بصفعة من يده** ، ويعيره قائلا : « اغرب عن وجهى ! فلا أب لك يجلس معنا فى مأدبتنا ! » . وعندئذ يعود ثانية الى امه الارملة دامع العين . . بالاستواناكس الذى كان فيما مضى لايأكل فوق ركبتى أبيه غير النخاع ودهن الضأن الفاخر ، فاذا غلبه النعاس ، وكف عن لعب طفولته ، نام بين ساعدى مربيته فى فراشه الوثير ، وقد شبع من أطايب الاشياء . أما الآن ، فكم من محن سيقاسيها ، اذ فقد أباه ! .. بالاستواناكس ، الذى أطلق عليه

الطرواديون هذا الاسم لانك وحدك - يا هكتور - قد أنقذت أسوارهم الشامخة . أما الآن فستنهشك الديدان الجائعة بجانب السفن المدببة ، بعيداً عن والديك ، بعد أن تنال منك الكلاب كفايتها ، جثة عارية . وتبقى فى قصرك ثيابك الجميلة النسج ، التى أبدعت صنعها أيدى السيدات . ولكنى سأحرق جميع هذه بالنار المتأججة .. النار التى لن تكون نافعة لك ، لانك لن تحترق فيها ، ولكنها ستكون تمجيداً لك من رجال ونساء **طروادة** »

هكذا كانت تبكى ، فشاركتها النساء نحيبها .



«.. وكان أخيل السريع القدمين ممسكا – طيلة الليل – بكأس ذهبية ذات مقبضين ، يغترف بها الخمر من طاس من الذهب ، ويسكبها فوق الارض حتى بللها ، وهو ينادى روح باتروكلوس المسكين ..»

كيف شيعت جنازة باتروكلوس ، وطقوس الجنازة

أحـــزان أخيل

• **هكذا** راح القوم ينتحبون فى سائر أنحاء المدينة . أما الآخيون ، فما ان بلغوا السفن والهيليسبونت ، حتى تفرقوا كل رجل الى سفينته . ولكن أخيل لم يأمر المورميدون بالتفرق ، بل تكلم وسط رفاقه هؤلاء - المحبين للقتال - قائلا : « أيها المورميدون ذوو الجياد السريعة ، يا أصدقائى المخلصين ، لا تسرحوا الجياد القوية الحوافر من عرباتها ، بل لنقترب بالجياد والعربات لنبكى باتروكلوس ، فهذا واجب الموتى . وبعد أن ننتهى من البكاء المبرح ، نرفع النير عن جيادنا ونتناول العشاء هنا سويا »

وما ان قال هذا ، حتى رفعوا أصواتهم بالعويل جميعا ، فى آن واحد ، وأخيل فى مقدمتهم . وداروا بالجياد الجميلة الاعراف ثلاث مرات حول الجثة ، وهم يبكون . وأثارت ثيتيس رغبتهم فى العويل . فابتلت الرمال وحلل المقاتلين الحربية بالدموع ، اذ كان السيد الذى حزنوا من أجله عظيما مرهوبا . وفى وسطهم وقف ابن بيليوس يتزعمهم فى النحيب الشديد ، واضعا يديه - قاتلتى الرجال - فوق صدر صديقه ، وهو يقول : « **وداعا يا باتروكلوس ، الى بيت هاديس ! .. اننى لاحقق الآن جميع ماسبق أن وعدتك به ، فها أنذا أسحب هكتور الى هنا ، وأقدمه نيئا للكلاب لتنهشه ، وأقطع رقاب اثنى عشر فتى من الطرواديين أمام كومة حطبك ، انتقاما لمقتلك** » . قال هذا ، ودبر معاملة مزرية لهكتور العظيم ، فسجاه منكفئا فوق الثرى ، أمام منصة ابن مينويتيوس . ثم خلع كل رجل منهم عدته البرونزية البراقة ، وسرحوا جيادهم

العالية الصهيل . ثم جلسوا بجانب سفينة ابن أياكوس السريع القدمين ، جيشا لا حصر له .. وأقام لهم ابن أياس وليمة جنائزية ، ليشبع نهم قلوبهم . فذبح ثيرانا كثيرة غضة ، كانت تخور أمام السكين ، وخرافا كثيرة وماعزا تثغو ، وخنازير بيضاء الانياب ، كثيرة الدهن ، قدمت كلها لتشوى فوق لهيب نار هيفايستوس ، فسال الدم دافقا فى كل جهة حول الجثة .

أما الامير ابن بيليوس السريع القدمين ، فقد قاده الى أجاممنون العظيم، زعماء الآخيين الذين عانوا الكثير كى يحملوه على ذلك ، اذ كان حزن قلبه على صديقه شديدا . فلما بلغوا كوخ أجاممنون ، أمروا المنادين الجهورى الاصوات بأن يضعوا على النار قدرا ضخمة ، حتى يزيل ابن بيليوس عنه الدم المتجمد . ولكنه رفض طلبهم رفضا باتا ، وأقسم على ذلك بقوله : « كلا ، بحق زوس ، أعظم الآلهة وأفضلها . لن تقرب الماء رأسى ، حتى أضع باتروكلوس فوق النار ، وأنشىء له رابية ، وأحلق شعرى أيضا ، اذ لن ينفذ قلبى ــ ماحييت ــ حزن كهذا . ومع كل ، فهلم الآن الى الوليمة التى لايجب أن تعافها نفوسنا ، وفى الصباح أيقظ القوم يا آجاممنون ــ يا ملك البشر ــ ليجمعوا الحطب ، ويجهزوا كل مايجب أن يعد للميت حين يذهب الى أسفل ، فى الظلمة الظلماء .. حتى تحرقه النار المتأججة بسرعة وتحجبه عن الانظار ، وعندئذ ينصرف الجيش الى أعماله ! »

هكذا تكلم ، فأطاعوا قوله بنفس راضية. وأسرع كل رجل يعد طعامه ، وتناولوا عشاءهم ، وأكلوا كفايتهم من الوليمة العادلة . وبعد أن انتهوا من الطعام والشراب ، ذهب كل رجل الى كوخه ليستريح ، ورقد ابن بيليوس فوق شاطىء البحر العالى الصخب ، يئن أنينا شديدا وسط جيش المورميدون ، فى مكان مكشوف ، حيث كانت الامواج ترتطم بالساحل . فلما

استولى عليه النعاس ، أراحه من هموم قلبه ، فغاب فى لذات النوم ــ التى أطاحت به من كل جانب ــ اذ كانت أطرافه المجيدة فى غاية التعب من الجرى وراء هكتور الى **طروادة** ذات الرياح . **عندئذ وافته روح باتروكلوس التعيس ، تشبه شكله فى الحياة تمام الشبه ، فى كل شىء ــ فى القوام وجمال العينين والصوت . وكانت متدثرة ــ كذلك ــ بنفس الثوب** . فوقفت فوق رأس أخيل ، وتحدثت اليه قائلة : « أى أخيل ، انك لتنام وقد نسيتنى .. انك لم تكن تنسانى فى حياتى ، أما الآن فتنسانى فى موتى ! .. أسرع بدفنى ، كى أمضى خلال أبواب هاديس . فان الارواح تقصينى بعيدا عنها ، أشباح البشر الهالكين .. فلا تجشمنى الاختلاط بهم وراء النهر ، ولا تتركنى أحوم عبثا عند أبواب هاديس الفسيحة . أتوسل اليك فى الحاح أن تمد الى يدك ، لاننى لن أعود ثانية بعد الآن من هاديس ، بمجرد أن تقدم لى حقى من النار .. لن نجلس معا بعد الآن ، منعزلين عن أصدقائنا الاعزاء ، لنتشاور سويا ، فقد فتح لى القدر الممقوت بطنه .. القدر الذى كتب لى منذ ميلادى . **وأنت نفسك ، يا أخيل الشبيه بالآلهة ، مكتوب لك أن تموت تحت أسوار الطرواديين الاثرياء** . وسأخبرك بشىء آخر ، أطالبك بأن تعيه . لاتضع عظامى بعيدا عن عظامك ، يا أخيل ، بل ضعها كلها معا ، كما نشأنا معا فى بيتك ، عندما أحضرنى مينويتيوس صبيا صغيرا ، من **اوبويس** الى بلدك ، من جراء اغتيال مفجع ،يوم أن قتلت ابن امفيداموس على غير قصد ، فى حنق صبيانى بشأن لعبة زهر النرد . فاستقبلنى الفارس بيليوس فى بيته واعتنى بتربيتى وجعلنى خادمه : هكذا أيضا دع تابوتا واحدا يضم عظامنا .. التابوت الذهبى ذو المقبضين الذى أعطتك اياه أمك الجليلة »

فرد عليها أخيل السريع القدمين بقوله : « لماذا تأتى الى هنا ، أيها الرأس الحبيب ، وتصدر الى تعليمات فى كل شىء ؟

سأحقق لك كل ماتريد ، وأطيع سائر ما تأمر به ، ولكنى ارجوك أن تقترب أكثر — ولو لفترة وجيزة — ليعانق كل منا الآخر ، ونأخذ كفايتنا من البكاء المرير ! » . . وما ان قال هذا، حتى مد يديه ، ولكنه لم يمسكه ، اذ كانت الروح قد ذهبت تحت الارض كأنها بخار ، وهى تتمتم بصوت خافت . ولما شمل العجب أخيل ، نهض يضرب كفيه ، ويقول باكيا : « ماهذا ! اذن فالمرء يظل على قيد الوجود ، فى بيت هاديس ، روحا — أو بالاحرى شبحا — وإن فارقته القوة . فلقد كانت روح باتروكلوس التعيس ماثلة أمامى طوال الليل ، تبكى وتنتحب . وقد أصدرت الى تعليماتها عن كل شيء ، وكانت تشبهه بدرجة عجيبة ! »

هكذا قال ، فأهاج فيهم الرغبة الى النحيب .

جنازة باتروكلوس

• **وأطل** الفجر الوردى الانامل فوقهم، وهم لايزالون يبكون حول الجسد المسكين . فأمر الملك أجاممنون بأن تخرج البغال والرجال من المعسكر بأسره ، لتحضر الاحطاب ، وأشرف على ذلك ميريونيس الجسور ، خادم ايدومينيوس الرحيم . فانطلقوا لتوهم يحملون الفؤوس والحبال المتينة فى أيديهم ، ليحتطبوا .. وسارت البغال أمام الرجال بعضها صاعد ، وبعضها هابط ، وبعضها يسعى الى الجانبين ، أو فى اتجاه منحرف . فلما بلغوا ممرات **ايدا** الزاخرة بالنافورات ،أسرعوا فى الحال الى قطع أشجار البلوط الباسقة ، بالبرونز الطويل النصل . وراحت الاشجار تتساقط فى ضجيج . ثم شق الآخيون الجذوع نصفين ، وربطوها وراء البغال ، فهدت هذه الارض بأقدامها وهى تسرع نحو السهل خلال الادغال الكثيفة .

وحمل الحطابون الكتل الخشبية ، كما أمرهم ميريونيس ـ خادم ايدومينيوس الرحيم ـ وألقوها فوق الشاطىء ، رجلا بعد رجل، حيث اعتزم أخيل أن يقيم رابية عظيمة لباتروكلوس ولنفسه . وبعد أن فرغوا من القاء الحطب الكثير فى جميع الجهات ، جلسوا هناك جميعا ، وانتظروا فى حشد واحد . وفى الحال أمر أخيل المورميدون المحبين للقتال ، أن يلبسوا البرونز، ويشد كل واحد منهم جياده الى نير عربته ، فنهضوا وارتدوا حللهم الحربية وركبوا عرباتهم ، محاربين وسائقى عربات . **وانطلق الرجال بالعربات فى المقدمة ، تتبعهم سحابة من المشاة .. جيش يفوق الحصر . وكان أصدقاء باتروكلوس فى الوسط يحملونه ، وقد غطوا الجسد كله بشعورهم التى قصوها ونثروها فوقه حتى صارت كالثوب . وسار أخيل العظيم وراءهم ممسكا برأس صديقه ، حزينا ، اذ لم يكن هناك مثيل لهذا الصديق الذى كان يسرع به الى بيت هاديس .**

فلما وصلوا الى المكان الذى حدده لهم أخيل من قبل ، أنزلوا الجثة ، وكوموا مقدارا ضخما من الحطب بسرعة ، وعندئذ غير أخيل العظيم السريع القدمين رأيه ، فوقف بعيدا عن كومة الحطب ، وقطع خصلة من شعره الذهبى ، أعز خصلة كانت برأسه، وكان قد أنماها من أجل النهر **سبيرخيوس .** واذ كان شديد التأثر ، نظر الى البحر القاتم كالخمر وقال : « أى سبيرخيوس ، بغير هذا وعدك أبى بيليوس .. وعدك بأن أقص لك شعرى ـ عندما أصل الى بيتى فى وطنى العزيز ـ وأقدم ذبيحة مقدسة من مائة ثور .. وفى البقعة التى تقوم فيها أراضيك ومذبحك المعطر ، اضحى فى مياهك بخمسين كبشا ، وبغالا فتية .. هذا ما تعهد به ذلك الشيخ ، ولكنك لم تحقق له رغبته . ومادمت لن أذهب الى بيتى فى وطنى العزيز ، فانى أرغب فى منح المحارب باتروكلوس هذه الخصلة من الشعر لتمضى معه ! »

واذ قال هذا، وضع الخصلة فى يد صديقه الحميم ، فانخرط الجميع فى البكاء . وكاد ضوء الشمس أن يغيب ، وهم يبكون، فاقترب أخيل من أجا ممنـون وقال له : « يا ابن أتريوس — لا يطيع جيش الآخيين أمر أى رجل كما يطيع أمرك . وشا قد نالوا كفايتهم من البـكاء ، فاصرفهم الآن عن كـومة الحطب ، ومرهم بأن يعدوا طعامهم ، بينما نهتم نحن ـ أكثر المقـربين الى الميت ، وأعزهم لديه ـ بما يجب له ، وليبق الرؤساء معنا كذلك ! » فلما سمع أجا ممنون ـ ملك البشر ـ هذا الكلام ، صرف القوم فى الحال الى السفن البديعة . أما أقرب المقربين والاعزاء للميت ، فمكثوا هناك ، وكوموا الحطب ، وأقاموا أكمة تمتد مسافة مائة قدم فى هذا الاتجاه وذاك، ثم وضعوا الرجل الميت أعلاها ، وقلوبهم مفعمـة بالاسى . وذبحوا الـكثير من الكباش الكبيرة ، والابقار العـديدة السمينـة ، ذات المشـية المتثاقلة وسلخوها وأعدوها أمام كومة الحطب . وجمع أخيل العظيم الشجـاعة دهنهـا ، فغطى به الميت ـ من الرأس الى القدم ـ وكدس حوله الحيوانات المذبوحة . ثم وضـع فوق الجميـع جـرتين بمقبضين ، مـملوءتين بالعسـل والزيت ، وأسـندهما فوق المحفـة ، وألقى بسرعة فوق كومة الحطب أربعة جيـاد ذات أعناق مقوسـة الى الخلف ، وهى تزمجـر وتصهل عاليا . وكان للامير تسعة كلاب ، تتغذى بفضـلات مائدته ، فقطع أخيل عنقى اثنين منها ، ورماهما فوق كومـة الحطب . وقتـل بالبـرونز اثنى عشر فتى من الطـرواديين البواسل ، اذ كان قد أضمر الشر لهم فى قرارة نفسـه . ثم أشعل نارا جبارة عاتية ، لتتغـذى على كل هؤلاء ، وأرسـل أنينه عاليا،ونادى صديقه العزيز باسمه قائلا : **« يا باتروكلوس، اننى الان أنفذ كل شىء سبق أن وعدتك به ، رغم أنك فى بيت هاديس .. اثنا عشر فتى مغوارا من الطرواديين الصناديد ، هؤلاء جميعا تلتهمهم واياك النيران. أما هكتور بن بريام ، فلن**

يكون طعمة للنار ، وانما للكلاب ! »

هكذا قال متوعدا . غير أنه لم يقدر للكلاب أن تمس هكتور ، اذ أن أفروديتى ابنة زوس ، منعت عنه الكلاب نهارا وليلاً ، وكانت تدهنه بزيت من رحيق الازهار ، أمبروسى ، كى لايمزقه أخيل وهو يجره . وأنزل أبولو ، سحابة قاتمة فوقه ـ من السماء الى السهل ـ خيمت على المكان كله ، فوق الميت ، خشية أن تغضن قوة الشمس ـ قبل الاوان ـ لحمه المحيط بطنبه وأطرافه ! .



بيد أن كومة حطب باتروكلوس لم تشتعل . ففكر أخيل السريع القدمين تفكيرا آخر ، ووقف بعيدا عن كومة الحطب ، وصلى للريحين الشمالية والغربية ، ووعد بتقدمات جميلة . وبينما هو يصب السكائب متحمسا ، من كأس ذهبية ، توسل اليهما أن تحضرا لتشتعل الجثث بسرعة بالنار ، وليشتعل الحطب . وفى الحال سمعت ايريس صلاته ، وعجلت بالرسالة الى الريحين ـ وكانتا فى بيت الريح الغربية الهوجاء تتناولان الطعام على مائدتها ـ فوقفت ايريس على العتبة الصخرية . وما ان أبصرتها عيونهما ، حتى هبتا واقفتين تدعوانها اليهما ، ولكنها رفضت الجلوس ، وخاطبتهما بقولها : « لا أستطيع الجلوس ، لان على أن أعود الى مجارى أوقيانوس المائية ، الى

أرض الاثيوبيين ، حيث يقدمون ذبيحة للخالدين من مائة ثور ، لاشترك فى الوليمة المقدسة . ان أخيل يتوسل الى الريح الشمالية والريح الغربية المزعجة أن تذهبا اليه ، ويعدهما بتقدمات بالغة ، لتجعلا النار تستعر فى كومة الحطب التى يرقد فوقها باتروكلوس ، الذى ينتحب من أجله الآخيون عاليا »

وما ان أفضت بهذه الكلمات ، حتى انصرفت . فنهضت الريحان بقصف مدو ، تدفعان السحب أمامهما فى صخب . وسرعان ما وصلتا الى البحر لتهبا فوقه . فهاجت الامواج تحت هبوبهما الشديد . وبلغنا ارض طروادة العميقة التربة، وانقضتا على كومة الحطب ، فزمجرت النار وهى تتأجج بعنف عجيب. **وبقينا كذلك طوال الليل تهبان بقوة واحدة على نار كومة الحطب . وكان أخيل السريع القدمين ممسكا ـ طيلة الليل كذلك ـ بكأس ذهبية ذات مقبضين ، يغترف بها الخمر من طاس من الذهب ، ويسكبها فوق الارض حتى بللها ، وهو ينادى روح باتروكلوس المسكين** . وكما يبكى أب وهو يحرق عظام ابن حديث الزواج ، جلب موته فجيعة والديه البائسين .. هكذا أيضا بكى أخيل صديقه وهو يحرق عظامه ، ويدور حول كومة الحطب بأنين لا ينقطع .

ولما أشرق نجم الصباح ، مبشرا بالضوء وجه الارض ـ النجم الذى يتبعه الفجر الزعفرانى الثوب ـ زاحفا فوق سطح البحر ـ خمدت النيران ومات لهيبها . فقفلت الريحان عائدتين الى دارهما فوق البحر التراقى ، الذى دمدم بصخب بالغ . عندئذ انسحب ابن بيليوس بعيدا عن الكومة المشتعلة ، ورقد منهوك القوى ، فانقض عليه النوم اللذيذ . أما من كانوا مع ابن أتريوس فقد اجتمعوا معا ، فأيقظت جلبتهم وصخبهم أخيل ، فهب من نومه وجلس وتحدث اليهم قائلا : « يا ابن أتريوس ، ويا أمراء جيوش آخيا ، أطفئوا ـ أولا ـ الكومة المستعرة وكل ما وصلت اليه النيران ، بالخمر . ثم لنجمع عظام باتروكلوس بن

مينويتيوس ، بعد أن نعزلها عن العظام الاخرى ، ومن السهل تمييزها ، لانه كان يرقد فوق كومة الحطب ، بينما احترق الآخرون ـ من رجال وجياد ـ على حافتها . ولنضع تلك العظام فى قارورة نلفها بطبقتين من الدهن ، الى أن يحين الوقت الذى أرحل فيه ـ أنا الآخر ـ الى هاديس . ومع كل ، فلن أكلفكم أن تقيموا لى سوى أكمة تليق بى فحسب ، ثم لكم أيها الآخيون أن تزيدوها اتساعا فيما بعد ، وليتول ذلك من يبقون بعدى وسط السفن ذات المقاعد »

موكب العربات تكريما للميت

• **هكذا** قال ابن بيليوس السريع القدمين ، فأطاعه الجميع ، وبدأوا يخمدون كومة الحطب بالخمر ، وكوموا الرماد عاليا . وبينما هم يبكون ، جمعوا عظام صديقهم الكريم البيضاء ، فى قارورة من الذهب ، ولفوها بطبقتين من الدهن . وبعد أن وضعوها فى الكوخ ، غطوها بقطعة من منسوج الكتان الاملس . **ثم خططوا محيط الرابية ، ووضعوا أساسها حول كومة الحطب ، وكوموا التربة عالية . ولما انتهوا من تكويم الرابية ، قفلوا راجعين .** ولكن أخيل أبقاهم حيث كانوا ، وأجلسهم فى حشد واسع ، وأحضروا الجوائز من سفنهم : قدورا وركائز وجيادا وبغالا ونيرانا قوية ونساء فاتنات وحديدا رماديا . فبدأ بأن خص سائقى العربات ـ المتفوقين فى السرعة ـ بجوائز عظيمة : فللفائز الاول ، امرأة ماهرة فى الاعمال اليدوية الرائعة ، وركيزة ذات مقابض تتسع لاثنين وعشرين مكيالا .. وللثانى فرس سنها ستة أعوام ، لم تحمل فى رحمها مهرا .. وللثالث قدر لم تمسها النار ، قدر بديعة بيضاء تسع أربعة مكاييل .. وللرابع وزنتان من الذهب ، وللخامس قارورة ذات مقبضين لم تمسها النيران بعد . ثم نهض وتكلم وسط الارجوسيين

قائلا : « يا ابن أثريوس ، وأيها الآخيون المدرعون جيدا . . هذه الجوائز لسائقى العربات . ولو كنا نقيم هذه المباريات تبجيلا لشخص آخر ، لكنت الفائز بالجائزة الاولى ، ولحملتها الى كوخى ، لانكم تعرفون الى أى حد يتفوق جواداى فى العدو ، لانهما خالدان ، أعطاهما بوسايدون لابى بيليوس ، فأعطانيهما هذا بدوره . ولكنى سأبقى فى مكانى مع جوادى القويى الحوافر ، اذ أنهما فقدا سائقا بالغ الشجاعة والمجد ، كثير الرحمة ، كثيرا ما كان يسكب الزيت الاملس فوق معرفتيهما بعد أن يغسلهما بالماء الصافى . **لذلك فانهما يبكيانه الآن ، وقد تدلت معرفتاهما على الارض ، وهما يقفان هناك . والالم يحز فى قلبيهما . أما أنتم أيها الآخيون ، فمن منكم له ثقة فى جياده ومتانة عربته ، فليتأهب ! »**

هكذا قال ابن بيليوس ، وحث سائقو العربات أنفسهم . فنهض أول الجميع ، يوميلوس ـ ملك البشر وابن أدميثوس ـ وهو رجل ماهر جدا فى الفروسية . وتبعه ديوميديس القوى ، ابن توديوس ، فوضع تحت النير جياد طروس ، التى أخذها يوما من اينياس ، عندما اختطف أبولو روح هذا . ثم نهض مينيلاوس الجميل الشعر ـ ابن أثريوس ، المنحدر من زوس ـ وقاد تحت النير جوادين سريعين هما : « أيثى » فرس أجاممنون ، و « بودارجوس » جواده هو . وكانت الفرس قد أعطاها اخيبولوس بن أنخيسيس الى أجاممنون دون مقابل ، حتى لا يتبعه الى **طروادة** ذات الرياح ، بل يبقى فى وطنه مستمتعا بما وهبه زوس من ثروة طائلة ، فعاش فى **سيكوون** الفسيحة . وقاد مينيلاوس هذين تحت النير ، وكانا شديدى التلهف الى السباق . ثم أعد أنتيلوخوس جياده الجميلة الاعراف ، وكان ابنا ـ لا مثيل له ـ لنسطور ، الملك العظيم القلب ، ابن نيليوس . وكانت الجياد السريعة الاطراف التى تجر عربته قد نشأت فى **بولوس** ، وقد أوصاه أبوه العاقل بقوله : « أى انتيلوخوس لقد

أحبك زوس ويوسايدون – رغم صغر سنك – وعلماك جميع ضروب الفروسية ، ومن ثم فلا حاجة الى تعليمك مزيدا ، لانك تعرف كيف تدور حول الوتد ، ومع ذلك فان جيادك هى أبطأ جياد فى السباق ، ولذا أرى أن الخجل سيكون نصيبك . فجياد الآخرين أسرع ، ولكن الفرسان لا يستطيعون أن يدوروا بمهارة تفوق مهارتك . **هيا ، يا ولدى العزيز ، فكر فى سائر صنوف الدهاء . واعلم أن الحطاب انما يفضل غيره بالقوة ، أما مدير الدفة ، فبالدهاء يقود السفينة السريعة ، آمنة على صفحة اليم القاتم كالخمر ، بينما تعبث بها الرياح .. وبالدهاء يبرهن سائق العربة على أنه أفضل من غيره .. افضل من شخص آخر يعتمد على جياده وعربته ، يدور بغير حذر فى هـذا الجانب وذاك ، وتهيم جياده فى الطريق ، ولا يحتفظ بها قريبة من الوتد ..** أما السائق الرشيد ، فمهما كانت جياده أسوأ من غيرها ، فانه يركز عينيه دائما على محور السباق ، ويدور بقربه ، ولا ينسى أن واجبه الاول أن يسيطر على جياده بالاعنة المصنوعة من جلد الثور ، محتفظا بها دائما فى يده ، ويراقب الرجل الذى يتقدمه فى السباق . وسأنبهك الى أمر أن يخفى عليك : هناك بقية جذع شجرة ، بارتفاع قامة فوق الارض ، لعلها كانت لشجرة بلوط أو لشجرة صنوبر لا تفسد بالامطار ، وعلى جانبها حجران أبيضان مثبتان فى الارض متقابلين ، عند ملتقى الطريق ، وحولها أرض ملساء لقيادة العربات . ربما كانت أثرا لشخص مات من غابر الازمان ، أو جعلت محورا للسباق منذ قدامى الشعوب ، وقد جعلها أخيل العظيم السريع القدمين ، محورا لهذا السباق ، مضيقا الطريق على المتسابقين .. قد جيادك وعربتك بالقرب منها ، ولاحظ أن تميل قليلا – فى عربتك المجدولة جيدا – الى يسار الجوادين ، واهمز الجواد البعيد صائحا ، وأرخ له العنان من يدك ، وليقترب الجواد القريب من المحور بحيث أن دولاب العجلة المتينة الصنع ، يبدو وكأنه يحتك بها . وحذار أن تمس

الصخرة ، خشية أن تجرح جيادك وتحطم عربتك، فعندئذ يفوح الآخرون ، ويقع عليك اللوم . كن عاقلا ، حذرا ، يا ولدى العزيز ، فان سبقت غيرك عند المحور ، فلن يلحق بك أحد منهم ــ مهما تكن سرعته خاطفة ــ ولن يسبقك ، ولو كان يقود أريون العظيم ، جواد أدراستوس السريع ، الذى كان من نسل السماء ، أو من جياد لاوميدون ، نسل هذه البلاد العظيم » .

وما ان قال نسطور بن نيليوس هذا ، حتى عاد الى مجلسه، بعد أن أخبر ابنه بخفايا كل أمر !

أعد ميريونيس ــ خامس المتسابقين ــ جياده الجميلة الاعراف، ثم أعلى المتسابقون عرباتهم ، وقذفوا بالازلام ، فهزها أخيل ، وأخرج زلم أنتيلوخوس بن نسطور ، وبعده الملك يوميلوس ، فمينيلاوس بن أثريوس ، المشهور برمحه، فميريونيس، وآخرهم جميعا ابن توديوس ، رغم أنه يفضلهم جميعا . فأوجد مكانا لعربته ، ثم اصطفوا بعرباتهم ، وعين لهم أخيل غاية السباق بعيدا فى السهل الاملس . وجلس فونيكس الشبيه بالاله ــ خادم أبيه ــ حكما يراقب المباراة ويحكم بالعدل . ثم رفعوا جميعا السياط فى وقت واحد ، كل فوق نير الجياد ، وضربوها بالاعنة، وصاحوا عليها بلهفة ، فانطلقت فى الحال تعدو مسرعة خلال السهل بعيدا عن السفن . وثار الغبار تحت صدورها ، كما لو كان سحابة أو زوبعة ، وتطايرت أعرافها فى مهب الرياح . كانت العربات تستبق تارة فوق الارض الفسيحة ، وطورا تثب عاليا، وكل فارس يقف فى عربته ، وقلبه يخفق بعنف ، لفرط التلهف على الظفر . وكان كل رجل يصيح فى جياده وهى تطير فوق الثرى خلال السهل .

وعندما أوشكت الجياد السريعة أن تفرغ من آخر مرحلة للسباق ــ بعيدا صوب البحر الرمادى ــ تجلى الانفعال على محيا كل سائق ، وأجبرت الجياد على أن تعدو بأقصى خطوها . وفى الحال قفز جوادا ابن فيريس (٤٠) ــ السريعا الاقدام ــ الى

الامام ، ووراءهما بمسافة قليلة جوادا ديوميديس ، اللذان انحدرا من نسل طروس . وكان يبدو أن الجوادين سيعتليان عربة يوميلوس ، وأنفاسهما تمس ظهره وكتفيه العريضتين ، فتزيدها سخونة ، اذ كانا يحنيان رأسيهما فوقه تماما وهما ينطلقان .

وكاد ابن توديوس ان يسبقه أو يحاذيه فتبقى النتيجة معلقة ، لولا أن ((أبولو)) غضب منه ، فأسقط السوط اللامع من يده .. وتساقطت الدموع من عينى ابن توديوس غيظا ، اذ رأى بقية الافراس تعدو بسرعة أكثر من ذى قبل ، بينما حارت جياده ، اذ صارت تجرى بلا منخس . بيد أن أثينا لم تكن غافلة عما فعله أبولو بابن توديوس ، فأسرعت وراء راعى الجيش ، وقدمت اليه السوط ثانية ، ونفثت القوة فى جياده . ثم انطلقت الربة غاضبة خلف ابن أمينوس ، وحطمت نير جياده ، فراحت الافراس تحيد فى السباق الى هذا الجانب وذاك .. وتدلى محور العربة الى الارض ، وقذف يوميلوس بنفسه خارج العربة ـ بجانب العجلة ـ فتعرى مرفقاه وفمه وأنفه من الجلد ، ورض جبينه فوق حاجبيه ، وامتلأت كلتا عينيه بالدموع ، وانحبس صوته .

عندئذ أثار ابن توديوس جياده القوية الحوافر جانبا ، وقادها منطلقا بعيدا يتقدم الباقين ، اذ اودعت أثينا القوة فى جياده ، ووهبته المجد . ومن بعده جاء مينيلاوس ، الجميل الشعر ، ابن أتريوس . ولكن أنتيلوخوس صاح فى جوادى ابيه قائلا :

((هيا أسرعا ، واجتهدا بأقصى سرعتكما . لن أطالبكما بأن تباريا جوادى ابن ثوديوس الحكيم القلب ـ اللذين بث فيهما أثينا السرعة ومنحت قائدهما المجد ـ بل ألحقا بجوادى ابن ثوديوس ، ولا تسبقاهما خشية أن تنزل أيثى العار بكما . لماذا تدعان غيركما يسبقكما ، أيها الجوادان الطيبان ؟ أننى أقول لكما ان هذا ما سوف يحدث فعلا ، ولن يعطف عليكما نسطور ـ راعى الجيش ـ بل أنه سيقتلكما فى الحال بالبرونز الحاد ، لو أنكما تقاعستما ولم تفوزا الا بأقل جائزة . أسرعا وراءهما ماوسعتكما

سرعتكما ، وسأضع خطتى لكى نمرق من بينهما فى الطريق الضيق ، فلن يفوتنى هذا ! »

هكذا قال ، فخاف الجوادان تقريع سيدهما ، وانطلقا لفترة قصيرة يعدوان بسرعة أكثر من ذى قبل . وبسرعة لمح انتيلوخوس الصنديد ، مكانا ضيقا فى الطريق الخالى . كان هناك شق فى الارض ، اذ أزالت مياه الامطار جزءا من الطريق وجعلت مكانه مجوفا . هناك ، قاد مينيلاوس عربته أملا فى أن لا يستطيع أى فارس آخر أن يزاحمه بعربته ولكن انتيلوخوس أدار جياده القوية الحوافر الى خارج الطريق ، واقتفى أثره ، جامحا الى أحد الجانبين قليلا . فذعر ابن اتريوس وصاح فى أنتيلوخوس بقوله : « اكبح جماح جواديك يا انتيلوخوس ، فانك تنطلق برعونة .. ان الطريق هنا ضيق ، ولكنه سرعان ما سيتسع للمرور ، وأخاف أن تصدم عربتى فيصيبنا الاذى معا ! » .. بهذا تكلم ، ولكن أنتيلوخوس مضى يقود بعنف أكثر ، وأعمل المنخس ، كأنه لم يسمع قوله . وانطلقا بعيدا ، الى مدى مرمى الجلة يطوح بها شاب من كتفه ، وهو يختبر قوته . ولكن جوادى ابن أتريوس تراجعا ، اذ رفض — من تلقاء نفسه — أن يحثهما ، لئلا تصطدم الجياد — القوية الحوافر — معا فى الطريق ، فتنقلب العربتان المصنوعتان باحكام ، ويرتمى الفارسان فوق الثرى فى تسرعهما الاهوج للنصر . عندئذ غير مينيلاوس الجميل الشعر أنتيلوخوس قائلا : « أى أنتيلوخوس ، ليس أخبث منك بين البشر . انطلق فى جنونك ، فكم أخطأنا — نحن الآخيين — اذ كنا نعتبرك حكيما ، ولكنك — رغم ذلك — لن تحمل الجائزة بعيدا ، بغير يمين ! » (٤١)

هكذا قال ، وصاح فى جواديه قائلا : « انى آمركما ، الا تحجما ، أو تقفا ساكنين وقلباكما يفيضان حزنا . ان أقدامهما وسيقانهما ستتعبان قبلكما ، اذ يفتقر كل منهما الى الشباب » .. واذ قال هذا ، خشى الجوادان تعنيف سيدهما ، فراحا يعدوان

بمزيد من السرعة ، فسرعان ما اقتربا من الآخرين . **وكان الارجوسيون يجلسون فى مكان الاجتماع ، يشاهدون الجياد الطائرة فى السهل وسط الغبار . وكان ايدومينيوس ، قائد الكريتيين هو أول من رآها ، اذ كان يجلس خارج الجمع ، فى أعلى نقطة بمكان المراقبة . فلما سمع صوتا يصيح ، عرفه رغم انه كان نائيا جدا . وفطن الى جواد ظهر فى المقدمة ، كل جسمه كستنائى اللون ، وفوق جبينه غرة بيضاء مستديرة كأنها القمر .** فوقف وتكلم وسط الارجوسيين قائلا : « أصدقائى ، قادة وحكام الارجوسيين ، هل أنا وحدى الذى أرى الجياد ، أو انكم ترونها كذلك ؟ .. ان ثمة زوجا من الخيل يلوحان فى المقدمة ، غير الزوج اللذين كانا من قبل .. كما يظهر سائق جديد . أما الجوادان الاولان ، فقد حادا عن الطريق فلا بد قد أصابهما أذى . فقد رأيتهما يمرقان اولا حول نقطة الدوران ، أما الآن فاننى لا أستطيع رؤيتهما فى أى مكان ، رغم أن عينى تبصران كل مكان وانا أحدق ببصرى خلال السهل الطروادى . ترى هل أفلت الزمام من يد السائق فلم يستطع القيادة حول نهاية الطريق ، وفشل فى الدوران ؟ لا بد أنه وقع على الارض ــ كما أعتقد ــ وتحطمت عربته ، ولا بد أن الفرسين قد انحرفا عن الطريق فى هلع شديد . ومع كل ، قفوا أنتم أيضا ، وانظروا ، فلا بد أننى لا أرى بجلاء ، ويبدو أن الرجل ايتولى الجنس ، وملك بين الارجوسيين .. انه ديوميديس القوى ، ابن توديوس مستأنس الخيول » .

عندئذ عيره أياس السريع ــ ابن اوليوس ــ متهكما بقوله : « يا ايدومينيوس ، لماذا انت مهذار منذ القدم ؟ كلا ، فمازالت الافراس تعدو بعيدا فوق السهل الفسيح بخطى واسعة . وما أنت بأصغر الارجوسيين ، فليس بصرك أكثر حدة من غيرك ، الذلك فأنت تهذى ، وجدير بك الا ترفع صوتك ، فهنا من هو أفضل منك ، ولا يزال الجوادان اللذان احتلا المقدمة من قبل ،

يتقدمان .. وهما جوادا يوميلوس ، كما انه يقف بنفسه ثابتا في عربته ، ممسكا بالاعنة » .. وهنا استشاط قائد الكريتيين غيظا ، وأجابه بقوله : « أياس ، يا سيد اللائمين ، ياذا المشورة غير الصائبة .. انك متأخر في كل شيء عن بقية الارجوسيين ، لعناد عقلك . **تعال الآن ، هيا نتراهن على ركيزة أو قدر ، ونختار أجاممنون بن اتريوس حكما بيننا ، على أي الجياد في المقدمة ، كي تدفع فتتعلم ! »**

وما أن قال هذا ، حتى نهض اياس السريع ـ ابن اوليوس ـ حانقا ، ليرد عليه بعبارات الغضب . وكاد النزاع بينهما يمتد الى أكثر من ذلك ، لولا أن أخيل نفسه ، نهض وخاطبهما بقوله : « لا يردن أحدكما على الآخر بكلمات الغضب ، أو عبارات الشر ، بعد الآن يا اياس ويا ايدومينيوس ، فهذا لا يليق قط . وليسخط كل منكما على من يتصرف مثل هذا التصرف . أجلسا في مكان الاجتماع ، وراقبا الجياد ، فسرعان ما ستأتي الى هنا ، في تسرعها الجائح الى الظفر ، وعندئذ يعرف كلاكما ، أي جياد الارجوسيين في المؤخرة ، وأيها المقدمة ! » ..

واذ قال هذا ، كان ابن توديوس قد اقترب وضرب بسوطه أكتاف الجوادين ، فقفزا عاليا وهما يعدوان مسرعين في طريقهما . وباستمرار كانت سحب الغبار تصفع سائق العربة ، وكانت عربته ـ المثقلة بالذهب والقصدير ـ تسرع خلف الجوادين السريعي الاقدام ، ولم تترك اطارات العجلات الا أثرا بسيطا في الثرى الخفيف ، اذ كان الجوادان يكادان يطيران . وقفز ديوميديس الى الارض من عربته البراقة ، في وسط مكان الحشد ، وأسند المنخس على النير ، والعرق يتدفق مدرارا من عنقي وصدري الجوادين ، متساقطا على الارض . ولم يتلكأ سثينيليوس العتيد ، بل أخذ الجائزة بسرعة ، وسلم أصدقاءه الشجعان المرأة والركيزة ذات المقابض ليحملوهما بعيدا ، ورفع بنفسه النير عن الجياد !

ومن بعده قاد أنتيلوخوس سليل نيليوس جـواديه ، لأنه بالخديعة ـ وليس بالسرعة قط ـ كان قد سبق مينيلاوس . ومع كل فان مينيلاوس قاد جواديه السريعين خلفه مباشرة .. وبقدر ما يبعد جواد عن العجلة ، وهو يجر سيده عبر السهل ، ويبذل الجهد عند العربة ـ التي تلمس آخر شـعرات ذيله اطارها ، لانها تجرى وراءه مباشرة ، وليس بينهما عدا فرجة بسيطة ، وهو يعدو خلال السهل الفسيح .. بمثل هذا القدر كان مينيلاوس وراء أنتيلوخوس ـ وحيـد عصره ـ برغم أنه كان ـ فى البداية ـ متأخرا عنه بمرمى الجلة . غير أن أنتيلوخوس لحق به بسرعة ، اذ كان الحماس العظيم لفـرس أجاممنون « أيثى » الجميلة العرف ، دائما فى اطراد . ولو طال الطريق بعد ذلك لسبقه ، ولما ترك النتيجة معلقة . ولكن ميريونيس ـ خادم ايدومينيوس الشجاع ـ كان قاب رمح وراء مينيلاوس المجيد ، اذ كانت جياده الجميلة الاعراف أبطأ الجياد كلها ، وكان هو نفسه اقلهم مهارة فى قيادة العربات فى السباق . وأخيرا جاء أرميثوس ، خلف الجميع ، ساحبا عربته الجميلة ، وقائدا جياده أمامه . **وعند رؤيته أشفق عليه أخيـل العظيم السريع القدمين ، ونهض وسط الارجوسيين وخاطبه بكلمات مجنحة قائلا : « يا للعار ، ان خير الفوارس يقود جياده القوية الحافر فى آخر الجميع . ولكن ، هلم بنا ، نمنحه جائزة تليق به ، جائزة المرتبة الثانية .. أما الاولى ، فليأخذها ابن توديوس ! »**

هكذا قال ، فوافق الجميع على رأيه . وكاد يعطيه الفرس ـ لان الآخيين وافقوا على ذلك ـ لولا أن أنتيلوخوس بن نسـطور الصنديد ، قام يرد على أخيل بن بيليوس ، ليطلب حقه قائلا : « يا أخيل ، سوف يكون غضبى منك شديدا لو حققت هـذا القول وسلبتنى جائزتى ، فكر مليا فى هذا ، وكيف أن عربته وجواديه السريعين قد لاقت الضرر وهو معها ، رغم فروسيته . كلا ، كان يجب أن يصلى للخالدين ، عندما رأى أنه سيكون

آخر الجميع فى المباراة . أما اذا كنت تشفق عليه ، ففى خيمتك كمية كبيرة من الذهب ، وهناك البرونز والاغنام ، والجوارى كذلك ، والجياد القوية الحوافر ، وبوسعك أن تعطيه منها جائزة أعظم ، وليكن الآن - ان شئت - ليصفق لك الآخيون . أما الفرس فلن أتنازل عنها ، وأصارع أى رجل يقدم على مصارعتى من أجلها بقوة اليد ! » واذ قال هذا ، ابتسم أخيل العظيم السريع القدمين ، مسرورا من أنتيلوخوس ، اذ كان صديقه الحميم . فرد عليه بكلمات مجنحة قائلا : **« أى انتيلوخوس ، ان كنت تريدنى أن أعطى يوميلوس شيئا آخر من منزلى كجائزة اضافية ، فسأفعل . سأعطيه الدرقة التى أخذتها من أستيروبايوس ، وهى من البرونز ، وعليها حلقات من القصدير اللامع ، ولسوف تكون عظيمة القيمة له »** . وما أن أتم حديثه حتى أمر صديقه الحميم أوتوميدون بأن يحضرها من كوخه ، فلبى هذا أمره ، وجاء بها ، وسلمها الى يوميلوس ، فتقبلها مسرورا .

بعد ذلك قام بينهم مينيلاوس ، محنقا فى قلبه ، مغيظا فى انتيلوخوس ، فوضع أحد الحجاب الصولجان فى يده ، ونادى على الارجوسيين بالصمت ، ثم تكلم الرجل الشبيه بالاله فقال : « أى أنتيلوخوس ، لقد كنت فيما مضى حكيما ، فماذا فعلت ؟ لقد ألحقت العار بمهارتى وعطلت جوادى ، بأن دفعت جواديك الى الامام ، وهما اللذان يقلان سرعة عن جوادى بمراحل . هيا الآن ، يا قادة وحكام الارجوسيين ، فاحكموا بين كلينا بالعدل ، ولا تتحيزوا لاى منا ، لئلا يقول أحد الآخيين المتدثرين بالبرونز ، فيما بعد : « لقد تفوق مينيلاوس على أنتيلوخوس بالزيف ، واستولى على الفرس ، اذ كان جواداه متأخرين بعيدا ، بينما كان هو الاكثر جدارة وقوة .. كلا ، سأعلن بنفسى الحقيقة ، وأعتقد أنه ما من أحد من الدانيين سوف يلومنى ، لان حكمى سيكون عادلا . **هيا يا أنتيلوخوس ، المنحدر من زوس ، تعال الى هنا ، وقف أمام جواديك وعربتك كما هى الطريقة المتبعة ،**

وأمسك بيدك السوط الرفيع الذى كنت تسوق به ، وضع يدك على جواديك ، واقسم بذلك الذى يمسك الارض ويزلزلها ، أنك لم تعرقل عربتى بالخداع متعمدا »

فرد عليه أنتيلوخوس العاقل ، قائلا : « أيها الملك مينيلاوس ، كفى الآن ، لاننى أصغر منك سنا ، وأنت أكبر وأفضل . انك تعرف كيف تصدر الهفوات من الشاب ، اذ يتلهف الى الهدف ، مع ضآلة حصافته . فليكن قلبك حليما ، ان الفرس التى ربحتها ، سأعطيكها من تلقاء نفسى . نعم ، واذا طلبت ما هو أعظم منها — من بيتى — فسأعطيكه فى الحال بيدى ، فهذا خير من أن يصغر قدرى فى قلبك ، يا سليل زوس ، وأكون على مذنبا فى عيون الآلهة »

هكذا تكلم ابن نسطور البالغ الشجاعة ، وقاد الفرس فقدمها الى مينيلاوس . وابتهج قلب هذا كما يبتهج القمح عندما ينزل الندى على سنابله وينضجه .. هكذا أيضا ، كان قلبك الكائن فى صدرك ، سعيدا يا مينيلاوس ، فخاطب أنتيلوخوس بكلمات مجنحة قائلا : « عجبا يا أنتيلوخوس ، اننى لاكف الآن عن غضبى منك مختارا ، اذ أنك لم تكن بحال ما طائشا أو غير متزن العقل ، رغم أن شبابك قد بلغ الآن مبالغ الادراك ! فلا تحاول مرة اخرى أن تتفوق على من هم أفضل منك . الحقيقة أنه لم يكن فى مكنة أى فرد آخر من الآخيين أن يثنينى عن عزمى بسهولة . انك قد عانيت وكافحت كثيرا من أجلى — أنت ووالدك الصنديد وأخوك — لذلك سأجيب رجاءك ، وأعطيك الفرس ، رغم أنها حقى ، ليعرف القوم أننى لست حقود القلب ولا صلب الرأى »

قال هذا ، وأعطى الفرس لنويمون — صديق أنتليوخوس — ليذهب بها ، ثم أخذ هو القدر البراقة ، وأخذ ميريونيس وزنتى الذهب فى المرتبة الرابعة ، أما الجائزة الخامسة — القارورة ذات المقبضين — فلم يطالب بها أحد . فقدمها أخيل الى نسطور ،

حاملا اياها وسط الجمع ، مقتربا بها منه ، وقال له : **« خذ هذه الآن ، ايها السيد الشيخ ، ولتكن كنزا لك وذكرى لدفن باتروكلوس ، لانك لن تراه بعد الآن بين الارجوسيين !.. انني أعطيك هذه الجائزة ، التى لم يربحها أحد ، لانك لن تناضل فى ملاكمة ولا فى مصارعة ، ولن تشترك فى مباريات قاذفى الرماح ، ولا العدائيين،لان الشيخوخةالمفجعةتلقى أحمالها ثقيلة عليك!»**

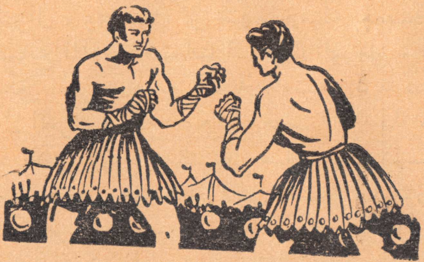
ما أن قال هذا حتى وضع القارورة فى يديه،فتلقاها نسطور مسرورا ، وخاطبه بألفاظ مجنحة قائلا : « حقا يا ولدى ، صواب كل ما قلت ! ان كل أطرافى ــ حتى قدماى ــ لم تعد قوية كما كانت ولا عاد ساعداى ينطلقان من كتفى بسهولة كما كانا ، ليت شبابى يعود الى ، وتصبح قوتى مكينة كما كنت يوم دفن الايبيون ملكهم أما رونكيوس فى **بوبراسيوم** ، وخصص أبناؤه الجوائز تخليدا للملك . فى ذلك اليوم تفوقت على الجميع ،حتى الايبيين والبيليين والايتوليين الصناديد . فتغلبت فى الملاكمة على كلوثوميديس بن اينويس وفى المصارعة على انكايوس القادم من **بليورون** ، وفى السباق على أفيكلوس ــ رغم مهارته فى العدو ــ وفى قذف الرمح على فوليوس وبولودوروس . أما فى سباق العربات فقد سبقنى ولدا أكتور ، فصارت جيادهما فى المقدمة ، اذ كانا متلهفين على الفوز ، ولذلك فان خير الجوائز كانت باقية فى القوائم (٤٢) . وكانا شقيقين توأمين ، أحدهما تولى قيادة الخيل بيد ثابتة ، بينما باشر الآخر المنخس . هكذا كنت أنا ذات حين ، أما الآن فليضطلع من هم أصغر منى بأمثال هذه المهام ، بينما يجدر بى أن أستسلم للشيخوخة المفجعة ، فقد كنت مبرزا وقتذاك بين المحاربين . وها أنتذا تقيم لزميلك الطقوس الجنائزية بالمباريات ، ولذلك أتقبل منك هذه الهدية مسرورا ، كما أن قلبى يغتبط لان تذكرنى دائما يا صديقى ، ولا تنسانى ومجدى بين الآخيين .. أسأل الآلهة أن تكافئك عن هذا بما يرضى قلبك ! »

مباريات أخرى

• **وبعد** أن قال نسطور هذا ارتد ابن بيليوس وسط جمع الآخيين العظيم ، بعد أن سمع ثناء ابن نيليوس . ثم خصص جوائز للملاكمة العنيفة . فأتى ببغل قوى وعقله فى مكان الاجتماع . وكان بغلا فى السادسة من عمره ، صحيح الجسم ، يصعب التغلب عليه . وجعل للخاسر كأسا ذات يدين ، ثم تكلم وسط الارجوسيين قائلا : « يا ابن اثريوس ، وانتم أيها الآخيون المدرعون جيدا ، اننى أدعو اثنين من المحاربين — من خيرة الموجودين لهاتين الجائزتين فليرفعا أيديهما ويتلاكما . ومن يمنحه أبولو القوة على الصمود فى الملاكمة — أمام جميع الآخيين — فليأخذ البغل الى كوخه . اما الخاسر فستكون جائزته هذه الكأس ذات اليدين » . . وما أن أتم قوله هذا حتى نهض رجل مديد القامة شجاع ، بارع فى الملاكمة ، هو ابيوس بن بانوبيوس ، وقال : « فليقترب من يريد الكأس ذات اليدين كجائزة . أما البغل فلا أظن بين الآخيين من يمكنه الحصول عليه — بقوة قبضته — سواى . فهأنذا أعلن أننى أحسن رجل هنا . الا يكفى أننى غير مبرز فى القتال ؟ . . فليس فى مقدور المرء — كما يبدو لى — أن يكون ماهرا فى كل شىء . أقول هذا ، وسوف أحققه . سأحدث رضوضا بجسم غريمى ، وسأحطم عظامه . ولينتظر هنا أقرباؤه كى يحملوه عندما تنكل به يداى ! »

قال هذا ، وخيم الصمت على الجميع . غير أن يوروالوس ، الشبيه بالاله — ابن الملك ميكيستيوس بن تالاوس — كان الوحيد الذى نهض لمواجهته . وكان قد جاء الى **طيبة** ذات يوم ، لحضور دفن اوديبوس — عندما سقط — وهناك هزم جميع أبناء كادموس . فقام ابن توديوس — المشهور برمحه — وشجع

يوروالوس بالكلام ، وتمنى له النصر . فشد وسطه بحزام ، ثم أعطاه حمالات مصنوعة باتقان من جلد الثور . وبعد أن شد كل منهما وسطه بحزامه ، تقدما الى مكان النزال ، ورفعا ايديهما القوية عاليا . ثم هجم كل منهما على الآخر ، يكيل له الضربات



الثقيلة . وكان صرير أسنانها قويا . وسال العرق غزيرا من جوانب أطرافهما . **وما لبث ايبيوس العظيم أن هجم وهويتطلع الى ثغرة ، وضرب منافسه على خده ، فترنح هـذا ، وخارت أطرافل المجيدة تحته . وكما يحدث عندما تقفز السمكة تحت هبة الريح الشمالية ، فوق الرمال المغطاة بالاعشاب ، فتتدفق الموجةالسوداء فوقها نجديد . كذلكقفزيوروالوس عاليا عندما تلقى الضربة** . ولكن ايبيوس ــ الجم الشجاعة ــ أمسك به فى يديه ، وقذف به على قدميه ، فأسرع أصـــدقاؤه المقربون ، والتفوا حوله ، وسحبوه خلال مكان الاجتماع ، وأقدامه تتدلى فوق الارض ، وهو يبصق كتلا دموية ، ورأسه يتدلى الى أحد جنبيه . فأحضروه شارد الفكر ، وأرقدوه وسطهم ، وذهبـوا مختارين وجاءوا بالكأس ذات اليدين .

بعد ذلك ، أعد ابن بيليوس جوائز أخرى لمباراة ثالثة للدانيين ، فى المصارعة الخشنة . فجعل للفائز ركيزة بديعة توضع فـوق النار ، ركيزة قدرها الآخيون باثنى عشر ثورا . أما الخاسر ،

فجعل له امرأة ماهرة فى الاعمال اليدوية ، قوموها بأربعة ثيران ، ونهض يتكلم وسط الارجوسيين قائلا : « قفـا الآن ، يا من ستشتركان فى هذه المباراة ! » . وما أن قال هذا ، حتى نهض اياس التيلامونى العظيم ، كما نهض اوديسيوس ، الكثير الحيل ، ذو البديهة الخداعة . وبعد أن تمنطق كلاهما ، تقدما الى وسط مكان النزال ، وأمسك كل منهما زميله بقبضة من حديد ، كما يوصل الصانع الماهر أخشاب السقف الهرمى ، ليقاوم قوة الرياح . وطقطق ظهراهما من الشد العنيف بأيديهما القوية ، وتدفقت سيول العرق فى عدة مجار مخضبة بالدماء ، من جروح كثيرة ، راحت تظهر هنا وهناك بين ضلوعهما وأكتـافهما . وهكذا أخذا يتصارعان بعنف من أجل النصر ، ليفوزا بالركيزة الرائعة . ولم يتمكن أوديسيوس من الاخلال بتـوازن أياس ، والقائه على الارض ، كمـا لم يسـتطع أياس ذلك ، لان قوة اوديسيوس الفذة كانت راسخة . **وفى النهاية ، كاد الملل يتملك من الآخيين المدرعين جيدا، فتحدث اياس التيلامونى العظيم الى أوديسيوس ، قائلا : « يا نسـل زوس ، يا ابن لايرتيس ، يا أوديسيوس الكثير الحيل ، ارفعنى من الارض ، أو دعنى ارفعك .. والنتيجة بعد ذلك فى يد زوس »**

قال هذا ، ورفعه ، ولكن أوديسيوس لم ينس خـداعه . فضربه فى تجويف ركبته من الخلف ضربة قاضـيـة ، وأرخى أطرافه ، حتى أنه ارتمى الى الوراء ، وسقط أوديسيوس فوق صدره . وحملق النـاس فيهما وتملكهم العجب . ثم حاول أوديسيوس العظيم الاحتمال ، بدوره ، أن يرفعه ، وحـركه قليلا من الارض ، ولكنه لم يتمكن من رفعه ، بل أدخل ركبته فى ركبة اياس ، فسقط الاثنان فوق الارض ، واحدا بجـانب الآخر ، وتغبرا فى التراب ، وكادا ينهضـان للمرة الثالثـة ويتصارعان ، لولا أن قام أخيل نفسه وأمسك بهما ، قائلا :

« لا تتصارعا بعد الآن ، ولا تنهكا نفسيكما بالالم . فالنصر لكليكما ، ولتأخذا اذن جائزتين متساويتين ، واذهبا الى حال سبيلكما ، كى يتصارع غيركما من الآخيين ! » . واذ قال هذا ، أطاعاه راضيين . فأزالا عن جسديهما التراب ، وارتديا عباءتيهما .

وقدم ابن بيليوس — فى الحال — جوائز أخرى لسرعة القدمين : طاسا من الفضة ، فاخر الصنع ، يسع ستة مكاييل ، يفوق فى جماله سائر الطاسات على ظهر الارض ، اذ صنعه السيدونيون — البارعون فى الاعمال اليدوية الدقيقة — وأحضره الفينيقيون عبر البحر المظلم ، وأنزلوه فى الميناء ، وقدموه هدية لثواس ، ثم أهداه يونيوس بن جاسون (٤٣) ، للمحارب باتروكلوس ، فدية عن لوكاون بن بريام . هذا الطاس قدمه أخيل جائزة فى ذكرى صديقه ، لمن يتفوق فى سرعة العدو . وقدم للفائز الثانى ثورا ضخما سمينا كله دهن ، وخصص للاخير نصف ثالنت من الذهب . ثم نهض يتحدث الى الارجوسيين ، قائلا : « هيا ، يا من ستتبارون فى هذه المسابقة »

هكذا تكلم ، فهب فى الحال اياس السريع ، ابن اويليوس ، وأوديسيوس الكثير الحيل ، ثم أنتيلوخوس بن نسطور ، اذ كان يفوق جميع الشبان فى سرعة القدمين . واحتلوا أماكنهم فى صف واحد ، وعين لهم أخيل الهدف ، وحدد لهم خط السير من نقطة الدوران . فانطلق اياس بسرعة فى المقدمة ، يتبعه أوديسيوس العظيم من كثب ، بمسافة قدر بعد قصبة المنسج عن صدر المرأة الجميلة الزنار ، عندما تجذبها فى يديها بمهارة ، وهى تمر بالمسلفة عبر السداة ، ممسكة القصبة قريبا من صدرها . . هكذا كان قرب أوديسيوس وهو يعدو خلفه ، ويخطو فوق آثار أقدام اياس ، أو وسط الغبار الثائر . وكانت انفاس اوديسيوس العظيم ترتطم برأس أياس وهو يعدو بسرعة

مستمرة . وصاح جميع الآخيين يحثونه على الاسراع ليتقدم، وهو يناضل من أجل النصر . ونادوه وهو يبذل قصارى جهده . فلما صارا يجريان فى الجزء الاخير من السباق ، صلى أوديسيوس فى قلبه الى أثينا ذات العينين البراقتين ، بقوله : « اسمعى لى ، أيتها الربة ، وكونى معينة عظيمة لاقدامى ! » . . هكذا توسل اليها ، فأنصتت اليه بالاس أثينا ، وجعلت أطرافه خفيفة ــ قدميه ويديه من فوق ــ فما كاد المتسابقان يبلغان الهدف ليربحا الجائزة ، حتى زلت قدم اياس وهو يجرى فانزلق، لان أثينا عرقلتـه ــ حيث كانت الارض ملوثة بروث الثيران العالية الخوار ، التى ذبحها أخيل السريع القدمين تخليدا لذكرى باتروكلوس ــ فامتلأ فمه ومنخراه بروث الثيران . **وهكذا نال أوديسيوس العظيم ــ الكثير الاحتمال ــ الطاس ، اذ وصل أولا . وفاز أياس المجيد بالثور . فوقف ممسكا قرن ثور الحقل فى يده ، وهو يتقيأ الروث** . وخاطب الارجوسيين بقـوله : « سحقا ، لقد عرقلتنى الربة فى عدوى ، تلك التى تقف دائما الى جانب أوديسيوس ، كأنها الام ، وتساعده ! »

هكذا قال ، فضحك الجميع مرحين . وجاء أنتيلوخوس ، فتسلم الجائزة الاخيرة باسما ، وخاطب الارجوسيين قائلا : « الا أشهدوا يا أصدقائى ، على أن الخالدين يمنحون المجد لكبار السن ، حتى هنا . . فان اياس يكبرنى سنا بقليل ، بينما أوديسيوس من جيل سابق ومن قوم سابقين ، فله الشيخوخة الخضراء كما يقول الناس . ومع ذلك فمن العسير على أى فرد آخر من الآخيين أن يتبارى معه فى العدو اللهم الا أخيل ! » . . قال هذا ، وقدم المجد لابن بيليوس ، السريع القدمين . فرد عليه أخيل بقوله : « يا انتيلوخوس ، لن تمضى كلمة المديح التى قلتها عبثا ، فسأضيف الى جائزتك نصف ثالنت من الذهب ! » . . وما ان قال ذلك ، حتى وضعها فى يديه ، فتلقاها أنتيلوخوس بسرور .

ثم أحضر ابن بيليوس رمحا بعيد الظل الى مكان الاجتماع ، ومعه ترس وخوذة ــ هى عدة ساربيدون الحربية التى جرده منها باتروكلوس ــ ونهض يقول للارجوسيين : « للفوز بهـذه الجوائز ، ندعو اثنين من خيرة المحاربين الموجودين هنا ، ليتدثرا بحلتيهما الحربيتين ، ويتناولا البرونز الممزق للحم ، ويعجم كل منهما عود الآخر أمام الجيش . ومن منهما يصل أولا الى لحم خصمه الجميل ، ويلمس جسمه داخل الحلة الحـربية والدم القانى ، سينال هذا السيف المرصع بالفضة ، وانه لسيف تراقى عظيم أخذته من أستيرو بايوس . أما هذه الاسلحة فليقتسماها معا ، وسنولم لهما وليمة عظيمة فى أكواخنا » .

واذ قال هذا ، نهض اياس التيلامونى العظيم ، وديوميديس الصنديد ، ابن توديوس . وبعد أن تسلحا على جانبى الحشد ، تقدما الى الوسط متلهفين للعراك ، وهما يحملقـان بفظاعة . فتملكت الرهبة سائر الآخيين . حتى اذا اقترب كل منهما من الآخر ، هجم عليه .. ثلاث مرات انقض كل منهما على الآخر ، وثلاث مرات التحما سويا . ثم قذف اياس رمحه صوب الترس المتزن جيدا من كل جانب ، ولكن الرمح لم يصل الى اللحم ، اذ منعته الدرقة الداخلية . وظل ابن توديوس يحاول الوصول الى عنقه ــ بطرف الرمح البراق ــ عبر الدرع العظيمة ، فتملك الخوف الآخيين اشفاقا على اياس ، وأمروهما بالكف عن الصراع ، على ان ينال كل منهما جائزة تعادل جائزة زميله . ولكن البطل أعطى الحسام الضخم لابن ثوديوس ، بغمده وحمائله الدقيقة الصـنع .

بعد ذلك وضع ابن بيليوس كتلة من الحديد الخام ، اعتاد أيثيون فيما مضى أن يقذفها كجلة بقوته الجمة ، ولكن أخيل ــ السريع القدمين ــ قتله ، واستولى على هذه الكتلة ونقلهـا الى

سفنه مع أمتعته الاخرى . فقام وتكلم وسط الارجوسيين قائلا : « فلتنهضا الآن ، يا من ستقومان بالمحاولة فى هذه المباراة وان الفائز بهذه الكتلة الحديدية سيكون عنده ما يكفيه من الحديد لخمس سنوات متتابعة ، ولن يضطر الى الذهاب الى المدينة ، ليحضر حديدا لراعيه أو حارث ارضه ، اذ ستزوده به هذه الكتلة » .

ما أن أتم قوله هذا ، حتى نهض بولوبويتيس - الباسل فى القتال - وليونثيوس القوى - الشبيه بالاله - واياس بن تيلامون ، وايبيوس العظيم ، واحتلوا اماكنهم بنظام . فحمل ايبيوس الكتلة ، وحركها فى يده ، ثم قذفها فضحك من ذلك جميع الآخيين . وأخذها ليونثيوس - نسل اريس - بدوره ، ورماها . ثم قذف بها تيلامون العظيم بيده القوية - وكان ثالثهم - فطارت الى ما بعد علامات سابقيه . وا ذاك التقطها بولوبويتيس المقدام ، وطوح بها ، كما يطوح الراعى عصاه ، فتدور فى الهواء فوق قطعان البقر . . هكذا بعيدا طارت الكتلة خلف جميع المحتشدين ، فصاحوا مهللين عاليا . ونهض أصدقاء بولوبويتيس وحملوا جائزة الملك الى السفن الجوفاء .

ومن أجل القواسين وضع جائزة من الحديد القاتم - عشر فؤوس مزدوجة الرؤوس ، وعشرا أخرى فردية الرأس . وغرس شراع سفينته السوداء الحيزوم ، بعيدا فى الرمال ، وثبت أسفله يمامة خائفة ، بحبل رفيع ، وأمرهم برمايتها ، قائلا : « **من أصاب اليمامة المرتجفة ، حمل الى وطنه جميع الفؤوس المزدوجة الرؤوس . أما من أصاب الحبل ، وان أخطأ الطائر ، فسيحمل جائزة الخاسر . وهى الفؤوس الفردية الرؤوس** » .. وبعد أن قال هذا ، نهض الامير ثيوكير القوى ، وميريونيس الجرىء - خادم ايدومينيوس - فتناولا الازلام ، وهزاها فى خوذة من

البرونز ، فخرج زلم ثيوكير أولا . فأطلق فى الحال سهما ، دون أن ينذر للملك ذبيحة مئوية من الحملان البكر . لذلك أخطأ الطائر ، اذ حقد عليه أبولو بسبب ذلك . ولكنه أصاب الحبل عند قاعدة الشراع ، حيث كان الطائر مربوطا . وفى الحال مزق السهم الحبل . فطارت اليمامة الى السماء ، وتدلى الحبل على الارض ، وعندئذ ارتفع صياح الآخيين عاليا . ولكن ميريونيس خطف القوس بسرعة من يد ثيوكير - وبه سهم يحمله ، كان ثيوكير قد أعـــده - ونذر فى الحال أن يقدم الى أبولو - الذى يضرب من بعيد - ذبيحة مئوية مجيـــدة من الحملان البكر . **وعاليـا تحت السحب ، رأى ميريونيس اليمامة المذعورة ، فسدد اليها السهم ، بينما كانت تحوم هناك ، فأصابها فى وسطها ، أسفل الجناح ، وفى الحال مرق السهم خلال جسمها ، ثم ارتد هاويا الى الارض من جديد ، وانغرس امام قدم ميريونيس** . ولكن اليمامة استقرت فوق سارية السفينة ، الدكناء الحيزوم ، معلقة من رأسها ، بينما تدلى ريشها الغزير . وبسرعة فارقت روحها أطرافها ، فسقطت بعيدا عن الصارى . وأخذ القوم يحدقون فيها ببصرهم ، وقد تملكهم العجب . وعندئذ أخذ ميريونيس جميع الفؤوس العشر - المزدوجة الرؤوس - بينما حمل ثيـــوكير الفؤوس الفردية الرؤوس الى السفن الجوفاء .

بعد ذلك أحضر ابن بيليوس - الى مكان الاجتماع - رمحا بعيد الظل ، وقدرا لم توضع على النار قط ، تعادل قيمتهـــا ثورا ، ومزينة بصـــور الازهار . فنهض من قاذفى الرماح ، أجاممنون الواســـع السلـــطان - ابن أتريوس - وميريونيس الشجاع ، خادم ايدومينيوس . فقام أخيل يخاطبهما بقوله : « أيا ابن أتريوس ، اننا نعلم يقينا ، انك تبذ الجميـــع ، وانك خيرهم فى القوة وقذف الرمح ، خذ هذه الجائزة واذهب الى

السفن الجوفاء . أما الرمح فسيأخذه المحارب ميريونيس ، ان وافق قلبك على ذلك . فهذا رأيى ، على الاقل ! » .. واذ قال هذا ، لم يتردد أجاممنون ـ ملك البشر ـ فى الاصغاء اليه . فأعطى الرمح البرونزى الى ميريونيس ، فأعطاه هذا بدوره الى الحاجب تالثوبيوس .



الأنشودة الرابعة والعشرون

« .. وارقدوا هكتور على فراش موشى ، والى جانبه وقفت خير النائحات اللائى ينشدن المراثى .. وكانت زوجته وامه هما البادئتان بالعويل .. »

كيف افتديت جثة هكتور ، وكيف شيعت جنازته

الآلهة تتشاور بشأن هكتور

• **انفض** الجمع – بعد ذلك – فتفرق القوم ، ليذهب كل رجل الى سفينته . وفكر الباقون فى تناول طعام العشاء والنوم اللذيذ ، وأن يحصلوا على كفايتهم منهما .. ولكن أخيل انخرط فى البكاء ، متذكرا صديقه الحميم ، فلم يتمكن النوم – الذى يسيطر على الجميع – من التغلب عليه ، بل بقى يتغلب على هذا الجانب وذاك ، متحسرا على رجولة باتروكلوس وقوته وجرأته ، وكل كرب احتمله معه ، بما فى ذلك حروب الرجال ، والامواج المفجعة .. وكان – كلما فكر فى ذلك – ذرف الدموع الغزيرة ، راقدا تارة على جنبه ، وطورا على ظهره ، وحينا على وجهه .. وكثيرا ماكان ينتصب واقفا على قدميه ، ويهيم – شارد الفكر – على طول ساحل البحر . ولم يكن يغفل الفجر ، حين كان يشرق فوق ماء البحر وشواطئه ، كل يوم . **فكان يشد جواديه السريعين – تحت النير – الى العربة ، ويربط هكتور وراء هذه ، ثم يمضى يجره . حتى اذا دار به ثلاث دورات ، حول أكمة ابن مينويتيوس الميت ، لجأ الى كوخه يستريح ، تاركا هكتور منكفئا على وجهه فى الثرى .** غير أن أبولو أبعد كل تشويه عن لحمه – مشفقا على البطل حتى فى موته – وغطاه كله بالترس الذهبى ، حتى لا يمزق أخيل جسده وهو يجره .

هكذا كان أخيل فى غضبه يصب جام غيظه المستحكم على هكتور العظيم . ولكن الآلهة المباركة أشفقت عليه اذ أبصرت به على تلك الحال ، فأوعزت الى أرجايفونتيس (٤٤) الحاد البصر ، أن يسرق الجثة . فسر الباقون لذلك ، ماعدا « هيرا » وبوسايدون والعذراء المتألقة العينين . فاستمرت الربتان على

ماكانتا عليه مذ بدأتا تمقتان **طروادة** المقدسة ، وبريام وقومه، بسبب جريرة ألكساندر ، الذى وجه اللوم الى هاتين الربتين حين حضرتا الى كوخه ، فأعطى الاولوية لتلك التى شجعت شهوته القاتلة .

فلما كان اليوم الثانى عشر — بعد ذلك — تكلم أبولو وسط الخالدين ، قائلا : « ما أقساكم أيها الآلهة ، مدبرو الخراب . ألم يحرق هكتور لكم أفخاذ الثيران والماعز بغير تردد ؟ ألا يعطف عليه قلب أحدكم فينقذه — رغم كونه جثة هامدة — من أجل زوجته لتراه ، وكذا أمه وولده وابيه بريام وشعبه الذين سيدفنونه فى النار ويؤدون له الطقوس الجنائزية ؟ أم أنكم تؤثرون أخيل القاسى — أيها الآلهة — فتبادرون الى مساعدته؟ .. مع ان عقله ليس سليما بحال ما ، ولا هو ينثنى عما فى صدره ، وانما هو يعقد قلبه على القسوة ، كالاسد الذى يغتر بقوته البالغة وروحه الملكية ، فيهجم على قطعان البشر ليفوز لنفسه بوليمة .. هكذا أيضا ، فقد أخيل كل رحمة .. فلا حياء لمن يؤذى الناس ويجنى النفع من ورائهم . وكم من رجل فقد من هو أعز من هذا الذى فقده أخيل — أخا أنجبته أمه ، أو ولدا — ومع ذلك فانه لايلبث أن يكف عن ان يبكيه ، اذ أن ربات القدر منحت الانسان روحا صابرة . ولكن هذا الرجل دأب — منذ أن سلب هكتور العظيم روحه — على ربطه وراء عربته ، وجره حول أكمة صديقه العزيز . والحق انه لن يجنى من وراء ذلك شرفا ولا نفعا . فليحذر أن ننقم عليه ، رغم أنه رجل عظيم ، لانه فى ثورته يصب جام غيظه القذر على طين لايحس ! »

فاستشاطت « هيرا » — البيضاء الساعدين — غيظا ، وخاطبته بقولها : « قد يكون الامر كما تقول ، ياسيد القوس الفضية ، اذا كنتم — أيها الآلهة — تعتزمون أن تمنحوا مجدا لكل من أخيل وهكتور على السواء . **على أن هكتور بشر رضع**

ثدى امرأة ، أما أخيل فابن ربة ، غذيتها أنا نفسى وربيتها وزوجتها للمحارب بيليوس، الذى كان عزيزا جدا على الخالدين. وقد حضرتم كلكم حفل زواجهما ، وجلست أنت شخصيا بينهما الى مائدة الوليمة، والقيثارة فى يدك ، ياصديق الاشرار، الدائم الغدر ! » . واذ ذاك أجابها زوس – جامع السحب – قائلا : « لايكن غضبك على الآلهة كاملا يا هيرا ، فلن يكون مجد هذين متماثلا . لقد كان هكتور – هو الآخر – أعز البشر الموجودين فى **طروادة** ، لدى الآلهة . وهكذا كان هو عندى على الاقل، فانه لم يؤخر عنى الهدايا المقبولة، بأية حال من الاحوال. ولم يحدث قط أن افتقر مذبحى الى وليمة لائقة ، من تقدمات الشراب ، ورائحة القرابين المحترقة ، و العبادة التى هى من حقنا . **أما سرقة هكتور الجسور ، فيجب أن نتخلى عنها ، اذ لا يليق أن يتم ذلك دون علم أخيل ، لان أمه دائما ماتقف الى جانبه كالليل والنهار** . وانى لاود أن يذهب أحد الآلهة فيستدعى ثيتيس، كى أقول لها كلمة حكيمة، عسى أن يتقبل أخيل الهدايا من بريام ويعيد هكتور اليه »

هكذا تكلم ، فأسرعت ايريس – العاصفة القدمين – تحمل رسالته . وفى منتصف الطريق بين **ساموس** و **أمبروس** الوعرة ، قفزت الى البحر القاتم ، فأحاطت بها المياه صاخبة فوقها. وغاصت مسرعة الى الاعماق، كخيط المطمار – المثبت الى قرن ثور من ثيران الحقل – يهبط الى أسفل حاملا الموت للأسماك الجارحة (٤٥) . فوجدت ثيتيس فى الكهف الاجوف، ومن حولها ربات البحر الاخريات ، جالسات فى حشد .. وكانت تبكى – وسطهن – مصير ابنها المنقطع النظير ، الذى سيموت فى **طروادة** العميقة التربة ، بعيدا عن وطنه. فاقتربت منها ايريس السريعة القدمين ، وتحدثت اليها بقولها : «انهضى، يا ثيتيس ، فان زوس – ذا المشورات الخالدة – يستدعيك

اليه ! » . فردت عليها الربة ثيتيس – الفضية القدمين – قائلة : « ولماذا يستدعينى ذلك الرب العتيد ؟ اننى احجم عن مخالطة حشد الخالدين ، اذ ان قلبى مثقل بهموم لا حصر لها . ومع ذلك ، فسأذهب ، ولن تكون كلمته بغير طائل ، مهما يكن حديثه ! »

قالت الربة الفاتنة هذا ، وأخذت خمارا أسود اللون ، لم يكن هناك أشد منه سوادا ، وانطلقت فى طريقها ، تتقدمها ايريس السريعة ، بقدمين كالريح . وأخذت أمواج البحر تنشق حولهما ، حتى اذا خرجتا الى الشاطىء ، ودخلتا الى السماء ، وجدتا ابن كرونوس – الذى يدوى صوته بعيدا – جالسا وحوله حشد جميع الآلهة المباركين الخالدين . **فجلست الى جانب الاب زوس ، وأفسحت لها أثينا مكانها ، وقدمت اليها هيرا كأسا ذهبية بديعة ، وحيتها بعبارات الترحيب . فشربت ثيتيس ، وأعادت الكأس ثانية** . ثم تكلم – أولا – أبو الآلهة والبشر أولا ، فقال ، « أيتها الربة ثيتيس .. لقد جئت الى **أوليمبوس** ، رغم كل همومك ، ورغم أن قلبك مثقل بأحزان لاعزاء لها ، فاننى أعلم ذلك من تلقاء نفسى . على اننى سأخبرك بالسبب الذى استدعيتك من أجله الى هنا . لقد نشب صراع بين الآلهة الخالدين ، لتسعة أيام ، من جراء جثة هكتور ، وأفعال أخيل سلاب المدن . انهم يريدون الايعاز الى أرجايفونتيس الحاد البصر ، بأن يسرق الجثة . ولكن ، اسمعى أى مجد أهب أخيل ، لاننى أود – فى الوقت ذاته – أن اصون كرامتك وودك .. انطلقى بأقصى سرعتك الى الجيش ، وأعلنى أمرى لابنك . أنبئيه بأن الآلهة غاضبة عليه ، لانه فى ثورة غضبه يستبقى هكتور عند السفن المدببة ولايرده الى قومه ، عله يخافنى ويعيد هكتور . وسأرسل فى الحال ايريس الى بريام العظيم القلب ، لتأمره بالذهاب الى سفن الآخيين ، ليفدى ابنه العزيز ، ويحمل الى أخيل هدايا تدخل

السرور الى نفسه ! »

هكذا قال ، ولم تتردد الربة ، ثيتيس اللجينية القدمين ، فى اطاعة أمره ، فانطلقت هابطة من ذؤابات **أوليمبوس** ، وبلغت كوخ ابنها . فوجدته هناك يبكى ويئن ، ومن حوله أصدقاؤه الاعزاء ، يعدون فى عجلة طعام الصباح .. وفى الكوخ كبش ، ضخم أشعث ، قد ذبح لهم . فجلست أمه الجليلة بقربه ، وربتت كتفه بيدها ، ونادته باسمه قائلة : « أى بنى ، الى متى تمزق قلبك بالبكاء والحزن ، دون أن تفكر فى الطعام أو الفراش ؟ .. كان خليقا بك أن تضطجع فى حضن امرأة ، لاننى أخبرك أنك لن تبقى طويلا على قيد الحياة ، وانما يقف الموت قريبا منك ، وكذا القدر العتيد .. والآن ، اصغ الى ، فاننى موفدة اليك من لدن زوس . انه يخبرك بأن الآلهة غاضبون عليك ، وانه نفسه — فوق جميع الخالدين — ملىء بالسخط ، لانك فى ثورة غضبك ، تحتفظ بهكتور عند السفن المدببة ، ولا ترده ثانية هيا ، سلمه وخذ فدية فى مقابله ! » .. **فرد عليها أخيل — السريع القدمين — بقوله : « ليكن كذلك ، ان كان الاوليمبى نفسه يأمر به ، ويصمم قلبه على تحقيقه . فمن يحضر الفدية ، يحمل الميت ! »**

هكذا تكلمت الام وابنها — وسط حشد السفن — بكلمات كثيرة مجنحة . وأرسل ابن كرونوس ايريس — فى الحال — الى **طروادة** المقدسة ، قائلا لها : « هيا يا ايريس ، اتركى موطن **أوليمبوس** ، واحملى النبأ الى داخل **طروادة** ، الى بريام العظيم الشجاعة ، أن يذهب الى سفن الآخيين ويفدى ابنه العزيز ، حاملا الى أخيل الهدايا التى تدخل السرور الى قلبه . وليذهب وحده ، دون أن يرافقه أى رجل آخر من الطرواديين . ويجوز أن يكون برفقته شيخ مسن ، ليقود البغال والعربة السريعة الجرى ، ويعود ثانية الى المدينة بجثة الميت الذى قتله أخيل . لاتجعليه يفكر فى الموت أو فى أى خوف ، فسنعطيه مرشدا

كهلا ـ هو أرجايفونتيس ـ ليصحبه الى مقربة من أخيل . فاذا ما دخل الكوخ ، فلن يقتله أخيل ، ولن يكلف أحدا آخر بقتله ، لانه ليس مجردا من الحكمة ، وليس قصير النظر أو شريرا . بل انه ، سيعامل الرجل المتضرع بكل ضروب الرأفة »

هكذا قال ، وأسرعت ايريس العاصفة القدمين تحمل رسالته .

بريام يستعد لافتداء الجثة

• واذ بلغت منزل بريام ، وجدت فيه صراخا وعويلا . وكان أولاده يجلسون حوله ـ داخل القاعة ـ يبللون ثيابهم بالدموع ، والملك المسن فى وسطهم ملتفا بعباءته ، وقد جللت رأسه وعنقه أوساخ كثيرة مما جمعه فى يديه وهو يتمرغ فى الثرى . وكانت بناته وزوجات أبنائه يبكين فى جميع أنحاء البيت ، من أجل المحاربين العديدين الشجعان الذين قتلهم الارجوسيون . **فاقتربت رسولة زوس من بريام ، وتحدثت اليه بصوت رقيق ، ولكن الرعشة تملكت من أطرافه ، فقالت: « تشجع ، يا بريام ، يا ابن داردانوس ، ولا تخف قط . اننى لم آت الى هنا لاصيبك بأذى ، ولكنى موفدة اليك من لدن زوس ، الذى يوليك عناية وشفقة بالغتين رغم بعده عنك .** ان الاوليمبى يأمرك بأن تفتدى هكتور العظيم ، فتحمل الى أخيل الهدايا التى تدخل السرور الى قلبه .. ولتذهبن وحدك ، ولا يصحبنك أى رجل آخر من الطرواديين ، اللهم الا تابع مسن ، ليقود البغال والعربة الخفيفة الجرى ، ثم يعود الى المدينة بالميت ، الذى قتله أخيل . ولا تفكر فى الموت ولا تهابن شيئا ، فسيصحبك مرشد ـ هو أرجايفونتيس ـ الذى سيقودك ، حتى يصل بك قريبا من أخيل . وعندما تبلغ داخل الكوخ ، فلن يقتلك أخيل نفسه ، ولن يكلف أحدا آخر بقتلك ، فما هو بعديم الحكمة ، ولا قصير النظر ، ولا شرير .. بل انه

بكل شهامة يبقى على من يلوذ به ! »

وما ان أتمت ايريس السريعة القدمين كلامها، حتى انصرفت. فأمر الملك أولاده باعداد العربة والبغال السريعة الجرى، وأن يثبتوا عليها الصندوق المصنوع من خشب الصفصاف. ثم **هبط الى خزانة كنوزه ذات السقف المقبى، والمعطرة بخشب الصندل، وكان بها ما لا يحصى من النفائس**. واستدعى اليه زوجته هيكابى، وقال لها: « ياسيدتى، لقد بعث الى زوس برسول أوليمبى، يأمرنى بالذهاب الى سفن الآخيين لافتدى ابنى العزيز، وأحمل الى أخيل الهدايا التى تسر قلبه. هلمى، وخبرينى بما ترينه فى هذا. أما أنا، فان رغبة قلبى تلح على فى الذهاب الى هناك، الى السفن، والى داخل معسكر الآخيين الفسيح » .. هكذا قال، ولكن زوجته أطلقت صيحة حادة، وأجابته قائلة: « واحسرتاه ! .. أين ذهبت حكمتك التى اشتهرت بها منذ القدم، بين الاغراب وبين من هم تحت حكمك؟ كيف تود الذهاب بمفردك الى سفن الآخيين لتقابل الرجل الذى قتل أبناءك العديدين الشجعان ؟ ان قلبك لمن حديد حقا، فلو انك وقعت فى منطقة نفوذه، وأبصرتك عيناه – وهو المفترس عديم الوفاء – لما رحمك، ولما احترمك بحال ما. كلا، لنبك الآن بعيدا عمن نبكيه، ماكثين هنا فى قصرنا. فهذا مانسجته ربة القدر العتيدة بخيطها عند مولده .. عندما أنجبته أنا نفسى ! لقد كتب عليه أن يشبع نهم الكلاب السريعة الاقدام بعيدا عن والديه، فى موطن رجل طاغية، أتمنى أن أنشب أسنانى فى أعماق قلبه وأنهشه، عندما آخذ بثأر ابنى .. فان ابنى لم يمت جبانا قط، وانما قتل وهو يواجهه مدافعا عن رجال ونساء طروادة العريضات الصدور، دون أن يفكر فى الاختفاء أو الفرار »

فرد عليها العجوز، بريام الشبيه بالاله قائلا: « لا تحاولى ابقائى هنا طالما أنا تواق الى الذهاب، ولا تحاولى التأثير على.

فلو ان من يأمرنى بهذا من البشر القاطنين على وجه الارض — سواء أكان من العرافين الذين يتنبأون عن طريق الذبيحة أو من الكهنة — لجاز لنا أن نرى الامر باطلا ، ولرغبنا عنه. ولكننى سمعت الربة بأذنى رأسى ، ونظرت الى وجهها .. **سأنطلق فورا ، ولن يضيع كلامها سدى . ولو كان مقدرا لى أن أموت بجوار سفن الآخيين المدرعين بالبرونز ، فليكن هذا ! .. فليقتلنى أخيل فى الحال ، بعد أن أمسك ولدى بساعدى ، وأشبع رغبتى فى البكاء !** » . واذ قال هذا ، رفع أغطية الصناديق الضخمة، وأخرج منها اثنى عشر ثوبا جميلا ،واثنتى عشرة عباءة ذات ثنية واحدة ، وعددا لا يحصى من الاغطية ، وأكبر عدد ممكن من العباءات البيضاء ، ومثلها من المعاطف . ووزن عشرة تالنتات من الذهب ، وركيزتين لامعتين ، وأربع قدور ، وكأسا فى غاية الابداع ، قدمها اليه رجال تراقيا عندما كان مبعوثا الى هناك، فكانت تحفة بالغةالقيمة ، ومع ذلك فلم يتركها الشيخ فى قصره ، لانه كان شديد الرغبة فى افتداء ابنه العزيز . ثم طرد جميع الطرواديين من الرواق ، وعيرهم بعبارات السباب قائلا : « اخرجوا من هنا ، أيها التعساء ، يامن جلبتم العار على ! أما لديكم أحزان فى بيوتكم، حتى تجيئوا الى هنا فتغيظونى ؟ .. ألا يكفى أن زوس بن كرونوس ،جلب على هذا الحزن ، ففقدت ابنى خير الرجال ؟ .. أنتم أنفسكم ستعانون بسبب موته ، فلسوف يسهل على الآخيين أن يقتلوكم . أما أنا ، فليتنى أذهب الى بيت هاديس قبل أن ترى عيناى المدينة منهوبة ومخربة ! »

قال هذا ، وأعمل صولجانه فى الرجال ، فانصرفوا من أمامه مسرعين . ثم نادى أبناءه هيلينوس ، وباريس ، وأجاثون العظيم ، وبامون ، وأنتيفونوس ، وبوليتيس الرائع فى صيحة الحرب ، ودايفوبوس ، وهيبوثوس ، وديوس المجيد .. نادى هؤلاء التسعة بصوت مرتفع ، وأصدر اليهم أمره قائلا :

« أسرعوا أيها الاولاد الاخساء ، يا من جلبتم على الخزى والعار .. ليتكم قتلتم جميعا بدلا من هكتور ، بالقرب من السفن السريعة ! ويحى ، لقد اكتمل نحسى ، اذ أنجبت – فى **طروادة** الفسيحة – أبناء شجعانا،ولكن أحدا من هؤلاء لم يبق لى ! .. لا ميستور الشبيه بالاله ، ولا ترويلوس المحارب سائق العربات ، ولا هكتور الذى كان الها وسط البشر ، ولم يكن يبدو ابن انسان فان ، وانما الها .. **كل هؤلاء قتلهم أريس ، ولم يترك لى سوى أبناء يتصفون بكل شائنة . فمنهم كاذب اللسان ، وأعرج القدم ، ومن لامثيل له فى ضرب الارض عند الرقص ، وسارق الحملان والجداء من قطعانكم . أعدوا لى عربة بسرعة ، وضعوا بداخلها كل هذه الاشياء ، حتى ننطلق فى طريقنا ! »**

هكذا تكلم ، فجزعوا لصياح أبيهم ، وأحضروا – لفورهم – العربة السريعة الجرى ، التى تجرها البغال . وكانت جميلة وحديثة الصنع . وثبتوا فيها الصندوق الصفصافى ، وأنزلوا عن مشجبها نير البغال ، نيرا من خشب البقس به مقبض أحكم تثبيته بحلقات للتوجيه والقيادة . ثم ثبتوا رباط النير – البالغ طوله تسعة أذرع – فى النير ، وثبتوا النير فوق المحور المصقول الطرف ، والمقوس الى أعلى ، وأدخلوا الحلقة فى الوتد، وربطوها جيدا بالمقبض بثلاث ثنيات – يمينا ويسارا – ثم ثبتوها فى القضيب الرأسى ، وأنزلوا الخطاف من تحتها . ولما انتهوا من ذلك، حملوا الكنوز من المخزن وكوموها داخل العربة المصقولة ، فدية تفوق الحصر فى مقابل رأس هكتور . ثم ربطوا – الى النير – البغال القوية الاظلاف ، التى أعطاها الموسيون لبريام يوما ، كهدية قيمة. ثم أسرجوا للملك الشيخ جيادا كان يحتفظ بها لنفسه ، ورباها فى حظيرته اللامعة .

هكذا كان كلاهما يعدان عربتهما فى القصر الشاهق – التابع وبريام – وكلاهما يحسن الظن فى قلبه . وعندئذ أقبلت

هيكابى ، مهمومة القلب ، تحمل فى يمناها خمرا عسلية داخل كأس من العسجد ،ليستطيعا تقديم سكيبة قبل رحيلهما . ثم وقفت أمام الجياد وقالت لبريام : « خذ هذه ، وقدم الآن سكيبة للأب زوس ، وصل له كى تعود ثانية الى بيتك من عند العدو ، مادام قلبك يبعث بك نائيا الى السفن ، رغم عدم رغبتى فى رحيلك . ثم صل لابن كرونوس — سيد السحب القاتمة — رب **ايدا** ، المطل على أرض **طروادة** ، واطلب منه طائر البشرى .. ذلك الرسول السريع الذى يعتبره أعز الطيور وأشدها قوة . **فليظهر فوق يمناك ، حتى اذا شاهدت العلامة بنفسك ، اطمأننت اليها ، ومضيت فى طريقك الى سفن الدانيين ذوى الجياد السريعة .. أما اذا لم يمنحك هذا ، زوس الذى يحمل صوته نائيا ، فلن أشجعك اطلاقا على الذهاب الى سفن الارجوسيين ، مهما يكن شوقك الى الرحيل »**

فأجابها بريام — الشبيه بالاله — قائلا : «زوجتى ، لن أهمل نصيحتك هذه . فمن الخير التضرع الى زوس ، عله يرحم !»

هكذا قال الرجل العجوز ، وأمر مدبرة البيت — القائمة بالخدمة — أن تصب على يديه ماء نظيفا . فاقتربت الامة تحمل فى يديها حوضا وابريقا . وبعد أن غسل يديه ، تناول الكأس من زوجته ، وصلى واقفا وسط الساحة ، وسكب الخمر متطلعا الى السماء ، قائلا بصوت مرتفع : « أبتاه زوس ، يامن تحكم من **ايدا** .. أيها الامجد ، أيها الاعظم ، أكتب لى أن أجد ترحيبا واشفاقا فى كوخ أخيل ، وأرسل طائر البشرى — أسرع رسول وأعز الطيور لديك ، وأشدها قوة — ليظهر فوق يمناى ، حتى اذا ما رأيت العلامة بعينى رأسى ، وثقت بأمرك ، وانطلقت فى طريقى الى سفن الدانيين ذوى الجياد السريعة » . واذ صلى هكذا ، سمعه زوس المستشار ، فأرسل فى الحال نسرا — هو أعظم العلامات تأكيدا بين الطيور المجنحة .. النسر الاشعث الصياد ، الذى يسميه البشر النسر الاسود — وبقدر

امتداد باب الخزانة العالية السقف ، خزانة الرجل الغنى ،ذات الابواب المحكمة الاغلاق بالمزاليج .. كذلك كان جناحا الطائر – يمتدان الى هذا الجانب وذاك.. فظهر – الى اليمين – فوق المدينة . فلما رأوه طفحت قلوبهم غبطة وسرورا .

رحيل بريام

• **وفى الحال** أسرع الشيخ يعتلى عربته ، وقادها بعيدا عن الابواب والرواق الفسيح . ومن الامام جرت البغال العربة ذات العجلات الاربع ، يسوقها ايدايوس الحكيم القلب . ومن الخلف أقبلت الجياد ، يسوقها الرجل الهرم بسرعة خلال المدينة ، وقد تبعه جميع أقربائه يبكون عاليا ، وكأنهم يبكون شخصا يسعى الى حتفه . فلما ابتعد بريام وتابعه عن المدينة وبلغا السهل،قفل أبناء بريام وأزواج بناتهراجعين الى **طروادة.** ولم يكن زوس قد فطن الى بريام وزميله وهما يتقدمان فوق السهل . بيد أنه لم يكد يبصره ، حتى أشفق عليه ، وخاطب ابنه العزيز هرميس قائلا : **((أى هيرميس ، بما أنك تفوق غيرك رغبة فى مرافقة البشر ، وتعير من تحب أذنا صاغية ، فاصحب بريام الى سفن الآخيين الجوفاء ، ولا تجعل أحدا يراه من الدانيين أو يفطن اليه ، حتى يصل الى ابن بيليوس !))**

هكذا قال، فلم يتردد الرسول ((أرجايفونتيس)) فى الاصغاء اليه . وانتعل لفوره نعليه الذهبيين الجميلين الخالدين،اللذين كانا يحملانه فوق مياه البحر ، وعلى اديم الارض الفسيحة ، بسرعة الريح. وتناول الصولجان الذى ينيم به عيون من يشاء، ويوقظ به عيون آخرين . وطار ((أرجايفونتيس)) القوى – والصولجان فى يده – فبلغ أرض **طروادة** بسرعة ، وكذلك **الهيليسبونت** . وانطلق فى صورة أمير شاب ، يتدلى شاربه الرقيق فوق شفته ، ويتجلى فى محياه سحر الشباب . فلما

شاهده الآخران خلف ربوة **طروادة** العظيمة ، أوقفا البغال والجياد عند النهر لتستقى ، اذ كان الظلام يخيم على الارض. عندئذ أطل التابع ، ففطن الى وجود هرميس قريبا جدا ، فقال لبريام : « تنبه يا ابن داردانوس ، فها هو ذا أمر يتطلب منك التفكير السديد . انى أرى رجلا مقبلا ، وأعتقد أننا سرعان ماسنمزق اربا . هلم لنهرب بالعربة ، أو على الاقل نمسك ركبتيه ونتوسل اليه ، أن يرحمنا ! » .

واذ قال هذا ، اضطرب عقل الرجل العجوز ، وتفاقم أساه، وتصلب الشعر فوق أطرافه الغضة ، ووقف حائرا مبهوتا . ولكن المعين أقبل من تلقاء نفسه ، وأمسك بيد الشيخ الهرم ، وسأله بقوله : « أبتاه ، الى أين تسرع بجيادك وبغالك هكذا فى دجى الليل الخالد ، بينما ينام غيرك من البشر ؟ ألا ترهب الآخيين الذين يلقون الرعب فى النفوس .. أولئك الاعداء العديمى الرحمة القريبين جدا منك ؟ لو أن أحدهم رآك تحمل مثل هذه النفائس فى بهيم الليل الداجى ، فماذا تراك فاعلا ، وأنت لست فتيا ، وزميلك رجل وهن عظمه ، فلن يستطيع الدفاع عنك ، أو حمايتك من رجل يبادرك بالعدوان . أما أنا، فلن أمسك بسوء ، بل سأذود عنك ضر الآخرين ، اذ أراك شبيها بأبى العزيز » .

فرد عليه بريام الشيخ ـ الشبيه بالاله ـ قائلا : **« ان الامور لتجرى كما قلت يا ولداه . ولا بد أن يكون هناك اله ما يشرف على ، اذ أرسل لى مرشدا مثلك يصحبنى ، ذا بركة ، جميل المحيا ، لطيف الحديث .. وفضلا عن كونك حكيم القلب ، فلا بد أنك تنحدر من أبوين مباركين »**

فعاد الرسول «أرجايفونتيس» يتحدث اليه قائلا : « صواب جميع ماقلت ، ولكن أخبرنى ـ وصارحنى القول ـ أتحمل هذه الكنوز العديدة والنفائس الفريدة الى شعب غريب ، لتحفظها وديعة هناك .. أم آن لكما الاوان أن تهجرا **طروادة**

المقدسة فى هلع ، بعد أن هلك بطل بالغ العظمة ، هـو أشرف الجميع .. ابنـك الذى لم ينثن عن محـاربة الآخيين ؟ » . فأجابه بريام الشيخ ـ الشبيه بالاله ـ قائلا : « من أنت أيهـا الشاب النبيل ، ومن أى أبوين تنحدر ، فانى أراك تتحـدث هكذا بمنتهى الكياسة عن مصير ابنى التعيس ؟ » . واذ ذاك ، قال له الرسـول أرجايفونتيس : « انك لا تختبرنى ـ أيهـا السيد الشيخ ـ بسؤالك اياى عن هكتور العظيم .. فـكثيرا مارأته عيناى فى القتال ، حيث يفوز الرجال بالمجـد . وكان يسوق الارجوسيين الى السفن ، حيث يقتلهم بالبرونزالحاد ، فكنا نقف هناك ونعجب من أخيل اذ لا يأمرنا بالقتال ، وقـد امتلأ سخطا على ابن أتريوس . **اننى تابعه ، وقد حملتنا الى هنا نفس السفينة المتينة الصنع.اننى أحد المورميدون ، ابن بولوكتور الغنى بالمـادة ، والمسن مثلك ، وله سـتة أبنـاء أنا سابعهم . فلما تقاسمنا بالازلام ، وقع على الاختيـار أن أدلج الى هنا.** فهأنذا أجىء الآن الى السهل من السفن ، لان الآخيين سيدبرون ـ فى الفجر ـ معركة حول المدينة ، وقد سئمـوا الجلوس هناك خاملين . ولا يستطيع ملوك الآخيين أن يكبحوا جماح تلهفهم الى الحرب ! » .

وهنا قال الشيخ بريام ، الشبيـه بالاله : « اذا كنت تابع أخيل بن بيليوس حقا ، فتعال وخبرنى بالحق . هـل مازال ولدى حتى الآن بجانب السفن ، أم انه مزقه اربا ، ورمى به الى الكلاب ؟ » . فأجابه الرسول ارجايفونيس ، قائلا : « كلا ياسيدى الشيخ، لم تنهشه الكلاب أو الطيور بعد ، فهو مازال موجودا هناك بجانب سفن الآخيين ـ وسط الاكواخ ـ كمـا كان أولا . وهذا هو اليوم الثانى عشر لوجوده هناك ، ولـكن لحمه ـ مع ذلك ـ لم يفسد قط ، ولم تأكله الديدان ، كمـا تأكل من يتردون فى ميدان القتال . حقا ان أخيل يجـره بلا رحمة حول رابية صديقه الحميم ، كلما بزغ الفجر المقدس ،

ولكن جسمه لم يشوه رغم ذلك . وانك لتعجب اذا ذهبت ورأيت كيف يرقد ناضرا مبللا بالندى ، ونظيفا من الدم ، لم يتسخ جسمه فى أى موضع ، وجميع جراحه ــ التى أصيب بها ــ ملتئمة ، رغم كثرة من غيبوا البرونز فى جسده . . فلا بد أن الآلهة المباركين يهتمون بابنك ، رغم كونه جثة هامدة ، اذ كان عزيزا على قلوبهم ! »

واذ علم الشيخ بهذا ، اغتبط وقال : « أى بنى ، ما أجمل أن تقدم للخالدين مايستحقون من قرابين وهدايا ، فما حدث قط أن نسى ابنى فى ساحاتنا ــ طوال حياته ــ الآلهة المقيمين فى **أوليمبوس** ، ولذلك حفظوا له هذا الصنيع ، بالرغم من موته ! هلم ، يابنى ، خذ منى هذه الكأس البديعة ، واحرسنى حتى تصل بى ــ بسرعة الآلهة ــ الى كوخ ابن بيليوس » . فخاطبه الرسول أرجايفونتيس قائلا : « انك تمتحننى أيها السيد الشيخ ، لاننى أصغر منك سنا ، ولكنك لن تغلبنى . كأنى بك تحرضنى على أن آخذ منك هدايا لا يعلم أخيل عنها شيئا ! . . اننى أخاف واستحيى فى قلبى أن أغشه ، حتى لايصيبنى شر فيما بعد . ومع كل ، فسأصحبك كمرشد حتى تبلغ **أرجوس** المجيدة ، وأخدمك باخلاص ، سواء فى سفينة سريعة أو سيرا على الاقدام ، ولن يستخف أحد بقيادتى ويهجم عليك » .

قال المساعد هذا ، ثم وثب يعتلى العربة خلف الجياد ، وأمسك السوط والاعنة ، ونفث فى الجياد والبغال قوة عظيمة . فلما وصلت الى الاسوار والخندق الذى يحرس السفن ، كان المراقبون منهمكين فى اعداد عشائهم ، فسكب الرسول أرجايفونتيس النوم فوق كل هؤلاء ، وفتح الابواب فى الحال ، ودفع المزاليج الى الخلف ، وأدخل بريام والهدايا الرائعة الموجودة بالعربة . وسارا حتى بلغا كوخ ابن بيليوس ، ذلك الكوخ الشاهق الذى بناه المورميدون لمليكهم ، وقطعوا له أخشابا من شجر الصفصاف ، وجمعوا الاعشاب من المروج

فصنعوا له منها سقفا ، وجعلوا لمليكهم حوله ساحة كبرى ذات أعمدة عظيمة ، يغلق بابها بمزلاج واحد من خشب الصفصاف. وكان الباب يتطلب عادة ثلاثة من الآخيين ، حتى يدفعوه الى الوراء ، وثلاثة آخرين لجذب المزلاج الضخم . أما أخيل فكان يدفعه الى الداخل وحده .. كذلك فتح هيرميس المعين الباب للشيخ ، وأدخل الهدايا المجيدة لابن بيليوس السريع القدمين ، وهبط الى الارض، وقال : « سيدى العجوز، اننى — أنا الذى جئت اليك — اله خالد .. اننى هيرميس ، وقد أوفدنى اليك الاب لارشدك فى طريقك . والآن سأعود ادراجى ، حتى لا يرانى أخيل . فمن دواعى النقمة أن يبدى اله خالد اكراما للبشر الفانين. ادخل وامسك ركبتى ابن بيليوس وتوسل اليه بأبيه ،وأمه الجميلة الشعور وولده ، كى تحرك فى نفسه عاطفة الشفقة »

بين بريام وأخيل

• **واذ** قال هيرميس هذا ، رحل الى **أوليمبوس** الشامخ . وقفز بريام من عربته الى الارض ، فترك ايدايوس ممسكا بالجياد والبغال ، وانطلق فورا صوب المنزل الذى اعتاد أخيل — حبيب زوس — أن يجلس فيه . ووجده جالسا هناك، ولم يكن معه سوى المحاربين أوتوميدون وألكيموس — نسل أريس — منهمكين فى خدمته . وكان قد انتهى — منذ فترة وجيزة — من الطعام والشراب ، ولكن المائدة كانت لاتزال قائمة الى جانبه . فدخل بريام دون أن يراه هؤلاء . **وما أن اقترب من أخيل ، حتى أمسك ركبتيه بيديه ، وقبل يديه البشعتين — قاتلتى البشر — اللتين قتلتا أبناءه العديدين . وكما يحدث عندما يحل عمى القلب على من يقتل انسانا فى وطنه، ثم يهرب الى أرض الغرباء، ويلجأ الى بيت أحد الاثرياء ،فيتملك العجب**

من يبصرونه .. هكذا تملك العجب أخيل عند رؤيته بريام — الشبيه بالاله — كما تملك الآخرين أيضا ، فراح كل منهم ينظر الى الآخر ! ولكن بريام استمر فى توسله قائلا : تذكر أباك يا أخيل الشبيه بالآلهة .. أباك الذى فى عمرى ، على عتبة الشيخوخة المفجعة . انه مثلى تماما ، يقصر من حوله من الناس فى معاملته، وليس هناك من يدفع عنه الخراب والهلاك . ولكنه مع ذلك يسر عندما يبلغه أنك لاتزال حيا ، ويأمل — يوما بعد يوم — أن يرى ابنه العزيز عائدا من أرض **طروادة** . أما أنا ، فاننى غير مبارك قط ، اذ أننى أنجبت أبناء كانوا خير من فى أرض **طروادة** الفسيحة ، ولكن أحدا منهم لم يبق لى .. كان لى خمسون ابنا عندما قدم أبناء الآخيين : تسعة عشر ولدوا لى من رحم واحد ، والآخرون أنجبتهم نساء القصر الاخريات . فأرخى أريس سيقان كثير من هؤلاء . والذى بقى لى ليحرس وحده المدينة والبشر بنفسه ، قتلته أنت أخيرا وهو يدافع عن وطنه .. وأعنى هكتور ! .. لهذا جئت الى سفن الآخيين لاسترده منك ، وقد حملت لك معى فدية تفوق الحصر . اتق الآلهة يا أخيل وارحمنى ، وتذكر أباك . اننى منكوب أكثر مما هو بمراحل ، كما أنى تحملت مالم يتحمله



انسان آخر على وجه الارض ، فانني أمد يدى الى قاتل أبنائى ! »

هكذا قال ، فأثار فى أخيل الرغبة الى البكاء من أجل أبيه ، وأمسك بيد الشيخ فأبعده عنه برفق . ثم أخذا يتذكران فى موتاهما ، وبكيا .. بكى هذا بكاء حارا — من أجل هكتور قاتل البشر — وهو يحبو عند قدمى أخيل ، بينما بكى أخيل أباه مرة ، بكى باتروكلوس مرة أخرى . وارتفع نحيبهما فى جميع أرجاء المنزل . وبعد أن بكى أخيل كفايته ، وسرى الحنين عن قلبه وأطرافه ، انتصب واقفا من مقعده ، وأقام الرجل المسن من يده ، مشفقا على رأسه الاشيب ولحيته البيضاء ، وتحدث اليه بكلمات مجنحة قائلا : « آه ، **أيها الرجل التعيس .. الحق انك تحملت نكبات كثيرة . كيف واتتك الشجاعة لتحضر بمفردك الى سفن الآخيين ، وتلتقى بى ، أنا الذى قتلت أبناءك العديدين ؟ حقا ، ان قلبك لمن حديد ! .. هيا استرح واجلس على مقعد ، ولنهدىء من أحزان قلبينا ، رغم ما بنا من آلام ، فلا فائدة من البكاء الحاد . فهكذا نسج الآلهة الخيط للبشر المنكودين ، الذين يتحتم عليهم أن يقاسوا الآلام ، بينما لا يعرف الآلهة الحزن !** .. ذلك ان على أرض زوس قارورتين مملوءتين بالهدايا التى يمنحها ، احداهما للسيئات والاخرى للحسنات . فمن أعطاه زوس — الذى يقذف الصاعقة — حظا مختلطا ، لقى الشر حينا ، والخير حينا آخر . أما الذى لا يمنحه الا من قارورة السيئات ، فانه يغدو محتقرا من البشر ، ويتولاه الجنون الفظيع فوق سطح الارض المقدسة ، فيهيم على وجهه غير مبجل من الآلهة أو البشر ! .. هكذا منحت الآلهة بيليوس الهدايا المجيدة منذ ميلاده ، اذ كان يفوق جميع الناس ملكا وثروة ، وكان ملكا على المورميدون . وبالرغم من كونه بشرا ، فقد زوجته الآلهة ربة .. ومع ذلك ، فان الآلهة جلبت عليه الشر ، اذ لم تدع أحدا من نسله الامراء ينشأ فى قصره . وانما

أنجب ابنا واحدا ، كتب له الموت فى غير أوان .. اذ اننى لا أرعاه فى شيخوخته ، بل أقيم بعيدا عن وطنى — فى أرض **طروادة** — جالبا الكدر عليك وعلى أولادك . وقد سمعنا عنك ، أيها السيد الشيخ . انك مبارك منذ القدم . وكنت سيدا — بسبب ثروتك وأبنائك — على جميع البلاد الممتدة الى البحر ، وتضم **لسبوس** — حيث عرش ماكار — **وفروجيا** ، فى المرتفعات ، و **الهيليسبونت** الفسيح . ولكن آلهة السماء جلبت عليك هذا البلاء ، وجعلت المعارك وسفك دماء البشر حول مدينتك بغير انقطاع . **تحمل يا سيدى ، ولا تستسلم للبكاء ، فلن يجديك الحزن على ولدك شيئا ، ولن يعيده الى الحياة ، والا مسك — قبل ذلك — شر آخر ! »**

فأجابه العجوز ، بريام الشبيه بالاله ، بقوله : لا تجلسنى على كرسى يا سليل زوس ، طالما أن هكتور ملقى وسط الاكواخ . كلا ، رده الى بسرعة ، كى تراه عيناى . وتفضل بقبول الفدية الكبيرة — التى أحضرتها — عسى أن تسر بها ، وتعود الى وطنك ، ما دمت قد أبقيت على من البداية » . فقطب أخيل حاجبيه غاضبا وقال : « لا تستفزنى بعد ذلك ، أيها السيد الشيخ ، فانى عازم — من تلقاء نفسى — على أن أرد اليك هكتور ، اذ جاءنى رسول من عند زوس والام التى أنجبتنى ، ابنة عجوز البحر . أما أنت يا بريام ، فاننى أحس فى قلبى — ولا يخفى على قط — ان الها ما قد رافقك الى سفن الآخيين السريعة . فما من انسان يجرؤ على المجىء وسط الجيش ، ما لم يكن فتيا وقويا ، والا لما نجا من الرقابة ، ولما سهل عليه أن يجذب الى الخلف مزلاج أبوابنا . ومن ثم فلا تثر شجون قلبى بعد ذلك — أيها الشيخ — خشية ألا أفلتك أنت أيضا داخل أكواخى ، رغم قدومك الى متضرعا .. وبذلك أقترف اثما فى حق زوس »

هكذا تكلم ، فاستولى الخوف على الشيخ ، ورضخ لقوله . وقفز ابن بيليوس كالاسد بعيدا عن المنزل — ولم يكن وحده ،

بل ذهب معه تابعان ، هما المحاربان أوتوميدون وألكيموس ، اللذان كان أخيل يبجلهما أكثر من جميع أصدقائه ، بعد موت باتروكلوس . فخلى هؤلاء الجياد والبغال من تحت النير ، وقادا تابع الملك الشيخ الى الداخل ، وأجلساه على مقعد ، وحملاه الفدية التى لا حصر لها من العربة ذات العجلات العظيمة ،مقابل رأس هكتور ، تاركين فيها رداءين وعباءة بديعة النسج ، كى يلف فيها أخيل الميت لينقل الى وطنه . ثم استدعى أخيل الاماء وأمرهن بغسل جسد الميت وتعطيره . فحملنه الى مكان منعزل كى لا يراه بريام ، خشية ألا يستطيع السيطرة على حقده ابان حزن قلبه ــ عندما يرى ابنه ــ فيهيج غضب أخيل ويقتله ، وبذلك يأثم فى حق زوس . **فلما فرغت الاماء من غسل الجثة ودهنها بالزيت ، ألبسنها معطفا جميلا وعباءة . ثم رفعها أخيل ووضعها فوق المنصة .. وساعده أصدقاؤه فى وضعها على العربة المصقولة** . ثم أطلق أخيل أنينا ، ونطق باسم صديقه العزيز قائلا : « لا تغضب منى يا باتروكلوس ، فقد سمعتك فى بيت هاديس تلومنى على تسليمى هكتورالعظيم الى أبيهالعزيز، ان الفدية التى أعطانيها جديرة بك ، وسأجعل لك منها كل ما يليق بك ! »

واذ قال أخيل العظيم ذلك ، عاد ثانية الى داخل الكوخ ، وجلس على المقعد الفاخر الصنع ، الذى كان قد نهض عنه ، وتحدث الى بريام قائلا : « ها قد رددتاليك ابنك ، أيها السيد الشيخ ، حسب رغبتك . انه فوق محفة ، وعند الفجر ستراه بنفسك ، وتحمله من هنا . أما الآن فلننصرف الى العشاء . فان نيوبى الجميلة الشعر لم تنصرف عن الطعام ، رغم موت اثنى عشر طفلا فى قصرها : ست بنات وستة بنين أشداء . أما البنون ، فان أبولو كان قد قتلهم بسهام من قوسه الفضية، اذ كان غاضبا من نيوبى .. واما البنات ، فقد قتلتهن القواسة أرثيميس ، لان نيوبى تحدت ليتو الجميلة الخدين بقولها ان

الربة لم تنجب سوى اثنين ، بينما هى أم منجبة .. وهكذا فتك الربان بأبناء نيوبى جميعا ، فظلوا راقدين فى دمائهم تسعة أيام ، ولم يكن هناك من يدفنهم ، لان ابن كرونوس أحال القوم أحجارا . حتى اذا كان اليوم العاشر ، تولت الآلهة دفنهم ، وفكرت نيوبى فى الطعام ، لانها كانت متعبة من كثرة البكاء والدموع التى ذرفتها بغزارة . ورغم انها الآن فى مكان ما وسط الصخور ، فوق الجبال المنعزلة ، فى **سيبولوس** – التى يقول الناس ان فيها مخادع الربات ، الحوريات اللائى يرقصن بسرعة حول أخيلوس – ورغم أنها حجر ، الا انها لا تزال تفكر فى المحن التى جاءتها من لدن الآلهة . فلننصرف نحن أيضا الى الطعام ، أيها الشيخ النبيل .. وفيما بعد تنتحب على ولدك العزيز عندما تحمله الى **طروادة** . فلسوف تبكيه بدموع سخينة ! »

وما ان قال أخيل السريع ذلك ، حتى هب واقفا ، وذبح خروفا أبيض الجزة ، وقام أصدقاؤه بسلخه واعداده جيدا كما يجب ، وقطعوه شرائح بمهارة ، وسفدوا الشرائح ، وشووها بعناية ، ثم أخرجوها كلها من السفود . وجاء أوتوميدون بالخبز ، فوضعه على المائدة فى أسفاط بديعة ، بينما تولى أخيل أمر اللحم . ومن ثم مدوا أيديهم الى الطعام الفاخر المعد أمامهم . **وبعد أن أشبعوا رغبتهم فى الطعام والشراب ، اعجب بريام بن داردانوس ، بأخيل : فما كان أجمله ، وما كان أعظمه !.. كان المرء يخال أنه يرى الها فى شخصه !.. كذلك أعجب أخيل ببريام بن داردانوس ، اذ كان مهيب الطلعة وهو يتطلع اليه ويصغى الى حديثه** . وبعد أن فرغا من النظر – كل منهما الى الآخر – كان بريام الهرم ، الشبيه بالاله ، أول من تكلم ، قائلا : « أرنى فراشى بسرعة ، يا سليل زوس ، حتى يمكننا – وقد داعب النوم أجفاننا – ان نستريح ونحظى بمتعة النعاس ، فان عينى لم تذوقا النوم منذ أن فقد ابنى حياته على يديك ، بل كنت دائم البكاء والتفكير العميق فى أحزانى العديدة ، وأنا احبو

وسط الاقذار فى الاماكن القريبة من القصر . أما الآن فقد ذقت طعم اللحم ، وشربت الخمر ، بعد أن كنت على الطوى ! »

وأمر أخيل أصدقاءه واماءه باعداد الاسرة تحت الدهليز ، وفرشها بالملاءات الارجوانية الجميلة ، وتزويدها بالاغطية ، واعداد العباءات الصوفية فوقها ليلبسوها فى نومهم . **وفى الحال خرجت الاماء من القاعة يحملن المشاعل فى أيديهن ، وبسطن فراشين بهمة سريعة** . واذ ذاك ، قال أخيل - السريع القدمين - لبريام ، فى تهكم : « أرقد فى الخارج - أيها الشيخ العزيز - لئلا يأتى الى هنا أحد مستشارى الآخيين - الذين اعتادوا المجىء الى جانبى لتبادل المشورة - فلو أن أحدهم لمحك فى دجى الليل ، فقد يبلغ الامر الى أجاممنون - راعى الجيش - فيعرقل تسليم الجثة . والآن خبرنى ، أصدقنى القول : كم يوما تعتزم اقامة الواجبات الجنائزية نحو هكتور العظيم ، حتى أكبح جماح الجيش طيلة هذه المدة ؟ » .. فأجاب بريام العجوز - الشبيه بالاله - قائلا : « اذا كنت تريدنى حقا على أن أقيم فروض الدفن لهكتور العظيم ، اذن فاعمل حسب رغبتى يا أخيل ، حتى أستطيع اداءها انك تعرف اننا محبوسون داخل المدينة ، بعيدا عن الجبل الذى نقتطع منه الاخشاب . وان الطرواديين لفى ذعر بالغ .. سنبكيه فى بيوتنا تسعة أيام ، وسندفنه فى اليوم العاشر ، ونولم الولائم للقوم ، ونقيم فوق فقيدنا رابية ، فى اليوم الحادى عشر .. ثم سنقاتل فى الثانى عشر ، اذا اقتضى الامر » .

فرد عليه أخيل العظيم ، السريع القدمين ، بقوله : « فليكن ماتريد ، يا بريام الشيخ .. وسأرجىء القتال الى الاجل الذى تطلبه ! » . قال هذا ، وأمسك يمنى الرجل العجوز من رسغها ، حتى لا يتطرق الخوف الى قلبه . ثم استلقيا ليناما فى الساحة الخارجية للقصر - بريام وتابعه - بقلبين زاخرين بالطمأنينة بينما رقد أخيل بداخل الكوخ المتين البناء ونامت الى جواره بريسايس الجميلة الخدين .

ونام جميع الآلهة والبشر - سادة العربات - طوال الليل ، وقد غلبهم النعاس الرقيق ، ما عدا هيرميس المعين ، فان الكرى لم يقترب منه ، بل راح يفكر فى كيفية العودة بالملك بريام بعيدا عن السفن ، دون أن يراه حراس الابواب الاقوياء . فوقف عند رأسه وتحدث اليه قائلا : ((**سيدى الشيخ ، انك لا تفكر الآن فى أى شر ، وأنت تنام هكذا وسط العدو ، لان أخيل أبقى عليك .. وصحيح انك افتديت ابنك بثمن باهظ ، ولكن حياتك أنت ، قد تكبد أولادك - الذين خلفتهم وراءك - ثلاثة أضعاف هذه الفدية ، اذا علم بأمرك أجاممنون بن أتريوس ، أو جيش الآخيين !**))

فما أن سمع الشيخ هذا حتى ذعر ، فأيقظ التابع . ووضع هيرميس لهما الجياد والبغال تحت النير ، وساقها بنفسه بخفة عبر المعسكر دون أن يفطن اليهم أى رجل . حتى اذا بلغوا مخاضة النهر الصافى الجريان - **كسانثوس** الدوام ، الذى أنجبه زوس الخالد - رحل هيرميس الى **أوليمبوس** القريب ، بينما انتشر الفجر الزعفرانى الثوب ، على سطح الارض كله . فقادا الجياد باكيين الى المدينة ، وقد حملت البغال الميت . ولم ينتبه اليهما أى فرد - سواء أكان رجلا أو امرأة جميلة الزنار - ولكن كاساندرا ، نظيرة افروديتى الذهبية ، صعدت فوق **بيرجاموس** ، فرأت أباها العزيز واقفا داخل العربة مع التابع - منادى المدينة - كما رأت ذلك الراقد فوق المحفة داخل العربة التى تجرها البغال . فأطلقت صرخة حادة ، وراحت تصيح فى جميع أرجاء المدينة قائلة : ((هلموا يا رجال طروادة ونساءها ، هيا الى مشاهدة هكتور ، الذى كان يسركم أن تروه عائدا - من المعركة - حيا .. فقد كان مصدر فرح عظيم للمدينة وسائر الشعب !))

ما أن قالت هذا ، حتى لم يبق داخل المدينة رجل واحد ولا امرأة ، فقد ألم بالجميع حزن لاسبيل الى احتماله ، فهرعوا الى الابواب يستقبلون بريام ، وهو يحمل الميت الى وطنه .

فجاءت أولا زوجة هكتور العزيزة وأمه الجليلة ، وارتمتا على العربة السريعة الجرى ، وأمسكتا رأسه فى وقت واحد ، وهما تبكيان وتمزقان شعورهما . وانفض القوم حولهما ينتحبون .
وظلوا اليوم بطوله يبكون هكتور حتى مغيب الشمس ، ذارفين الدموع السواجم خارج الابواب . وأخيرا تكلم الشيخ من العربة، قائلا : « أفسحوا طريقا لمرور البغال ، ثم أبكوا ـ بعد ذلك ـ ما شاء لكم أن تبكوا ، بعد أن أنقله الى المنـــزل » . فلما قال هذا ، انتحى القوم جانبا وافسحوا طريقا للعربة ، أما الآخرون، فبعد أن حملوه الى المنزل المجيد ، أرقدوه فوق فراش موشى، والى جانبه وقفت خير النائحات اللواتى ينشدن المراثى أثنـاء النحيب .. ورحن ينشدن ، فاستغرقت النســاء حولهن فى العويل . وفى وسط أولئك . بدأت « أندروماخى » ـ البيضاء الساعدين ـ النحيب ، حاملة طوال الوقت رأس هكتور قاتل البشر بين ذراعيها ، وهى تقـــول : **« وأزوجاه ، يا من تركت الحياة وانت فى ريعان شبابك ، وتركتنى فى قصرك أرملة ، وما زال ابنك طفلا !..** ذلك الابن ، الذى ولد لابوين منكودين ـ أنا وانت ـ وما أظنه سيبلغ سن الرجولة ، اذ ستكون هذه المدينة قد خربت على بكرة أبيها ، قبل ذلك .. لانك مت يا من كنت تحرسها ، وتصون زوجاتها النبيلات وأطفالها الصغار . هؤلاء ـ كما أعتقد ـ سرعان ماسيؤخذون فى السفن الجوفاء ، وأنا بينهم .. وأنت يا ولدى ، ستتبعنى الى مكان تقوم فيه بأعمال لا تليق بك ، كادحا تحت رحمة سيد خلا من الشفقة .. أو قد يلقى القبض عليك أحد الآخيين، ويقذف بك من أعلى السور ـ فيا لها من ميتة بشعة ! ـ فى نقمته على هكتور الذى ربما كان قد قتل أخاه أو أباه أو ابنه ، اذ أن كثيرا من الآخيين قد عضوا الارض الفسيحة بأسنانهم على يدى هكتور ، لان اباك لم يكن قط رحيما فى الحرب البغيضة ، ولذا يبكيه القوم فى كل مـكان بالمدينة !.. أى هكتور ، لقد جلبت على والديك هما وحـزنا

لا يوصفان ، وتركت لى محنا مفجعة أكثر مما أصاب جميع الآخريات . فما عدت تمد لى يديك من فراشك بعد موتك ، ولا تحدثنى بأية كلمة حكيمة أفكر فيها ليلا ونهارا ، وأنا أسكب الدموع ! »

هكذا قالت وهى تبكى ، فبكت معها السيدات . وقامت « هيكابى » بدورها وسطهن ، تقود النحيب الشديد قائلة : « **هكتور ، يا أعز جميع أولادى الى قلبى ، لقد كنت عزيزا على الآلهة فى حياتك ، لذا كانوا يهتمون بك رغم تعرضك للموت !** فكل من استولى عليهم أخيل - السريع القدمين - من أبنائى ، كان يبيعهم عبر البحر الصاخب ، فى **ساموس** و **امبروس** ، **وليمنوس** المغطاة بالدخان (٤٦) . أما أنت ، فعندما سلبك الحياة - بالبرونز الطويل النصل - راح يجرك كثيرا حول رابية صديقه باتروكلوس ، الذى قتلته .. ولكنه لم يستطع أن يرد اليه الحياة بذلك . والآن ، ها أنت ترقد فى قصرى ناضر الجسم رطبه ، كما لو كنت حديث القتل .. أو كواحد ممن يهاجمهم أبولو ، - ذو القوس الفضية بسهامه الرقيقة - فيرديهم ! » .. هكذا تكلمت وهى تبكى ، واثارت بكاء لايفتر. ثم جاءت هيلين ، وكانت ثالثة من تزعمن العويل - فقالت : أى هكتور ، يا أعز سائر اخوة زوجى الى قلبى ! لقد أحضرنى زوجى ألكساندر الشبيه بالاله الى أرض **طروادة** ، فليتنى مت قبل هذا ! .. هذه هى السنة العشرون منذ أن رحلت من وطنى ، ومع ذلك فاننى لم أسمع منك - طيلةهذهالمدة - كلمة شريرة ولا خبيثة قط . كلا ، اذا كان هناك من لامنى فى القصر ، فانه أخ لى أو أخت ، أو شقيقة زوج - جميلة الثياب - أو امك . ولقد كان أبوك لطيفا معى دائما ، كما لو كان أبى ! .. **وكنت تدافع عنى بالكلام وتردعهم برقة روحك وألفاظك الوديعة . لذا أبكيك كما أبكى نفسى التعيسة - والغم يملأ قلبى - فلم يعد لى بعد الآن فى « طروادة » الفسيحة ، من يكون**

رفيقا معى أو رحيما بى ، بل سيجفونى الرجال جميعا ويعرضون عنى !» .. هكذا قالت وهى تبكى ، وعندئذ انخرط الجمع فى العويل .

ثم نهض الشيخ بريام يتحدث وسطهم ، قائلا : « هيا ، يا رجال **طروادة** . أحضروا الحطب الآن ، وانطلقوا الى المدينة دون خوف ولا وجل ، فلن ينصب لكم الارجوسيون كمينا ، اذ وعدنى أخيل ــ عندما شيعنى من السفن السوداء ــ انه لن يقوم حيالنا بأى عمل عدائى ، الا عندما يحل فجر اليوم الثانى عشر ! » .. فما أن قال هذا ، حتى وضعوا النير فوق أعناق الثيران والبغال ، وشدوها الى العربات ، واحتشدوا معا بسرعة أمام المدينة . واستمروا يجلبون كميات هائلة من الحطب لمدة تسعة أيام . **حتى بزغ فجر اليوم العاشر ، ينشر الضوء على البشر ، فحملوا هكتور الجرىء ، وهم يذرفون الدموع ، ووضعوه فوق كومة الحطب ، وأشعلوا النار !**

وما أن عاد الفجر المبكر ــ ذو الانامل الوردية ــ ثانية ، حتى احتشد القوم حول كومة حطب هكتور المجيد ، ثم أخذوا يخمدون لهيب كومة الحطب بالخمر ، بقدر ما كانت النيران قد بلغت قمتها . وبعد ذلك شرع اخوته وأصدقاؤه يجمعون العظام البيضاء ، وهم ينتحبون ، والدموع تجرى غزيرة على خدودهم . ثم وضعوا العظام فى قارورة ذهبية ، ولفوها بأثواب أرجوانية ناعمة ، وأسرعوا بوضع القارورة فى كهف عميق ، غطوه بأحجار ضخمة ، رصوها حجرا بجانب آخر . وهكذا ارتفعوا بالرابية فى سرعة ، ووضعوا حولها المراقبين من كل جانب ، خشية ان ينقض عليهم الآخيون المدرعون جيدا ، قبل الميعاد . **ولما انتهوا من اقامة الرابية ، اجتمعوا سويا وأولموا وليمة مجيدة فى قصر بريام ، الملك المنحدر من زوس .**

وهكذا أقاموا الطقوس الجنائزية لهكتور مستأنس الجياد .


ΛΙΑΔΑ ΤΟΥ ΟΜΗΡΟΥ
مطبوعات كتابى
الإلياذة
هوميروس
مطبوعات كتابى
الإلياذة
هوميروس
مطبوعات كتابى
الإلياذة
الجزء الثالث
"ألف باء" الثقافة العالمية
هى أدب الإغريق
و"ألف باء" أدب الإغريق
هى "إلياذة" هوميروس
فلا تهمل فى اقتناء هذا الجزء
الثالث والأخير من هذه الملحمة الخالدة
واطلب الجزءين الأول والثانى من إدارة كتابى
(١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) قبل نفادها
يصدرها
حلمى مراد
مطبوعات كتابى
الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية
مركز فن الطباعة ٥٨١٤٩